حكايات عن

المنتفق



وقائع من تاريخ العراق الحديث والمعاصر

د. حميد حمد السعدون

مكتبة الذاكرة

حكايات عن المنتفق

وقائع من تاريخ العراق الحديث والمعاصر

حكايات عن المنتفق

وقائع من تاريخ العراق الحديث

والمعاصر

الدكتور

حميد حمد السعدون



الإهـــداء

الى اخي الحبيب

توفيق

مخيم ذكرياتي العطرة الذي لا ينضب

وان حال الثرى بيننا

حميد

شكر وتقدير

من جديد يعبر الأستاذ (ناصر توفيق عبد الكريم الفهد السعدون) عن موقف متميز ورائع حينما يتبنى طبع هذا الكتاب، تقديراً واكراماً للمنتفق وأدوارها المتعددة.

ولا يسعني وإبطال هذه الحكايات وقراءها، إلا التعبير عن الشكر والتقدير والعرفان لهذا الموقف الذي يعبر عن أصالة الرجال.

المؤلف

تقديم

الاستاذ عادل سعد
حكايات بدون طلاء

«أحسب ان الدكتور حميد السعدون اضناه الالتقاط بهذه الحكايات، واحسب ايضاً انه جال كثيراً في احراش تاريخية بعضها متلبس بما يمكن ان يصطلح عليه ظنك المعلومة لشحة المصادر وانحسارها، وفي كل ذلك يكون السعدون قد سجل لنفسه حسنتين في الاقل، الاولى حسنة الصبر في اعادة التذكير بكل هذا الكم من الحكايات المحببة، وهذا الجميل هو رصيد المؤرخ، وحسنة الاستئناس بتلك الحكايات، ذلك ان السعدون لم يكن راوياً لها فحسب بل كان يمارس دور الراعي في مصاحبة من الفعل المعرفي المتواصل بعفوية وليس بالانحياز العلمي التحليلي وهذا ما جعله حكواة هاو الى حد بعيد ولاشك انه في ذلك وفر للقارئ اللبيب متعة واضحة في المتابعة، واذا كان المؤلف قد اخفق في حيز ما فإنه بالتأكيد قد اخفق في عدم الاطناب بملاحقة دلالات هذه الحادثة او تلك مثلما لم يركز على دلالتها وهو بذلك اراد ان يقيم صلة ما بين تاريخ تلك الحكايات وبينه

بدون اية رتوش او ادعاءات تقوم على التحاكم المتقابل ولذلك تجده في بعض الحكايات وكأنه يسردها بغنائية الحدث الحالي واحياناً اخرى يذهب بها واليها قابضاً على روحيتها الاجتماعية وما تحمل من وشائج الفعل الفني التشكيلي العام وهكذا كانت التقاطاته ناجحة وكان العرض بانورمياً ولكن بدون طلاء وبلغة ومخاطبة مشذبة.. انها رواية خاصة جداً للتاريخ لا حيز للمفاخرة الخادعة فيها ورواية تشم فيها رائحة البارود البدائي، ونكهة هيل القهوة، وتمتلء اسماعك منها بالمواويل ذات الشجون المحزنة التي تتسلل الى العظم فتفتت تكلساتها الزمنية وتقيم عرس العافية الانسانية له من خلال التذكير بما كان يملكه اولئك العراقيون الافذاذ خلال تلك الحقبة التي اختارها الدكتور حميد السعدون للتذكير باحداث كبيرة في معانيها الوطنية وفي خياراتها الحياتية وعبر الذود عن شرف وحدة المجتمع العراقي الذي لم يعرف آنذاك اي تمترس طائفي او مناطقي، بل كان رائدة شرف الموقف ليس إلا في اطار مخافة الله وهي رأس الحكمة كما تؤكد الحقائق، وفي اطار شفافية الموقف الاجتماعي، ولعل ما يفرز ذلك ان الكلمة كانت ورقة نقدية ثمينة السعر حقاً فهي ان تعطى بسخاء وبالتزام تام وفي سياق تعهدات مبدئية لانصوص تحريرية فيها وانما تطلق شفاهاً وتوثق في الضمائر دون ان يتم انكارها وان كان ذلك بثمن الحياة نفسها.

«والطريف الناضج في الحكايات التي اعدها ودونها حميد السعدون ان الخطابات بين الاحلاف والمتخاصمين وبين ابناء العائلة

الواحدة يتم في اغلب الاحيان شعراً فأي ثراء روحي واسع هذا الذي دفع الانسان الى بطر اللغة ونشيجها الباهر حيث تكون القصيدة رسالة ود او خصومة او عتب او تحذير او مواساة، واي رصيد هائل من المعارف ان لا ينسى المقاتل مهمته الاجتماعية والمعارفية اليومية في حين انه على صهوة جواده.

«ولاشك ايضاً ان حميد السعدون نجح في اكتشاف ذلك النسيج المجهول بين ذرى الصحارى وحفيف سعف النخيل وبين العطش والارتواء وبين طراوة الرادفين وصلافة ريح السموم، انه التاريخ العراقي المتنوع الذي كان وما زال احد اهم ركائز وحدة هذه البلاد، وما تمتلك من فضل الديمومة الانسانية التي تميز وحدة العراقيين.

«واحسب اخيراً ان كتاب حميد السعدون هذا بأربعة نصوص في آن واحد انه يتحدث عن الصيرورة التاريخية بروح الراصد السياسي وهذا هو باع الاكاديمي حميد ويتحدث عن وقائع المجتمع العراقي ابان تلك العهود وهنا هو الباحث الساسيولوجي الذي تهمه عملية الغوص في العمق الاجتماعي لبيان ما يحمل من دلالات، كما انه يروي عن جيلوجيا النفس الانسانية بكل ما تحمل من هموم وعطش للسلام واحترام للألفة والتسامح والعفو اما النص الرابع فهو من الفنون الشعرية التشكيلية بكل ما حفلت به من رموز الغنى الذهني وانتصار الضمير الحي، ولاشك ان ما يحسب على حميد السعدون في هذه التشكيلة المعرفية انه تركها تنداح من دون تصنيف لدلالاتها وهو يدافع عن هذا التوجه بالقول انه يحترم القارئ واراد ان يقدم له

هدية يتولى تفكيك مكوناتها بنفسه وهو بذلك انما اراد تأكيد احترام دور القارئ في الاكتشاف ايضاً.

الأستاذ عادل سعد

المقدمة

بلا شك ان اية حكاية من الحكايات التي تضمها دفتي هذا الكتاب، مرتبطة بزمن وشخوص، سواء بشكلها الرمزي او الواقعي. وهذا الزمن هو وعاء انطلاق ضروري لتقييم تلك الحكاية، لانه لو اسقطنا زمننا الحالي على ما قبله، وبدأنا بتقييم تلك الحكاية ومعانيها، نكون كمن يلوي الزمن لصالحه. فضلاً عن ذلك، ان البشر، ابطال الحكاية ورموزها، تستصعب ادراك حقيقة معاني تلك الحكاية، خارج حدود زمانها. ومن المهم جداً، ان نعي، ان شخوص هذه الحكايات، ابناء زمنهم وليس ابناء ازمان اخرى، مما يعني ان شخوص هذه الحكايات، وليدي زمانهم، تعاملوا مع الاوضاع بما هو سائد في زمنهم، دون ان يقفلوا على انفسهم الاطلالة على القادم من الايام. لكننا، لكي نستدرك أي خطأ او زلل في وقت اصدار مثل هذه الحكايات، فأننا نفهم ان حدوثها، اطلالة سياسية وثقافية واجتماعية وانسانية، على وقائع لم تفشل امام اختبار الزمن، بقدر ما أثرت وبشكل عميق في مسارات المستقبل، وهي المسارات التي نعيشها تحت زمن آخر غير زمن الحكاية وابطالها.

ولربما يعتقد ابطال الحكايات ان ما تعايشوا معه، كان زمناً جميلاً، لتلك الاحداث عاشوا معها وتفاعلوا مع تطوراتها بطريقة اعطوا فيها كل جهدهم وطاقتهم من اجلها، وقد يرى القارئ-في هذا الوقت- بافتقار الجمال في تلك الحكايات، لانها وليدة زمن ولى، لكن الاكيد، ان الجمال والقبح في الزمن- أي زمن- هو ما نفعله ونتذوقه نحن. لذلك فان وضعنا من ينتقد هذه الحكايات ويراها اجتراراً لما مضى، ونطلب منه ان يفعل عكس ما فعله ابطالها ان واجهته الامور والاحداث، مثلما حدثت، فما تراه فاعلاً؟ هل يفعل شيئاً مغايراً وغير مألوفاً، ام ان تكون افعاله مثلما هي حاصلة في مضمون الحكايات، ام انه يصمت ويعتزل على طريقة النساك، خاصة وان الزمن هو تيار وجودنا ومرآة تاريخنا.

ان الرؤيا التاريخية لزمن هذه الحكايات، نراه في الماضي والحاضر والمستقبل، من خلال مكونات العقل والاخلاق والتعامل مع المحيط الاوسع، لكن هذه الرؤيا، تكون اشد تعقيداً بالنسبة للفكر حالما يضعها على محك الجدل، واكثر اثارة حالما يضعها على محك المصير، واوسع الهاماً حالما يضعها على محك البدائل، لا لشيء، الا لكونها حدثت وتناساها الكثيرون ممن سلبتهم احداث العصر، عن الرؤيا المتبصرة بمعاني هذه الحكايات بطريقة مشرط الجراح.

***

لا ادعي الفهم العميق بتراث الشعوب واثارها ورصيدها

الاجتماعي، ولا ادعي الكمال والجودة بما عرضته على هذه الصفحات، لكني ادعي- ويتواضع- انها حكايات وصلتنا موثقة، حاولنا جاهدين ان نكون أمناء في عرض تفاصيل الحكاية، حتى وان كانت تخدش بطولة من نراهم مثالاً للنموذج الذي نكتب عنه.

«حكايات عن المنتفق» هكذا اخترت عنوان هذا الكتاب، الذي ولد بشكل عرضي، بعد ان تفرغت بشكل كامل بين اعوام ١٩٩٣- ١٩٩٦ لانجاز كتاب (امارة المنتفق واثرها في تاريخ العراق والمنطقة الاقليمية) (١) فغصت بعيداً بين الوثائق والمخطوطات والكتب المنشورة واوراق ومدونات الكثيرين، وما كتبته الصحافة، يوم كان العراق دولة، قبل ان يحرقها ويدمرها الاشقاء والاصدقاء، بحجة «التحرير»، وكان يقع تحت يدي اثناء البحث، الكثير من المواقف والحكايات والموروث الشعبي، والذي قدرت ان من الظلم ان يهمل او يترك للنسيان، خاصة وانه ذو معان انسانية وحضارية تشكل تراكماً نوعياً للناس، في وقت بات فيه البحث عن معنى، مهمة شاقة للجميع، لذلك بت اسجل واكتب وانقب، وان لا اعتمد الحكاية ان لم يسندها شيء منشور او مكتوب في الوثائق والمخطوطات، لاني اطمح وارغب ان تكون روايتي لهذه الحكايات صادقة وامينة وغير مبالغ فيها. لذلك اصفحت عن الكثير من الحكايات والمواقف التي وصلتني مروية، لاني لم اجد ما يوثقها منشوراً او مخطوطاً. ورغم ادراكي لقسوة ما فعلته، خاصة وان التوثيق في الزمن الماضي لم يكن متيسراً او سهلاً،

---

(١) كتاب للمؤلف - ط ١ - دار وائل للطباعة والنشر - عمان ١٩٩٩.

بل انه في بعض الاحيان «ترف» زائد، مع علمي ان كثير من الشعوب تأخذ من المسترسل الشيء الكثير وتعتمده، لانه جزء من الموروث الشعبي، لكني الزمت نفسي بمنهج يعتمد التوثيق، وهذا ما فعلته، وان كان اشبه بنصل حاد، لاني رأيته اكثر مصداقية وثباتاً.

هذه الحكايات، وتحت هذه العنوان الذي اخترناه، اوقعتني في حرج، يأخذني بعيداً عن النهج الاكاديمي الذي اعتمده في كل ما اكتب، لذلك- اجتهدت- ان أرتبها متسلسلة وفقاً لزمان حدوثها، دون ان اقسمها لفصول او عناوين فرعية، مراعياً الاسترسال ومحافظاً على وحدة الزمن، مع ذكر المصادر التي جاء فيها ذكر هذه الحكاية في زمنها الحقيقي، مع هامش في الحضور، لكي نعطي مساحة اوسع للحكم ولتبيان المعنى منها، تاركاً للقارئ حرية الابحار بكل معاني الحكاية.

***

«حكايات عن المنتفق» بدى مشروعاً صغيراً وشخصياً، وكنت أكتب حكاياته ومواقفه، وانا أفكر أن احتفظ بها لنفسي، دون داع لنشرها، رغم علمي انها جزء من الموروث الشعبي لعموم الناس. لكن الحاح وعتب الكثيرين من الاخوة والاصدقاء، دفعني ان أعيد كتابته رغم كل المشاغل والمشاكل- وما أكثرها- املاً ان تكون هذه المحاولة تتكافأ مع العتاب الرقيق او الشديد الذي كنت اسمعه صوتاً او اقرأه كلمات، او يصلني عبر طريق ثالث.

وقبل ان انهي مقدمتي، لابد من التأكيد، على ثلاثة امور، اولها: ان هذه الحكايات وليدة زمانها، فأن جاء ذكر الآخرين فيها، فلا يعني ذلك، اساءة مقصودة لاحد او تقليلاً من شأنه، بقدر ما ارى ان شخوص الحكاية، هم ابطالها، حتى وان كانوا على الطرف الآخر؛ وثانيها: اني الوحيد الذي اتحمل أي خطأ ورد في هذه الحكايات، دون ان احمل الآخرين وزر ما عرضناه، مع استعدادي وحماسي للتصحيح ان وجد، وثالثها: شكري للشاعر المبدع «معتصم رشيد» الذي بادر متطوعاً ان يحلي كل حكاية بما يليق بها من الشعر، ولذلك فكل الاشعار الواردة في هذا الكتاب عائدة له، الا ما وجد العكس، مذكوراً بالاسم.

أملي كبير، ان يتعامل القارئ الكريم معي بحسن النية، متجاوزاً عن عثراتي ان وجدت، ومتفهماً للمقاصد الطيبة التي من اجلها سطرت هذه الاحرف، لاني اجد الشعوب والامم المتحضرة، تجهد من اجل ان تكون ذاكرة ابناءها سليمة ومعافاة، مع علمي ان هذا الكتاب لا يحيط بكل حكايات المنتفق وادوارها المتعددة.

مع امنياتي الطيبة

المؤلف


IRAQ
Baghdad
R. Tigris
Hilla
Kut
R. Euphrates
Samawa
Shatt al Gharraf
Qilat Sikkar
BENI RICHAB
ABOODA
Shatra
KHAFAJA
GHUZZI
Nasiriya
AZAIRIJ
Suq al Shuyukh
Hammar Lake
BENI MALIK
DHAFEER
Abu Ghar
Amara
Qurna
Shaiba
Basra
Shatt al Arab
Kuwait
Arabian GULF
frontier of Persia
ZAGROS MOUNTAINS
PERSIA or IRAN
MUNTIFIQ
d e s e r t
N
Approximate boundary of Sadoon jurisdiction
GHUZZI Tribal names
Miles
0 20 40 60 80 100

امنع من مانع

حين بدأت تباشير القرن السابع عشر تطل على العالم، نفذت الدول القوية والقادرة، آنذاك، ما خططته بالسيطرة على الاراضي والمنافذ والمواقع التي تراها ذات ضرورة لديمومة قوتها. لذلك شهد مشرقنا العربي تدفق، طلائع هذه القوى ذات الاعلام المختلفة الالوان، وان كانت مناهجها واحدة في السلب والنهب والقتل والسيطرة، فشهدنا البرتغاليين والهولنديين، ومن ثم الفرنسيين والانكليز.

وقد تزامن مع هذه القوى الوافدة، ان الدولة العثمانية بدأت سلسلة من التراجعات الكبيرة من مناطق نفوذها في المسرح الاوربي والتي كانت تمتد من فيينا الى البحر الادرياتيكي. وهذا بدوره دفع سلطات استنبول وولاتها في العراق، ان يتشبثوا بما هو تحت ايديهم، حفاظاً على الشكل الامبراطوري، وتعويضاً عما خسروه في القارة الاوربية. هذا وذاك اثقل بحوامله كل القوى العراقية بنتائجه الثقيلة، مما اضاف جهداً آخراً على ما هو مطلوب ان يبذل.

وقد تسنى لامارة المنتفق في الفترة ذاتها، قائد من طراز خاص،

عجنته التجارب واكتوى بلهيبها وعالج مشاكلها وخرج منها والمنتفق في عافية مطرَّدة، مكنته من ان يكون اهم لاعب على المسرح العراقي في حينه، ذلك هو الامير «مانع بن شبيب بن مانع الاول بن شبيب الأول بن الشريف حسن» [1] الذي ترأس المنتفق منذ عام ١٦٨٢م، وتطلع بحماس زائد، مستنداً الى قوة تحالفه القبائلي، ان يؤسس للمنتفق مجداً شامخاً جديراً بهم، وكانت ابصاره ترنو للبصرة، التي وجد ان ضمها لامارته تحصيل حاصل لقوة ونفوذ ما متوفر تحت يديه. كما كان يتطلع ان يكون للمنتفق حياة مستقلة بعيداً عن تدخلات ونفوذ العثمانيين.

ففي عام ١٦٩٠م هزم الامير مانع والي البصرة- احمد باشا عثمان زاده- في معارك متعددة، اشهرها موقعة (الدير) الامر الذي لم يهن على والي العراق- احمد باشا البازركان- الذي اراد هزيمة المنتفق بأي شكل كان، فأرسل كتخداه عام ١٦٩١م بجيش غفير، لكنه عاد اليه بعد ان تلقى هزيمة فاحشة على يد المنتفقين.

وطوال اعوام ١٦٩٢ و ١٦٩٣م، دخل الامير- مانع- في مواجهات عسكرية متعددة مع ولاة بغداد، انتصر فيها جميعاً، وقتل فيها قادة الجيوش العثمانية التي ارسلت لمواجهته، وشتت شمل عساكرهم،

(١) هو مانع الثاني المعروف باسم مانع السخاء بن شبيب الثاني بن مانع الأول بن شبيب الأول بن الشريف حسن، وهو جد أسرة آل شبيب وآل السعدون في العراق، وينتهي نسبه الى الامام علي عليه السلام، وهاجر من الحجاز الى العراق عام ١٥٠٠م بعد سقوط امارتهم في المدينة المنورة، وتسنى لأبنائه وأحفاده ترؤس امارة المنتفق خلال اربعة قرون.

كما غنمت المنتفق في سلسلة تلك المعارك، المعدات العسكرية الكثيرة والنفوذ والغنائم الاخرى. مما دفع سلطات استنبول الى ان تسترضيهم من خلال اسقاط الضرائب المستحقة عليهم لهذه السنين، والعفو عن كل ما حصل. الا ان الامير- مانع- لم تخدعه تلك السياسة، لادراكه بانتهازيتها، لذلك، فما ان حل شباط ١٦٩٤م حتى كانت البصرة بكاملها بقبضته. وقد كان لهذا الحدث انعكاس واضح حتى على الموروث الشعبي العراقي، الذي اطلق المثل «امنع من مانع» ازاء القوة والمنعة اللتين هزم بها الدولة العثمانية في سلسلة من المواقع والمعارك، لان هزيمته كانت امنية تراود كل الولاة.

ازاء ذلك وجهت الدولة جيشاً كبيراً بقيادة «خليل باشا بن عثمان باشا» جمعته من كل اطراف امبراطوريتـها، فاشتبكت قوات تلك الحملة العسكرية مع قوات الامير-مانع-في معارك برية ونهرية دامت بضعة أيام، ابدى فيها رجال المنتفق من الشجاعة والبسالة ما يلفت النظر، حتى انهم اجبروا القوات العثمانية على نزع البدلات الانكشارية والاغوات ذات الالوان الزاهية، ولبسوها، دليلاً على مدى النصر الذي حققوه. وقد وصف «لونكريك» قوته ونفوذه في تلك الفترة، بالقول «لم يدر بخلد أي باشا غريب ان يأمل نفوذاً شاملاً مثل نفوذه، فقد امتلك قسماً من عربستان، وكان مسيطراً على جانبي دجلة وعربستان من سهول واهوار، واطاعته بدره وجصان ومندلي. وقد غطت سطوته يومئذ على سطوة الحويزة، اما على الفرات فقد استولى على السماوة والرماحية» ولم يبق للدولة وسلطتها أي نفوذ في هذه المناطق.

وقد زادت سيطرة المنتفق على البصرة من حدة التنافس بين القوى المحلية والاقليمية كافة، لان ذلك كان ايذاناً بوجود منافس جديد، قد يفاجيء الجميع بقوته ونفوذه، مما جعله عنصر الحسم والسيطرة على هذا الثغر، مما استلزم من القوى كافة، اعادت ترتيب امورها ازاء منافسها الجديد والمستند الى قوة اختبرت حقيقة صلابتها، وهذا ما دفعهم الى حبك مؤامرة، اشتركت فيها الدولة العثمانية ووالي الحويزة والطابور الخامس المتواجد في البصرة، مع اسناد من شركة الهند الشرقية «البريطانية»، يقابلها ضعف استعدادات المنتفق وغرورها بما حققته، مما مكنهم من اخراج الامير -مانع- من البصرة في اواخر عام ١٦٩٨م، بعد اربع سنوات من الاستقلال بعيداً عن السيطرة الاجنبية. وكان حب البصريين لمانع السخاء، جارفاً، خاصة الفقراء، نظراً لسخائه المعروف ونهجه الاستقلالي الواضح. ويقول فيه شاعرنا:

يا قائداً فوق الشـــموس يبايــع

وعلى ظلام الليل نجمك ساطع

يا مسرج الصهوات وقت جموحها

هي لا تليق سوى لشخصك مانع

مصادر الحكاية:

١. عباس العزاوي- تاريخ العراق بين احتلالين....- ج٥-ص:

١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١.

٢. فلاديمير لوتسكي- تاريخ الاقطار العربية الحديث- ترجمة د.عفيفة البستاني- دار التقدم- موسكو ١٩٧١- ص: ٤٢.

٣. عثمان بن عبد الله بن بشر- عنوان المجد في تاريخ نجد- ط٤- ج٢- مطابع دار الهلال- الرياض ١٩٨٣- ص: ٣٤٦.

٤. وزارة الثقافة والاعلام- ابحاث في التراث الشعبي- دار الحرية للطباعة- بغداد ١٩٨٦- ص:٢٢٤.

٥. لونكريك-اربعة قرون، من تاريخ العراق الحديث، ط٧، مطبعة اركان، بغداد ١٩٨٧، ص-١٥١.

٦. علي الشرقي- العرب والعراق- ط١- شركة الطبع والنشر الاهلية- بغداد ١٩٦٣- ص: ٦٧.

مانعيه

هي منهج وسلوك وتقليد سنوي، سنه الامير «مانع بن شبيب بن مانع» والمعروف عند العامة باسم «مانع السخاء» عليه وعلى جميع افراد عائلته، يتجسد بمنح هبات سنوية معلومة، قد تكون على شكل نقدي او عيني، لكثيرين. ولا يحتاج الامر لتنفيذها تذكير بها، لانها امر معلوم من المتلقي والمعطي. واذا استعملنا تعبيرات هذا العصر، فيمكن ان نقول عنها انها شكل من اشكال التضامن الاجتماعي بين ابناء المجتمع، كما انها احد اوجه التلاحم القائم بين ابناء المنتفق، من دون العناوين الفاصلة بين الحاكم والرعية، لكون الشكل المتحقق في العلاقات الاجتماعية، كان بسيطاً وعفوياً، بعيداً عن اشكال البيروقراطية التي زحفت لاحقاً للديوان المنتفقي بحكم تأثيرات المدنية والحداثة ومواكبة العصر.

لقد جمع- مانع السخاء- فضلاً عن اطلاعه الواسع في مجال السياسة والحرب والدبلوماسية، سخاءاً غدا مضرب المثل، فذاع صيته، حيث كان يقال في الامثال «أكرم من مانع». وقد اشاعت

هذه الروح السمحة والكريمة جواً من التضامن والتماسك بين ابناء المنتفق، مما اهلهم في سنوات امارته، ان يكون للمنتفق دوراً كبيراً في مجرى الاحداث وتوجيهها. فقد كان الرجل يبر بوعده اذا وعد، ويهب اذا وهب دون التفات للهبة او حجمها. وهبته في هذا الاطار، سند مصدق حسب العرف العشائري، يحق لصاحبها، المطالبة بها من الشيخ واحفاده، بغض النظر عن من هو في موقع المسؤولية. وما زال لليوم من يطلبها وهناك الكثيرون من احفاده، ممن ينفذوها.

والمانعية في هذا الاطار، ليست حاجة مادية يطلبها صاحبها بقدر ما هي روابط وقيم ووشائج وتأصيل لقيم التاريخ وتنشيط للذاكرة في سلوك ونشاطات الناس الايجابية.

والمانعيه، وغيرها من التقاليد التي سنتها المنتفق في عمرها الطويل، شكلت مجرىً متميزاً لقيم الانسان في ظرفه الزماني والمكاني الذي يعيش فيه، كما انها اطلالة تسمح للمراقب في رصد ظواهر تنامي القوة عند التجمعات القبائلية في ايام زهوها، وبما يمكنها من احتلال موقع مؤثر في مجرى الاحداث. كما ان- المانعية- وغيرها من التقاليد، تعطي صورة واضحة عن اختزال الكثير مما نشاهده في حياتنا اليومية الحالية، من اجراءات وموانع بين الحاكم والشعب، فهذا التقليد واجب، وعلى من يتولى رئاسة المنتفق ان ينفذه دون منة او تكلف.

والمانعيه، مهما كانت قيمتها المادية او المعنوية، فأنها نسيج قيم اجتماعية ايجابية، حرصت المنتفق على الحفاظ عليها بين ابناء

«الديرة» للتلاحم والتقريب وتخفيف اشكال التمايز بين الناس على اساس الثروة. لذلك فالمانعيه وغيرها، غرست في ابناء المنتفق عموماً لليوم، الكرم الاصيل بين بعضهم البعض وبينهم وبين الناس من ضيوفهم.

ومن المشاهد المؤثرة في هذا التقليد الجميل، ان المنتفق حين هزمت جيش الوالي عام ١٨١٣م، واستولت على معداته وموجوداته المالية واسلحته، فأن امير المنتفق- حمود الثامر- [1] اطلق لجنده حق امتلاك ما اخذوه من معدات وثياب ومال من الجيش المهزوم، باستثناء السلاح، لحاجة المنتفق له في منازلاتها القادمة، واسمى ما يحصل «مانعية القوة».

تبات النـاس في حلم العطيـــة

لتصحو في صبـــاح المانعيه

فأنت مزار هذي الارض جوداً

وطيباً يا حفيـــد الهاشـــمية

(١) حمود بن الأمير ثامر بن الأمير سعدون الكبير بن الأمير محمد بن الأمير مانع الثاني، تولى امارة المنتفق بعد مقتل والده على حقبتين امدتا بحدود أربعين عاماً، وفي عهده تبوأت المنتفق مكانة عالية، وتأثيراً واسعاً في مجمل الأوضاع المحلية والاقليمية. ويسمى أحياناً (بحمود الأعمى) جراء فقده البصر في أواخر سنه.

مصادر الحكاية:

١. وزارة الثقافة والاعلام- ابحاث...-ص: ٢٢٤.
٢. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

نفس وثابة

لم ينه خروج المنتفق من البصرة عام ١٦٩٨م بالطريقة التي تحققت، قوة المنتفق ولا طموحاتها، لاسيما ان تجربتهم المستقلة في البصرة، قد اعطتهم جرعات فعالة في ادارة الامور بالطريقة التي تمكنهم من تحقيق نفوذهم الفعلي على ارض الواقع، رغم استمرار الاهمال المقصود الذي مارسته السلطة العثمانية في ما يخص الاوضاع العراقية، وهذا ما دفعهم الى تطوير ادواتهم العسكرية التي تمكنهم من تحقيق قدرتهم بشكل مرئي وواضح.

وبعد وفاة الامير -مانع السخاء- عام ١٧٠٥م، فقد رأس المنتفق ابنه «مغامس» [1] اميراً عليها دون اذن او موافقة السلطات العثمانية، مما اغرى الاخيرة، ان تحدث انشقاقاً داخلياً في المنتفق من خلال استمالة البعض. لكن الذين تم استمالتهم لا يتعدى عددهم اصابع

(١) هو الأمير مغامس الثاني بن الأمير مانع الثاني، ترأس الامارة بين ١٧٠٥-١٧١٨، وقد حافظ ايام امارته على قوة المنتفق ونفوذها لاسيما بعد أن طرد ممثلي الدولة العثمانية من البصرة واستقل بها، ونظم علاقاته مع الدول الأجنبية، وقد حاولت اسطنبول أن تسترضيه بكل السبل لكنه كان عصيا عليها.

اليد، ولم يؤثر فعلهم في حركة الاحداث وتفاعلها، ازاء التفاف المنتفق حول اميرهم وعزيمته الوثابة. وهذا ما بان واضحاً في سلسلة المعارك التي دخلتها المنتفق ضد والي البصرة «خليل باشا» والتي آلت نتائجها النهائية ان ترتمي البصرة بكاملها تحت سيطرة المنتفق في منتصف تشرين الاول عام ١٧٠٥م.

وعبثاً حاول والي البصرة بعد فراره، الاستنجاد بباشا بغداد، لغرض تغيير المستجدات الجديدة التي فرضتها قوة المنتفق، بما تؤثره في عموم الوجود العثماني في العراق، خاصة وان سيطرتهم على البصرة وللمرة الثانية، يعني ان منافسهم الجديد، يملك من القوة ما يستطيع ان يغير الخارطة السياسية في العراق الجنوبي وما ينفتح عليها من مناطق اخرى. الا ان تلك المحاولات، لم تجد من يستمع اليها رغم ادراك الجميع لصحتها، والسبب في ذلك ان ما متوفر تحت ايديهم من قوة عسكرية، لا يتناسب والهدف المطلوب تحقيقه منهم، فضلاً عن ذلك، ان قوة المنتفق ليست من النوع الذي يمكن ان يتقهقهر تحت ضغط اصوات المدافع، وهذا ما اختبروه منهم في مواجهات عديدة. ولذلك فان فارس شمر «عبيد العلي بن رشيد» كأنه يسترجع هذه الحادثة او ما يشابهها حين يقول:

عيب على ألي يتقي عكب ما بان

وعيب طمان النفس عكب ارتفاعه

وكان الامير- مغامس-حريصاً على تعزيز افعاله القتاليه بأفعاله

السياسية، حين ارسل محضراً للسلطات في استنبول، يبين فيه الاسباب الرئيسة لثورته والمتعلقة بالامور الزراعية وحقوق الاراضي وتفاقم كلف الضرائب المستوجب دفعها للولاة، مع اعلان تابعيته للسلطان العثماني، وهو بهذا الاجراء، أراد ان يشتري الوقت لتنظيم احواله وزيادة قدرة قواته القتالية للمواجهات القادمة.

وقد الجأت هذه المتغيرات، سلطات استنبول، ان تسند ولاية العراق للوزير «حسن باشا» الذي يوصف بأنه من اندر الولاة الذين امتلكوا قدرات عسكرية وسياسية كبيرة بحكم تربيته وتنشئته داخل البلاط السلطاني مما وسع من مداركه وقدراته في معالجة الاحداث، كما ان صوته كان مسموعاً عند اعلى المقامات في استنبول، مما سهل عليه الحصول على كل ما يطلبه. وكان التكليف الرئيس له، بضرورة اعادة البصرة وما يحيط بها لسيطرة الدولة «العلية». على الجانب الآخر، فأن الامير-مغامس- فعل اشياء كثيرة داخل البصرة، وصفنا بعضها في حكاية «القضاء والعلم والسماحة» كما انه طور من ادواته القتالية المعبئة لملاقاة الجيش العثماني الذي عبأ وشحن بكل اصناف المعدات القتالية، خاصة قطع المدفعية الجديدة، وأسند بقوات من ولايات كركوك وديار بكر، هذا غير ما متوفر تحت يدي الوالي من قوات، بحيث لم تشهد بغداد من فترة طويلة تجمعاً عسكرياً بمثل ذلك الحجم، سواءاً في عدته ام في رجاله وفرسانه.

وقطعاً ان حشداً بهذا الحجم وهذه العدة، يعطينا الدلالة على مدى النفوذ والهيبة التي حققتها المنتفق لنفسها، والتي دعت سلطات

استنبول، ان تفرغ ولايات عديدة من رجالها ومقاتليها وتآمرهم للذهاب نحو بغداد لمساعدة واليها في معركته الحاسمة ضد المنتفق، التي استطاعت ان تعبأ معها قبائل عديدة مثل «زبيد، بنو خالد، السراي، شمر، مياح» بحيث كان جيشها يملأ السهول وساحات البر مدججاً بسلاحه. وكان هذا الحشد الذي نجحت المنتفق في تحقيقه، اكبر حشد عراقي حصل آنذاك بوجه العثمانيين، مما يعني صحة وقبول خطاب المنتفق الذي اقنع هذه القوى في المشاركة معه في المواجهة الحاسمة ضد السلطات العثمانية.

حين جرت المعركة المنتظرة قرب «نهر عنتر» الواقع في ضواحي البصرة في ٢٢ شعبان ١١٢٠هـ الموافق ١٧٠٨م، كان كلا الطرفين، يدرك انها معركة فاصلة لكليهما، مما جعلها معركة طويلة وقاسية على الطرفين. ولم ترهب رجال المنتفق وحلفاءهم مدافع الجيش واسلحته الحديثة، حتى كادوا ان يوقعوا الهزيمة به، لولا شجاعة وبسالة الوزير-حسن باشا- الذي باشر القتال بنفسه، محرضاً ومعبئاً جنوده وقادته. لقد كان الفريقان يتبادلان النصر والهزيمة، دون ان يظهر على احدهما الانكسار. وبعد مطاولة استمرت اكثر من اسبوع مالت اشرعة النصر للجيش العثماني، بعد ان ابلى جميع مقاتلي المنتفق وحلفاءهم، بلاء حسناً وشجاعاً.

وقد تصرف المنتصر بدون شهامة مع الاسرى والجرحى، خاصةً بعد ان شاع طلب الوزير، بدفع الذهب والفضة لكل من يأتيه برأس من رجال القبائل المتجحفلة امامه. وقد مكن هذا الانتصار الدولة

العثمانية، من بسط سيطرتها على البصرة مجدداً، والتي شهدت احتفالات واسعة اقامها المنتصرون. وقد استرجع شاعرنا تلك الواقعة، ليقول فيها:

حسب انتمائك للعلا من مفخر

في صولة الفرسان مهرك جامح

انت الفراهيدي فـــي ســـيابه

يا عندليب النخل صوتك صادح

مصادر الحكاية:

١. حنا بطاطو- الكتاب الاول- ص: ٦٣.
٢. لونكريك- ص: ١٥٦.
٣. ابن الغملاس- ولاة البصرة ومتسلموها-دار منشورات البصري-بغداد ١٩٦٢-ص: ٦٤، ٦٦.
٤. لوتسكي- ص: ٤٢.
٥. عباس العزاوي- تاريخ.-.- ج٥-ص: ١٦٨، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩.
٦. مرتضى افندي زاده- كلشن خلفا- ترجمة موسى كاظم نورس- بيروت ١٩٧٠- ص: ١٢٥.
٧. ميرزا حسن خان- تاريخ ولاية البصرة- ترجمة د.محمد

وصفي ابو مغلي- جامعة البصرة- مركز دراسات الخليج العربي ١٩٨٠- ص: ٢٠.

٨. علي الشرقي- الالواح- ق١-ص: ٨٧.

٩. عبد الرحمن السويدي- دوحة الوزراء- ص: ٥٤.

١٠. صالح محمد العابد- موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨-١٨١٠- بغداد ١٩٧٩- ص: ٢٤.

١١. طلال عثمان المزعل السعيد- الموسوعة النبطية الكاملة- ج١- ذات السلاسل- الكويت ١٩٨٧- ص: ١٩٢.

القضاء والعلم والسماحة

بعد ان اصبحت البصرة ضمن نفوذ المنتفق عام ١٧٠٥م وبعد ان غسلت نفسها من ادران الاحتلال العثماني، كان النشاط الاول للمنتفق واميرهم-مغامس المانع-نشر القانون من خلال اشعار الاهليين ومرتادي المدينة، بأن حكمه عليها ليس حكماً قبائلياً، تستطيع العشائر ان تفعل ما يحلو لها، بل هو حكماً مدنياً، يراعي حرمة الناس وتحقيق العدل بينهم، لذلك بادر الى تعيين الشيخ «سلمان» قاضياً للمدينة، موصياً اياه ان تكون احكامه مستندة الى الاحكام الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم، مع توخي الابتعاد عن المجاملة على حساب العدل، على ان تكون احكامه سارية ايضاً على جيش المنتفق في حالة المخالفة، قاصداً من ذلك، اعلاء حكم القانون وجعل الجميع سواسية ازاء القانون. وهذا الامر اعطى لفترة حكمه، مسحه من الصيغ المدنية والتي استطاعت القبائل النجاح فيه، من خلال ادارتها لملفات عديدة تستوجبها الحياة داخل هذا الميناء المهم.

كما اسس الامير-مغامس- مدرسة لتعليم الفتيان داخل المدينة،

سماها المدرسة المغامسية، هدف منها دراسة مختلف العلوم بما فيها العلوم الحديثة، وكانت في حينها نقلة نوعية معرفية في حياة سكان هذه المدينة. كما ان ديوانه الخاص، كان مجلساً يؤمه العلماء والاعيان وذوو الشأن العالي في العلوم المختلفة، فراج سوق العلم والادب طيلة وجود المنتفق فيها.

وكانت اكثر الاجراءات الجديرة بالملاحظة، والتي تنم عن وعي انساني وايماني يتجاوز زمن حدوثه، حين اعلن امير المنتفق عن حمايته لكنيسة الاباء الكرمليين واديرتهم الموجودة في البصرة، من خلال براءة الحماية التي اعطيت للاب «حنا الكرملي» والقاضية بالزام تنفيذها من قبل جميع الدوائر الرسمية، كما اعفى رجال الدين المسيحيين من الرسوم الجمركية. وبهذا الاجراء، فانه اوضح عن عمق ما تؤمن به المنتفق من اصالة انسانية بعيدة عن التعصب والانغلاق، مما منحه ثقة جميع التجار وربابنة السفن الاجانب الذين يتعاملون مع ميناء البصرة، وهذا ما دفع الربان الهولندي «بيتر مكاره Peter Makare» ان يطلب مقابلة الامير-مغامس المانع- في ٧تشرين الثاني/ نوفمبر ١٧٠٥م، ملتمساً منه عقد اتفاق بين حكومة البصرة والهولنديين، تتعلق بنشاط وشؤون الشركة وشكل العلاقة الواجب توفرها مع ادارة الميناء، بشأن حركة البواخر الداخلة والخارجة.

حالة الاستقرار والامن التي طبعت البصرة، مع رواج حركة التجارة مع العالم الخارجي اثناء حكومة الامير-مغامس- ولشعور الدول التي تتعامل مع البصرة بجدية وقوة حكومة المنتفق، دفعها للاعترفت

به كحكومة مستقلة ذات تعامل استقلالي وكفوء، وهو ما يمكن ان نطلق عليه في تعبيراتنا الحالية الاعتراف الواقعي «De Facto».

ان ما حققته المنتفق اثناء حكمها البصرة ١٧٠٥-١٧٠٨م، اوضح قدرتهم على التعامل مع المستجدات، بما فيها العلاقات مع الدول الاجنبية، ونجاحهم في قيادة الادارة المدنية وما تحمله من تشعبات، مع ادراكها بضرورة توظيف الدبلوماسية لخدمة خيار القوة الرادعة ان استوجبته الضرورة. والاهم انها اشعرت الجميع، سلطة ووافدين جدد، ان رجال القبائل قادرين وبنجاح ان يديروا شؤونهم جيداً، كلما ابتعد الاجانب والغرباء عن زج انوفهم فيها.

قضـــاء اهلي كالآيـــات والســـور

والعلم عندهم كالنقش في الحجر

لافرق في العيش كل الناس اخوتنا

الديـــن للـــه والاوطـــان للبشر

مصادر الحكاية:

١. ميرزا حسن خان-ص: ٢٠.
٢. عباس العزاوي- تاريخ....- ج٥- ص: ١٨٠، ١٦٨.
٣. لونكريك- ص:١٥٦.
٤. مرتضى افندي زاده- ص: ١٢٥.

ترحيب بأبناء العم

بعد وفاة الامير -مغامس المانع- عام ١٧١٨ م، ولت المنتفق شقيقه «محمد المانع»[1] اميراً عليها، دون اذن او موافقة السلطات العثمانية، ادراكاً منها، ان ذلك امر يخص المنتفق وحدهم. وقد حرص الامير الجديد، منذ بداية توليه الامارة، ان يلعب دوراً مؤثراً في حياة العراق، حين سعى مع قبائله على تشجيع هجرة اغلب عشائر نجد والحجاز العربية نحو العراق، بعد ان تيقن الى ما يتعرض له العراق من مخاطر من قبل الفرس والعثمانيين، وبما يجعله تحت ضواغط دائمة من كليهما، او بشكل منفرد، خاصة وان العراق، كان دوماً مسرحاً للصراع والتنافس بين هاتين الدولتين. وكان ادراكه انه بدون ذلك المعادل النوعي، فان هوية العراق العربية تصبح محل شك.

وقد لبت هذه الدعوة قبائل وعشائر متعددة، مثل (مطير، حرب،

---

(١) الأمير محمد بن الأمير مانع الثاني، تولى الامارة بين أعوام ١٧١٨-١٧٢٩ وقد انشغل طوال مدة امارته بترصين قوة اتحاده القبائلي، والترحيب بالقبائل العربية النازحة نحو العراق بعد ادراكه المخاطر المستقبلية التي قد تحصل وتعرض الهوية العربية فيه الى الخطر.

الضفير، سبيع، شمر، قحطان، عتيبة، عنزه....الخ) وبهذا النزوح العربي والمشجع عليه من قبل المنتفق، فشلت كل جهود هاتين الدولتين (العثمانيين والفرس) لتغيير الخارطة السكانية لصالحهما. لان اغلبية المحيط العربي الذي خلقته ورعته امارة المنتفق، اجهضت اية محاولة لمسخ عروبة العراق. ولعل ما نلاحظه حالياً من دعوات عنصرية وطائفية وتغريبية، لتغييب الهوية العربية من العراق، بعد الاحتلال الامريكي له عام ٢٠٠٣م، امر واضح رغم ما امتلكته من ادوات سلطوية واعلامية ومالية، قد اصطدم بالعمق العربي، الذي كان للمنتفق وللقبائل الاخرى دوراً ريادياً في تحقيقه، مما عطل وحجَّم هذه الدعوات، رغم ما تملكه من اسناد ودعم من اطراف كثيرة، تقف في مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية.

ولابد ان نضيف ان بادية المنتفق ظلت مفتوحة لهذه القبائل، لذلك كانت اقرب الديار للهجرات الواسعة للقبائل من شبه الجزيرة العربية، لاسباب سياسية واقتصادية واجتماعية.

وعليه نجد ان صلة القرابة بين قبائل نجد والحجاز والمنتفق، واسعة، لان اغلب عشائر المنتفق، عشائر نجدية او حجازية. كما ان الجدب والركود الاقتصادي وقسوة الحياة، سمات طبعت حياة قبائل نجد، يقابلها في ارض العراق، وفرة مائية واراضي زراعية خصبة، ومنتوجات تكفل للحياة البشرية ديمومتها. هذه الامور مجتمعة، شكلت عوامل اغراء لقبائل الجزيرة العربية للارتحال صوب بادية ومنطقة المنتفق، دون ان ننسى ان امراء المنتفق، قد اجملوا الترحيب

بهذه القبائل الوافدة، واحلوهم بما يليق بهم واقطعوهم الاراضي الزراعية على ضفتي الفرات.

ان حسن الاستقبال الذي مارسته المنتفق مع القبائل النازحة نحوها، واعطائهم الاراضي الزراعية ومراعي الماشية، قد وازن المعادلة التي كانت المنتفق تخشاها من ازدياد غير العرب في الاقليم العراقي. كما ان الانصهار الحقيقي للقبائل النازحة مع ما يحيط بها من قبائل وعشائر المنتفق يعود فضله لامراء المنتفق الذين امتلكوا القدرة والجدارة التي اعطت لهذا الاتحاد القبائلي، الامكانية في ان يصارع كل اعداء العراق في حملات لا تنتهي، ويحمي العراق الجنوبي واعالي شبه الجزيرة العربية والخليج من غزوات كل الطامعين من المحيطين به. وقد ظلت سياسة الترحيب والنزوح العربي نحو العراق، منهجاً دائماً لكل امراء المنتفق ممن اعقبوا الامير – محمد المانع.

وقد اتسعت هجرة هذه القبائل نحو المنتفق والعراق، بعد ان تلمست الخير الذي اصاب من سبقوهم للهجرة من القبائل الاخرى. وهذا مثلما افاد تلك القبائل، فانه افاد المنتفق، وهي تمنهج قوتها في ان يكون خطابها السياسي – العسكري مع العثمانيين تحديداً، يوحي بالكثير من مقومات القوة والتماسك، المستند الى حقائق الفعل والنفوذ على الاقليم الممتد التأثير الحقيقي فيه.

ولذلك يقول شاعرنا في هذه الحكاية:

يبقى العراق ويبقى النخل والعرب

والجاه والعرض والامجاد والنسب

ان افترقنـــا فشـــمل الـــدم يجمعنا

ولن يعكر عجمـــاً بحرنـــا اللجب

مصادر الحكاية:

١. علاء كاظم نورس- حكم المماليك في العراق ٧٥٠-١٨٣١- دار الحرية للطباعة- بغداد ١٩٧٥- ص: ١٩.
٢. عباس العزاوي- عشائر العراق- ج٤- مطبعة بغداد ١٩٣٧- ص: ٢٧.
٣. رسول الكركوكلي- دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء- ترجمة موسى كاظم نورس- دار الكتاب العربي- بيروت (من دون تاريخ)- ص: ١٥-١٩.
٤. عباس العزاوي- عشائر العراق- ج١- مطبعة بغداد- بغداد ١٩٣٧- ص: ٣٠.
٥. محمد خليفة النبهاني- التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية- ط١-دار احياء العلوم-بيروت ١٩٨٦- ص: ٣٦٩.
٦. عبد الكريم محمد علي- تاريخ مدينة سوق الشيوخ- مطبعة عصام- بغداد ١٩٩٠- ص: ٢٦.
٧. مركز المخطوطات- رقم الملف (٣٣٧٠٤).

الخان والخزعلي

لم تشهد امارة المنتفق طيلة وجودها، تسليم أي شخص طلب الدخالة (اللجوء) لديها، خوفاً من الاخرين، سواء كان الآخرون دولة او جماعة او قبيلة. ولذلك باتت ديار المنتفق اشبه بالملجأ الآمن، لكل من تقطعت به السبل خوفاً او هلعاً من الآخرين. ليس هذا فحسب، بل ان الامارة تكرم دخيلها وتمكنه من مواصلة حياته بالشكل الذي يناسبه، ولهذا السبب، فان قلة ممن استوطنوا المنتفق، خرجوا منها، وحتى لو فعلوا، فهو لمكانة اعلى عما سبق وجوده فيها.

ومن اشهر وقائع «الدخالة» التي امتحنت بها المنتفق، واقعة والي الحويزة «فرج الله خان بن مطلب خان» الذي فر نحو المنتفق عام ١٧٠١م بعد ان طلبه الشاه، ازاء مخالفاته المتكررة بعد ان ولاه مقاطعة الحويزة. ولم تسلم المنتفق دخيلها للشاه رغم ضغط الدولتين العثمانية والفارسية عليها، علماً ان هذا الرجل، غدر بالمتفقين وكان احد الاسباب الرئيسة التي ادت الى اخراج المنتفق من البصرة عام ١٦٩٨م، بمؤامرة مشتركة بينه وبين العثمانيين.

اما قصة حماية الثائر «سلمان بن عباس بن محمد بن مهنا الخزعلي» الذي فر من الدولة العثمانية عام ١٧٠٥م، بعد ان احتلت المناطق كافة التي كان يسيطر عليها، وتشتت شمل القوات التي كان يقودها، فهي مثل اخر لحماية الملهوف. وفرار- الخزعلي- نحو المنتفق، رغم حالة العداء الحاصلة آنذاك بين المنتفق والخزاعل، متأت من ادراكه، ان هذه الامارة لن تسلمه لسلطات الدولة، ولن تصد بوجهه سبل الحياة اللائقة والكريمة. ولم يكن توقعه الا في محله، حين رفض امير المنتفق «مانع السخاء» جميع طلبات الدولة الرامية الى تسليم الشيخ- سلمان- والتي كان يلح عليها والي العراق «حسن باشا».

ولم يرضخ امير المنتفق للتهديدات او الضغوط التي مورست معه في هذه القضية، رغم أن الوالي استفزه وذكره بحالة العداء القائمة آنذاك بين الطرفين، مذكراً اياه بالرسائل المتلاحقة بنتائج المعركة التي حدثت بينهما عام ١٧٠٣م. ما جرى في المنتفق، جاء معاكساً لتلك الطلبات، حين واجه الامير-مانع-هذا الموقف، باسكان الشيخ- سلمان- بجواره معززاً مكرماً، ورد رسل الوالي بهدوء وكياسة مبعداً أي خطر قد يتعرض له ضيفه. بل ان الشيخ-مانع- وازاء تلاحق الرسائل عليه من الوالي، بضرورة تسليم الشيخ-سلمان- صعد من شكل المواجهة المحتملة، حين ارسل على اتباع الشيخ الخزعلي للالتحاق به في مكانه الجديد، وهذا ما حدث حين بدأ اتباعه بالوصول اليه محاطين برعاية وحماية المنتفق. وقد ظل الشيخ-سلمان- واتباعه في ارض المنتفق مكرمين ومحاطين بالود، حتى عام ١٧٠٨م، حين

قرر الذهاب الى بلاد العجم بعد ان عين حاكماً على مقاطعة الدورق والدوست.

وتكرر الامر ايضاً مع احد شيوخ الخزاعل المتميزين، الا وهو الشيخ «حمد الحمود» الذي دخل في مواجهة مع الدولة العثمانية عام ١٧٦٩م، اسفرت عن هزيمته وتدمير مدينة «لملوم» التي كان يتخذها مقراً لمشيخته، حيث طلبته الدولة بشكل ملح. ولم يجد الرجل في تلك اللحظات من يزيل الرعب الذي سكنه، ويجذر في نفسه روح المطاولة والصبر غير المنتفق واميرها «ثامر بن سعدون» [١] الذي استضافه ووالده بكل ما عرف عن المنتفق من اريحية ونبل. بل ان الامير-ثامر- توسط له بعد عام عند الدولة العثمانية، ليستصدر قراراً بالعفو عنه، واسقاط الضرائب المستحقة عليه كافة واعادته للمشيخة في ديار نفوذه. الا ان ذلك الموقف نساه او تناساه الشيخ-حمد- بعد عشر سنوات، ليتصرف بطريقة لم يألفها المناخ السائد آنذاك، والتي فصلناها في حكاية «وليمة غريبة»!!!

لا تطلبوهم حصـنهم ممنوع	لن يسكتونا صوتنا مسموع
نهب الدخيل اذا يشاء ديارنا	وسلامنا اذ ما يشاء ركـوع

(١) الأمير ثامر بن الامير سعدون الكبير بن الامير محمد المانع، تولى الامارة بين اعوام ١٧٦٩-١٧٧٩ بعد مقتل والده الامير سعدون الكبير. ويحسب للأمير ثامر دوره الكبير في الدفاع عن البصرة طوال مدة حصارها الذي استمر عاما كاملا من قبل القوات الفارسية، ومن ثم لاحقا دوره القيادي والمباشر في تحريرها من الاحتلال الفارسي والذي استمر بين اعوام ١٧٧٦-١٧٧٩، إذ تحملت المنتفق تحت قيادته كل تبعات ذلك الاحتلال، إلا أن إرادة وعزم المنتفق سجلتا نصر التحرير الذي عجزت عن تحقيقه دولة الخلافة رغم كل جيوشها وباشواتها، وولاتها المتعددين.

مصادر الحكاية:

١. حمود الساعدي-دراسات عن الخزاعل-مطبعة الاداب-النجف ١٩٧٤-ص:٢٢،٢٠، ٤٧.
٢. عباس العزاوي- ج٥- ص: ١٦٧.
٣. عبد الرحمن السويدي- ص: ٣٥.
٤. جعفر الخياط- ص: ١٦٤.
٥. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

انا السلطان الثاني
لا الوالي ولا العسكر العثماني

هكذا كان يعلن الامير «سعدون بن محمد المانع»[(١)] عن مشروعه السياسي، بوجه السلطات العثمانية، طارحاً نفسه سلطاناً موازياً لسلطان استنبول، بحكم امكانات القوة التي يملكها على اقليم نفوذه، مترجماً اقواله بأفعال لا يمكن تجاهلها، وبطريقة تتوافق بين المعلن والمنفذ.

فالامير-سعدون- حالة خاصة في تاريخ المنتفق والعراق، بفعل ما يتمتع به من مؤهلات قياديه، اهلته ان يتآمر على المنتفق في عمر لا يتجاوز الخامسة والعشرين. كما ميزته شخصيته القوية بين اقرانه من

(١) الأمير سعدون الكبير جد أسرة آل السعدون بن الأمير محمد بن الامير مانع الثاني، تولى الامارة بين أعوام ١٧٣٨-١٧٤٢، واذا كان من وصف يطلق عليه فهو الثائر الدائم ضد الوجود الاجنبي في ارضه، وكان يطمح في انجاز الاستقلال عن الدولة العثمانية حيث كان المبادر الاول في ولوج ذلك الطريق المملوء بالمصاعب لكن محاولته لم تتحقق رغم انه دفع من اجلها حياته، واخذت عائلته تتلقب باسمه كاسم تعريفي له، وقطعا ان ذلك امر له اكثر من دلالة.

ابناء المنتفق والتي ترجمتها غزواته المتعددة التي احرزت له مكانة عالية، من خلال شجاعته وجرأته واقتحامه المصاعب.

وقطعاً ان اعلانه بأنه «السلطان الثاني» جعل الدولة العثمانية إزاء اشكاليتين، اولهما: في شكل وطبيعة علاقاتها مع رعاياها من «العرب» وثانيهما: ان السكوت على مثل هذه الدعاوي، يشكل تحدياً لسلطتها، غير ما يفعله من تأثير ايجابي في الآخرين ودعوتهم الى الثورة. هذه الاشكالية المزدوجة، دفعت اعلى سلطات استنبول لان تتعامل مع الحدث بجدية غير المألوفة على المسرح العراقي.

وسعدون بن محمد، عكس كل من سبقه او من لحقه من امراء وشيوخ المنتفق، تميز بشيء آخر، الا وهو ارتباط اسرته الكبيرة باسمه تحديداً، وقطعاً ان ذلك لم يأت نتيجة اعجاب محض، بقدر ما عززته وقائع دعت الكثيرين للفخر بالانتساب له، وهذا يعني مكانة متميزة لمن يقترن به اسم لاسرة حكمت العراق الجنوبي طويلاً. ولانه متميز في شجاعته وطريقة تأميره، كذلك فهو متميز في حياته الشخصية، فلم يتزوج الا لمرة واحدة، مخالفاً العادة السائدة آنذاك، بتعدد الزوجات، كما انه لم ينجب الا ولداً واحداً، كان صنو ابيه في كل شيء، عكس الآخرين الذين أنجبوا اسراباً من الابناء، كان الكثير منهم، حوامل ثقل على مسيرة المنتفق.

ولانه كذلك، فقد امر نفسه بمعونة ابناء المنتفق عليها، حين عزل

اميرها المعين «منيخر الصقر» [١] دون ان يكون للسلطة تأثير في ما حصل، وهذا ما اكسبه عداوة الدولة وولاتها، وعليه فلم نستغرب، اجراءات الدولة ضده، حين دعي مع بقية شيوخ العراق لاجتماع يعقد في «الحسكة»- الديوانية- عام ١٧٣٨م، تم فيه تلطيف الجميع بالباسهم حلة المشيخة والامان، سوى الامير-سعدون- الذي اخذ مأسوراً لبغداد، ليعتقل في الثكنة الحجرية لثلاثة اشهر. ماجت فيها المنتفق غلياناً على اميرها وما لحق به من اذى، الامر الذي اضطر الوالي «احمد باشا» ان يطلق سراحه تجنباً لما هو اسوأ، مبرراً ما حدث، بأنه متأت من اعلانات الامير-سعدون- بوصفه السلطان الثاني في ارض المسلمين.

ولان الوالي- احمد باشا- [٢] من افضل ولاة العراق واكثرهم دهاءاً وحزماً، فقد توصل لتقدير موقف، كانت خطوطه تتمحور، بأنه إزاء شخصية محورية، لها فعلها الاني والمستقبلي، وذات حضور واهمية كبيرة في العراق الجنوبي، زائداً ما كانت تستند اليه من اتحاد قبائلي كبير، مما تتطلب منه، اطلاق سراح هذا الثائر والانعام عليه

(١) الشيخ منيخر بن ناصر بن صقر بن مانع الثاني، تولى الامارة خلال مرحلتين، الأولى ١٧٢٩-١٧٣٨، والثانية ١٧٤٢-١٧٤٨، ويحسب للرجل مسالمته للدولة وانصياعه لأوامرها، وكان المسبب الرئيس في مقتل الامير سعدون الكبير بعد ان استخدمه الاتراك كدليل لهم.

(٢) الوالي احمد باشا بن الوالي حسن باشا، تولى حكم العراق بعد وفاة والده عام ١٧٢٣، واستمر حكمه حتى وفاته عام ١٧٤٧، بعدها ابتدأت حقبة جديدة من تاريخ العراق تسمى حكم المماليك والتي استمرت اثنان وثمانون عاما ابتداءا من عام ١٧٤٧ بتعيين سليمان ابو ليلة واليا على العراق بدرجة وزير وانتهاءا بعام ١٨٣١ بسقوط بغداد واسر الوالي داود باشا من قبل الجيش العثماني.

بامارة المنتفق، بعد عزل من عينه قبل ثلاثة اشهر.

ولان الامير-سعدون- ذو طبع مجبول على الثورة والتحرر بعيداً عن تأثير العثمانيين ونفوذهم، مع ما يحظى به من محبة عشائره له واطاعتها لاوامره، فقد نهض بثورة اواخر عام ١٧٣٨م، امتدت صعوداً حتى وصلت مشارف الحلة، ممرغاً سلطات الدولة بالوهن والانكسار، مما استوجب على الوالي-احمد باشا- ان يقود قواته بنفسه، مدركاً الاخطار المحتملة من هذه الثورة. ونظراً لامكانات القوة التسليحية التي تميل لصالح الدولة العثمانية، فقد اخذ الامير-سعدون- يدخل في معارك تراجعية، منظماً قواته ومحافظاً عليها من التدمير، حتى حاصرتهم قوات الدولة في المستنقعات المائية الموجودة في ارض المنتفق. ورغم قسوة الحصار وآلامه، لكن -سعدون- لم يستسلم او تنكسر ارادته. بل ان العكس، هو ما حدث، حين رفعت قوات الدولة الحصار بعد ان طالت مصاولة اهل المنتفق في معاركها معه. ولخشية- احمد باشا- من تجدد اطماع الشاه الفارسي- نادر شاه- في العراق. مع ما يشكله امراء بابان من خطر محتمل، مع ما يضاف اليها من سبب، وهو اعجاب الاثنين «احمد باشا والامير سعدون» ببعضهما، ازاء ما يتمتعان به من صفات رجولية وشجاعة وجرأة وتضحية وكرم وتحمل المشاق. ما حدث من رفع الحصار، وعودة الوالي لبغداد دون حسم المواجهة وظفه الامير-سعدون-لصالحه، مما أكسب اعلاناته، ودعاوية المصداقية والثبات. لذلك، ما ان هل عام ١٧٣٩م، حتى جدد-سعدون- ثورته التي كانت

اشد من سابقتها، بعد ان اتسعت دائرة التأييد له من خارج «ديرة» المنتفق، حين شاركت فيها الكثير من العشائر والقبائل الاخرى، دعماً لدعاويه في الاستقلال. وقد استمرت هذه الثورة متصاعدة، لثلاث سنوات، استطاع فيها الامير-سعدون- ان يفرض سيطرته على عموم الفرات الاوسط بعد ان طرد ممثلاً الدولة وجيوشها. كما تمكن من محاصرة البصرة، والغى وجود الدولة الفعلي، مما مكنه من فرض الاتاوة حتى على وكلاء الشركات الفرنسية والبريطانية العاملة في البصرة، مما اضطر سفرائهم في استنبول ان يقابلوا الصدر الاعظم للدولة، ويعلموه بما يحدث.

وقد وصف بعض المؤرخين ثورة الامير-سعدون- بأنها اول محاولة لعرب العراق في سبيل استرداد حريتهم واول حركة يقومون بها لتشكيل حكومة مستقلة لهم في العراق، بعيداً عن النفوذ العثماني. وارى انه لو قدر لهذه الثورة الانتصار، لانعكست تأثيراتها في مجمل الاقليم العربي والاسلامي بطريقة ظاهرة، ولأيقظت الكثير من التوظيف الايجابي ومن الطاقات الكامنة والمعطلة، وحينها سيكون مسار التاريخ غير الذي حدث. لكن مقادير البشر مرهونة بارادة الله سبحانه وتعالى. وتتويجاً لعزيمته وارادته الصلبة، وامانة لشجاعة رجاله واستبسالهم، قدم الامير-سعدون- نفسه فداءاً للمنتفق في هذه الثورة، ليحفظ طاقات «الديرة» لقادم الايام.

ويصف شاعرنا هذه الثورة، بالقول:

يا ثورة من جنوب النخيل تتقد

هزي العروش فهذا الملك يرتعد

النـــار نارك ذا سعدون اوقدها

فكيف تفزع من اشـــبالها الاســد

مصادر الحكاية

١. لونكريك- ص: ١٩٠-١٩١.
٢. يعقوب سركيس-مباحث عراقية- ق٣- ص: ١٩٦-١٩٧.
٣. عباس العزاوي- ج٥- ص: ٢٥٦-٢٥٨.
٤. رسول الكركوكلي- دوحة... ص: ٤٣-٤٤.
٥. ياسين خير الله العمري- غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام- مطبعة دار البصري- بغداد ١٩٦٨- ص: ١٨٠.
٦. د.علي الوردي- لمحات... ج١- ص: ١١٧.
٧. جعفر الخياط- فصول...-ص: ١٢٦.
٨. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).
٩. الشماس ميخائيل بن المقدسي يوسف بن ديمتري الخوري- نبذة من تاريخ بغداد والبصرة والمنتفق- مخطوطة غير محققة في مركز المخطوطات بالرقم (٣٣٥٨٥).

تضحية نادرة

ثورة الامير-سعدون بن محمد- العارمة التي استمرت من عام ١٧٣٩م حتى عام ١٧٤٢م، اجبرت المجلس السلطاني للدولة العثمانية على الانعقاد، بعد ان علت احتجاجات سفراء بريطانيا وفرنسا، جراء ما يتعرض له مواطنوها من عنت وتهديد، جراء تحلحل مؤسسات الدولة، واتساع قدرة ونفوذ الامير-سعدون- التي اجبرت قناصل تلك الدول في البصرة، على دفع الاتاوة له، مما عرض هيبة الدولة العثمانية الى التردي إزاء الدول الاخرى. فضلاً عن ذلك، ان المجلس السلطاني، قد حسب الآثار المترتبة على اتساع رقعة هذه الثورة على مجمل الوجود العثماني في العراق وشبه الجزيرة العربية، مما دفعه ان يصدر تعليماته المشّددة لوالي بغداد، ان يقضي على ثورة «هذا الاعرابي الجلف» مثلما جاء في توجيهه.

ولان الطبع، غلب التطبع، فقد ساهم هذا «الطبع» ان يكون مشاركاً في مقتل الامير-سعدون- لان عادة اهل المنتفق، انهم يسيحون في فصل الربيع باتجاه بادية الشامية، بحثاً عن العشب

والصيد والانطلاق، تماشياً مع طبائعهم التي جبلوا عليها. لذلك فقد اتجه الامير-سعدون- مع ثلة من جيشه نحو هذه البادية، مقدراً ان اية قوات حكومية، ستذهب لفك الحصار عن البصرة، سيعرف طريقها، مما يعطيه المجال والقدرة على مهاجمة القوات الحكومية من الخلف، ويترك له مجال المناورة مفتوحاً نحو الصحراء.

الا ان الكهيه «سليمان أغا» والذي اصبح في ما بعد الوالي سليمان باشا الكبير، الذي انيطت به قيادة جيش الدولة لافشال هذه الثورة، وضع خططه في البحث عن الامير-سعدون- ومقاتلته، مقدراً ان غيابه عن الساحة سينهي الاوضاع الاستثنائية كافة دون الحاجة للاصطدام مع جيش المنتفق المحاصر للبصرة. لذلك، اخذ الكهيه، متابعة تواجد مضارب المنتفق في بادية الشامية، مدفوعاً برغبته في الانتقام من-سعدون- لاهانة سابقة تعرض اليها على يده يوم اعتقل عام ١٧٣٨م في الثكنة الحجرية في بغداد، فطاردهم بأرتال سريعة ودخل معهم في معارك سريعة، كانت اغلبها لصالح المنتفق، الا انه تمكن من تحقيق ضربة كبرى، حين زوده شيخ المنتفق السابق «منيخر الصقر» بادلاء من الاعراب التابعين له، لغرض التجسس والاخبار عن تواجد الامير-سعدون- وحجم قواته. وهذا ما حصل، حين اخبروا الكهيه، بمكانه وعدد فرسانه، فأسرع الى اللحاق بهم، وقد وجده يتفقد عجوزاً في آخر الرتل، اصرت ان تعد لاطفالها خبزاً، ورغم ايضاحه لها، ان الوقت غير مناسب لمثل هذه الامور، الا انها اجابته «ما دام سعدون موجود، سأعجن واخبز» الامر الذي اضطره ان يكون

الحامي لها، وبذلك ربط مصيره مع رغبة تلك العجوز، التي لم تكن تعرفه، الا بعد ان هاجمه الجيش من خلال تشخيص الأدلاء عليه.

حين طوقته قوات الجيش، لم يفر، رغم كونه قادراً على ذلك، بل اظهر شجاعة فائقة. لانه بعد ان كسر رمحه وسيفه فوق دروع وخوذ الجنود حين مهاجمته اياهم ومدافعته عن نفسه، استل ركاباً من السرج، فواصل القتال. وقد كان في حينها، يمتطي فرساً حديثة العسف، لم تألف اجواء القتال، فأوقعته مرتين عن سرجها، لكن ذلك لم يثنه او يكسر ارادته في القتال، فحارب بعنف وشدة، تفوق العادة، تمكن خلالها من خرق صفوف الاعداء والكر عليهم مرة ثانية، بعد ان حصد منهم الكثير في قتاله الذي استمر ساعات.

ويصف موقعته الرحالة «نيبور» (بأن العرب لازالوا يتغنون بالشجاعة التي ابداها شيخهم سعدون، كيف دافع عن نفسه بالرمح ثم بالسيف وبعدها بالدبوس- وهو نوع من الهروات- واخيراً بالركاب، فزمام فرسه...) كل ذلك حصل دون تدخل من قواته التي كانت غير عارفة بما يحصل، لانها في حالة رحلة، وكان هو كثير الحركة بين مقدمة جيشه ومؤخرته، وكان غيابه امراً مألوفاً، ازاء حركته الدائمة.

هذا القتال الطويل الذي خاضه بمفرده، انهكه، لذلك سقط من الاعياء، دون ان يجرؤ احد على قتله لفروسيته وشجاعته. وقد قدر لاحد الجنود واسمة «صادق» ان يأسره، فجلبه للكهيه-سليمان أغا-. وحين تلاقى الاثنان (سعدون والكهيه) عرفه-سعدون- بنفسه

من خلال تعداد اسماء اجداده، ثم سأل الكهيه عن اسم والده[١]. وقد ازعج هذا السؤال الكهيه، الذي كان كرجياً بالاصل بيع اسيراً في شبابه، فأمر بقتله فوراً. ويذكر- لونكريك- (ان حادث قتل اغا مملوك لهذا الشيخ الباسل بدم بارد، كان يذكر طويلاً في ما بعد لطبيعة العلاقة القائمة بين المنتفق والسلطة العثمانية).

وكأن الشاعر «ابو سرحان» كان يقول فيه وعنه:

يشـــب بيـــه الحريج انـــوب
يطــفيني واظـــــل اطــفـــــه
واكـــــلك ايــــه يحـــاديني
حلاة الموت لو مات الرجل وكفه

بعد مقتل الامير-سعدون- الذي قطع الكهيه رأسه وبعث به الى بغداد، فعرض مرفوعاً على رأس رمح فوق باب السراي، واطلقت مدافع القلعة العسكرية ابتهاجاً، حيث بقي الرأس على هذه الحال ثلاثة أيام، ثم امر الوالي ان يسلخ رأسه ويحشى تبناً، ويوضع في صندوق ويرسل الى استنبول لما شاع وذاع عندهم من قوة بطشه. وقد كوفيء الكهيه، بلقب «باشا» بطوغ واحد، ودفعت نساء الكهيه للجندي صادق (٤,٠٠٠) غرش في حين دفع له الباشا الجديد (٦,٥٠٠) غرش، وكذلك فرس الامير-سعدون- مع عدتها الثمينة.

وقد أسف الوالي- احمد باشا- على مقتل الامير-سعدون- وابى

---

(١) المقصود بالسؤال: ان المعني لا يعرف له اصل، لانه اما جاء طفلاً كأسير او رقيقاً مشترى من بلاد الفقر الاسيوية، واما انه جاء نتيجة علاقة غير شرعية داخل بلاط (حسن باشا). وفي الحالتين، فأن ذلك اسوء ما يوصف به الرجل عند العرب.

ان يرى رأسه، لانه كان يعده رجلاً شجاعاً ونبيلاً. وما وقائع معركته الاخيرة، الا نموذجاً لما يتصف به من شجاعة وفروسية، لانه بمقتله حمى جيش المنتفق من التعرض للقتال، وكأنه اراد بهذا، ان يحمي الاخرين من خلال التضحية بنفسه.

وبمقتل الامير-سعدون- فقدت المنتفق زعيماً باسلاً وقائداً متميزاً، ورجلاً اعطى للشجاعة والنبل معانيهما، مثلما كانت خسارتها فيه كبيرة، لكونه احد البيارق العنيدة التي كانت تتطلع للتحرر والاستقلال، دون ان يمنحه الوقت الذي عاشه لتحقيق تلك الامنية العزيزة على نفسه. كما ان مقتله وفشل ثورته التي استمرت ثلاث سنوات، حجب عن العراق والمنطقة، آمالاً واعدة، كان يمكن ان تتحقق وتأخذ الجميع لحال افضل مما آلت اليه الاحوال، باستمرار الوجود العثماني. لكن تبقى للاقدار احكامها.

وبمقتله تخلص وزير بغداد من اشد خصومه خطورة، مما سهل امره ومن تبعه من الولاة، في التدخل في شؤون المنتفق، بما يتوافق وسياسة الدولة العثمانية، وهذا ما حصل، حين اعاد المشيخة لـ(مينخر الصقر) الذي كان موظفاً جيداً، يحسن التعامل مع متطلبات الدولة وسياساتها. وبهذا الاجراء، عطلت امكانات المنتفق في التوظيف الايجابي الذي كانت عليه ايام سعدون وايامه المتوهجه.

القى على درب الرجولة نظرة

الموتى فضاقت بعده طرقاته

قد ايقنت بالموت كل حواسه

حقـاً والبس من حنوط ذاته

قد اودع الثقلين ســر ثباتــه

فتساءل الحســاد اين ثباتـه

حتى اذ ظمأ التراب من الدما

هز المـدار فأمطرت حباتـه

مصادر الحكاية:

١. رسول الكركوكلي- ص: ٤٤-٤٥.
٢. جعفر الخياط- ص: ١٢٧.
٣. يعقوب سركيس- ق٣- ص: ١٩٨-١٩٩.
٤. مشاهدات نيبور في رحلة من البصره الى الحلة ١٧٦٥- ترجمة سعاد هادي العمري- مطبعة دار المعرفة- بغداد ١٩٥٥- ص: ٦٠-٦١.
٥. لونكريك- ص: ١٩١.
٦. لوريمر- دليل الخليج- القسم التاريخي- ج٤- ترجمة مكتب امير دولة قطر- مؤسسة العلوم للطباعة والنشر- الدوحة- ص: ١٧٨٣.
٧. عباس العزاوي- ج٥- ص: ٢٥٨.

٨. د.علي الوردي- ج١- ص: ١٢٧ .
٩. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠)
١٠. مركز المخطوطات- رقم الملف (١٧٦٥٢)
١١. مركز المخطوطات- رقم الملف (٣٣٧٠٤).

فزعه

في أيام امارة الشيخ «عبد الله محمد المانع ١٧٥٧-١٧٦٩» لاحظ الشيخ «ثامر بن سعدون- اثناء احدى معارك المنتفق ضد الدولة العثمانية، وجود شقيقيين من ذوي الجرأة والبسالة في القتال، بحيث انهما كانا رداءاً للناس إزاء هجمات اعدائهم، وحين سأل عنهما، قيل له، انهما «حسن وحسين» من (بني خيقان) احد عشائر المنتفق. وبعد انتهاء المعركة، ارسل الشيخ- ثامر- عليهما، طالباً يد شقيقتهم للزواج، لكنهما فوجئا بما طلب واخبراه انها راعية غنم ولا تصلح له ولا تليق بمقامه، لكنه اصر على طلبه.

إزاء اصراره على ذلك الطلب، ارسلوا في طلب شقيقتهم، وهيئوها لبيت الزوجية، مع عجبهم ودهشتهم لما حصل! !!وبعد الزواج منها، انجبت له عظيم المنتفق، وقرمها الماجد-حمود- وشقيقه الوفي- محمد-. وحقاً كان زواجاً مباركاً، خدم المنتفق والعراق بشكل كبير.

وتمر الايام، وتتقاطر السنين، حتى يتآمر الشيخ-ثامر- على

المنتفق عام ١٧٦٩م. وكان كبير ابناءه- حمود- غير ذي اهتمام من قبل والده، وكان قليل الاكتراث بما يدور حوله رغم طوله الفارع وجسده المتناسق، كما انه كان كريم العين والتي فقدها يوم كان صبياً اثناء لعبه مع احد ديوك اللعب التي كانت لديه وهي إحدى الالعاب التي كانت شائعة آنذاك. وتدخل المنتفق في معركة مع «بني خالد» في منطقة الاحساء عام ١٧٧٧م، يوم كان اميرهم «سعدون بن عريعر». بعد ان بدأت المعركةا وحمى وطيسها، وازاء ثقل هجوم بني خالد على المنتفق، فقد اضطر اميرهم ثامر، ان يمارس القتال بنفسه وعلى خطوط جيشه الامامية المواجهة لمنافسيه، الامر الذي دفع بني خالد، للاستقتال من اجل هزيمة المنتفق. ولان عوائل المقاتلين كانت ترافق الجيوش في تلك الاوقات، فقد سألت «ام حمود/ فزعه» عن زوجها، فاخبرت انه يقاتل وسط الميدان،.... فتلفتت يميناً ويساراً، وجذبت (حمود) بقوة وبقسوة، مخاطبة اياه «يا الاعور، ان اباك لم يتزوجني لجمالي وعقلي، انما تزوجني لشجاعة اخوتي حسن وحسين، وانت كبير ثامر السعدون معي في ركب النساء، والسيوف تدور فوق رأس ابيك،.. انك سبه على أبيك واخوالك»! !!

ايقظت هذه الكلمات كل خزين الشجاعة والبطولة والاستنفار، عند حمود، فقطع «التعويذة» الذهبية التي كانت امه قد علقتها في رقبته، ورماها ارضاً، وخاطب والدته: «سترين من أنا...» فذهب مسرعاً للقتال، وفعل افعالاً كبيرة، مكنت المنتفق من رد بني خالد وكسر شوكة هجومهم. بل يقال ان احد مقاتلي بني خالد، وكان على

معرفة عميقة بالامير ثامر، اقترب منه وخاطبه بالقول: «يا ثامر امنع «مصموطك»- يقصد حمود- تراه ذبح فرسانّنا» اسحبه لينتهي كل شيء،...» وهذا ما حصل. ولذلك فان تلك المعركة التي سميت بـ «يوم الرضيمة» سجلت بالكامل كأحد ابرز ايام- حمود الثامر- منبئة عن مشروع شخصية قادمة، مليئة بالطاقات التي تمكنه من لعب ادواراً هامة في تاريخ العراق والمنطقة الاقليمية.

ستَرين فعلي قد قطعت عهوداً

فأنا ابن من وضع النجوم حدودا

لامــارة الدنيـــا وبيرق وارد[1]

من بعــد ثامرهـــا يكون حمودا

مصادر الحكاية:

١. عثمان بن سند- مطالع السعود- ص: ٢٢١.
٢. رسول الكركوكلي- ص: ١٤١.
٣. عبد الكريم الغملاس- ص: ٦٦.
٤. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠)
٥. مركز المخطوطات- رقم الملف (٣٣٧٠٤).

(١) وارد: راية وبيرق المنتفق أبعاده ٢ م عرضا و٣م طولا على قاعدة حمراء يتوسطه هلال وثلاثة أنجم ترمز الى عمابر المنتفق (بني مالك، الأجود، بني سعيد) وأمراؤهم من السعدون.

المودة والتصاهر

بعد فشل تمرد امير المنتفق «عبد الله محمد المانع» على وزير بغداد عام ١٧٦٩م، وخسارته المعركة ضد جيش الدولة، فقد تقدم الشيخ «ثامر بن سعدون بن محمد المانع» لتولي المسؤولية نيابة عن عمه وبتشجيع منه وبدعم وموافقة المنتفق على هذا الاجراء، مما استوجب من السلطات الحكومية اقراره كأمر واقع لا يمكن اجهاضه او الغاءه، خشية ان يترتب على ذلك من استحقاقات هي في غنى عنها.

وقد كان الامير-ثامر- يتطلع وبحماس للخروج من طوق الحكم المملوكي المتشح بالراية العثمانية، لانه يراه نظام احتلالي لارضه، مع ما يصاحبه من نهب وسرقة لثروات وخيرات البلد، وبما يضر بعموم الناس. فضلاً عن الوضع الاجتماعي لأغلب المماليك لا يشرف ولا يليق بصفات الرجال، وهي مثالب تستهجنها العرب، زائداً ان عنفهم منفلت ضد الجميع بما فيهم ابناء جلدتهم، بسبب انانيتهم وجشعهم وحبهم للسلطة والنفوذ، مما ولد مرحلة متأزمة ومأزومة.

وقد كان هم الامير-ثامر- الاول، توحيد المنتفق وتقوية تحالفها الداخلي، لادراكه بأهمية هذا الموضوع، لرغبة المنتفق بالتمايز عمن يحكم وشكل وطبيعة حكمه، لاسيما ان جميع التحالفات القبائلية والمشايخ، قد باتت راضية باوضاعها بشكل عام، مادام الامر يتعلق بدفع الضرائب والاتاوات. في حين ان المنتفق، حملت منذ ولادتها، مشروعاً كبيراً للاستقلال والتحرر، وهذا ما يتقاطع وسلطة الدولة «العلية» التي باتت حريصة على الاحتفاظ بأقاليمها العربية، بعد سلسلة التراجعات التي واجهتها على المسرح الاوربي، بسبب التحالف الكبير الذي تصدى لها، والذي شمل عموم بلدان القارة الاوربية، خاصة بعد ان توشح بالادعاءات الدينية التي باركها «بابا» الفاتيكان، لمواجهة التقدم العثماني، وما يشكله من مخاطر على الدين المسيحي.

وقد شجع الامير-ثامر- عموم ابناء المنتفق على التصاهر مع القبائل العربية، ايماناً منه، ان ذلك اسناد ودعم لعموم جهد المنتفق في اقليم نفوذهم. وقد طبق تلك الدعوة على نفسه، حين صاهر العشائر العربية من داخل المنتفق ومن خارجه على النحو الآتي:

- بنو خيكان- وهم من عشائر المنتفق، وله منهم ولداه حمود ومحمد.
- الشحمان- وهم رؤوساء عشائر مياح من ربيعة وله منهم اولاده علي وصالح وناصر.
- الاشراف- وهم زعماء بني خالد، امراء الاحساء، وله منهم

ولده منصور.

- ال زامل- وهم امراء الخرج في نجد، وله منهم ولداه راشد وعبد الله.
- الى محسن- وهم ساده ورؤوساء عشائر بني حجيم، وله منهم ولده عبد المحسن.
- بيت كليب- وهم رؤوساء عشائر السراي من ربيعة، وله منهم ولده خالد.

هذه السياسة، بقدر ما هي تعميق لاواصر المودة بين القبائل العربية في العراق، فهي تأخذ منحى اكثر فعالية حين يتم توظيف قدراتها بشكل جماعي في تحقيق الاهداف الكبرى، وهو ما كان يتطلع اليه الامير-ثامر- ايماناً منه بضروراته الحياتية للوجود العربي في العراق. واذكر انه جمعني مجلس ادبي في اوائل تسعينيات القرن الماضي مع بعض الادباء والمؤرخين، فتساءل احدهم- مشاكساً- وهو العارف بجواب سؤاله، عن اصل وخولة السعدون، فتوجهت الانظار نحوي، فأرتجلت بيتاً من الشعر ابن لحظته- علماً باني لم ادع يوماً كوني شاعراً- يقول:

خولتي الناس والاشراف كلهم

واهلنـا مضر هل تزدري مضر

فأستحسن الجميع ما قلته، واعتذر صاحب السؤال عن ما اعتقده تجاوزاً غير لائق. لكني لم اترك الموضوع عند هذا الحد، بل طلبت منه،

ان يعرفنا بنفسه، لانًا لا نعرفه، لانه سأل عن ناس يعرفهم، ونحن نسال عن ناس لا نعرفهم. وخرج صاحبنا بخيبة مع لوم جميع الحاضرين، بعد ان اتضح له انه يخوض في بحر امواجه اكبر من قدراته. واردفته ببيت ابوذيه للشاعر «هاشم حاشوش المنتفقي» يقول:

سيوفي عله العدى تذبح تصلي

كول اشما تكـــول ابداً تصلي

كل يوم الخلك تـذكر تصـــلي

عله جدي اصـــل خير البريـــة

وفي هذا المعنى يقول شاعرنا:

جدي الرسول واهل البيت مـن الي

والراشدون اســـود الله اخـــوالي

الناس تمشي الهوينى في شوارعهم

وهـــامتي قبة تختـــال في العالي

مصادر الحكاية:

١. ابن الغملاس- ولاة البصرة- ص: ٦٦.

٢. علي الشرقي- ذكرى السعدون- ص: ٣٨.
٣. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠)
٤. د.كاظم السعيدي- عشائر المنتفك والاسرة السعدونية- بغداد ١٩٤١- مخطوطة غير منشورة.

احتلال البصرة

في عام ١٧٧٥م، اقدم الايرانيون على غزو العراق من خلال ثلاثة محاور، اثنين منهما للاشغال والثالث لاحتلال البصرة وهو هدفها الرئيس، بعد ان تيقن حاكم ايران آنذاك «كريم خان الزند» [١] بانحلال الاوضاع وتفككها في العراق، جراء سياسات المماليك الرعناء، المشغولة اما بالصراعات الداخلية لغرض امتلاك السلطة، واما بالانشغال والانهماك بالفاحشة ولياليها الحمراء.

وبعد ان طوقت القوات الايرانية البصرة في بداية شهر نيسان ١٧٧٥م، ارسل قائدها، طلباً لمتسلم البصرة «سليمان اغا» [٢] بضرورة التسليم، بعد ان ساعدته قبائل -بني كعب- ووكيل الشركة

---

(١) كريم خان الزند: أحد الزعماء الذين ظهروا في بلاد فارس بعد مقتل نادر شاه عام ١٧٤٧، إذ تمكن من القضاء على منافسيه على العرش الفارسي بصفته وصيا على الشاه اسماعيل ميرزا. بعد وفاته عام ١٧٧٩ عادت بلاد فارس للفوضى حتى ظهور الاسرة القاجارية فيما بعد.

(٢) سليمان أغا: متسلم البصرة والكهية سليمان أيام الوالي المشهور احمد باشا، والذي أصبح فيما بعد الوالي سليمان باشا الكبير وحكم بين اعوام ١٧٨٠-١٨٠٢ وكان من اشهر الولاة الذي مروا في مرحلة المماليك.

الانكليزية- المستر مور- باتمام هذا التطويق، مما افشل خطط الدفاع المقامة على نهر شط العرب. الا ان المتسلم، رفض طلب القائد الايراني، منتظراً الامدادات التي وعدته بها مركز الولاية في بغداد، والتي اتضح لاحقاً، انها اشبه بوعود عرقوب.

في هذا الظرف الصعب، يدخل «ثامر بن سعدون» امير المنتفق البصرة، ومعه جمع كبير من مقاتليه، عن الطريق المفتوح باتجاه البصرة، والواقع تحت سيطرة المنتفق، لانجادها من هذا الحصار، بعد ان وصلتهم الاخبار عما حصل وموقف الدولة العثمانية الضعيف، وانكفاء الآخرين عن نجدتها. وقد توافد لزيارته وشكره جميع السكان بما فيهم متسلم البصرة، ومدحوا موقفه وثمنوا تضحيته، الا انه اجابهم بالقول «جئنا ندافع عن البصرة، فلا حباً بالروم ولا بغضاً بالعجم» طالباً من الجميع تحمل مسؤولياتهم في هذا الظرف الدقيق، لافتاً نظرهم، ان بادية المنتفق تفيض بالمحاربين المستعدين للدفاع عن البصرة.

لذلك ما ان حل السادس عشر من نيسان ١٧٧٥م، حتى ابتدأ الايرانيون، محاولتهم الاولى في الهجوم على اسوار البصرة، مستغلين حلكة الظلام، بعد ان استحضروا استعداداتهم لتسلق السور. لكن استبسال المدافعين وفي مقدمتهم مقاتلو المنتفق واميرهم، افشلت تلك المحاولة، خاصة وان اجواء القتال كانت حماسية، حين زينتها هلاهل نساء البصرة، تشجيعاً للمدافعين. وقد تكبد المهاجمون خسائر كبيرة، جراء استبسال الجميع في الدفاع عن البصرة الفيحاء. الا ان

الايرانيين كرروا المحاولة مرة ثانية وثالثة ورابعة، وجدد المدافعون استبسالهم المتميز، مما افشل كل المحاولات الرامية للاختراق، وحصول ذلك عزز من معنويات الناس ومكنهم من مطاولة الحصار واهواله.

وظلت البصرة صامدة امام الحصار عاماً كاملاً، دون ان يحرك ذلك الصمود طرفين اساسيين، اولهما: رجال السلطة في بغداد، الذين اكتفوا بالكتابة للمدافعين بالبحث عن صيغة لانهاء هذا الوضع بما فيها الاستسلام، وثانيهما: القبائل الفاعلة في المسرح العراقي، والتي اشغلت نفسها باللاشيء، فطرف اكتفى بالدعاء ورحل برجاله متباعداً، وثان، تقبلوا هدايا العجم ومراسيمهم وسكتوا، وثالث، اشغل نفسه بحقوله ومواشيه، ولم يبق الا المنتفق، التي رهن اهل البصرة اوضاعهم بما يفعلوه دفاعاً عنهم، وهذا ما حصل، حيث لم يخيبوا آمال البصريين فيهم.

وقد كان من حسن حظ البصرة، ان يتعايش في ذلك الوقت، رجلان، قدر لهما ان يكونا سبباً في صمود البصرة، ومن ثم تحريرها، الاول: سليمان اغا، متسلم البصرة، وعنوان صمودها حين شحذهم الجميع، وثانيهما: ثامر بن سعدون، امير المنتفق والمدافع الاول وقبائله بوجه الحصار، ومحرر البصرة لاحقاً.

استمرار الحصار عام، رافقه بالتأكيد خسائر في النفوس، وقلة، بل شحة في الامكانات العسكرية والاقتصادية المساعدة على المطاولة،

إزاء صمت الجميع ولا مبالاتهم، الامر الذي اضطر متسلم البصرة، الى فتح باب المفاوضات مع العجم، والتي انتهت بتسليم البصرة، واخذ الامان لها ولسكانها، بعد ان يأسوا من وصول اية معونة حقيقية لنجدتهم. لكن المنتصر لم يف بوعوده، وجرى قتل متعمد ونهب للمتلكات.

اما المنتفقيون، فقد ادركوا استحالة مواصلة الدفاع، بعد ان لمسوا اتجاهات الرأي العام الراغبة بالتسليم، امام نقص الامكانات واستمرار الخسائر، وطلبوا من المتسلم الاطالة في مفاوضات التسليم، والتي استمرت اسبوعاً، جرى استغلالها لتسريب كامل مقاتليهم باتجاه الصحراء، بعد ان اشاعوا ان اميرهم- ثامر- قد قتل، والذي رتب خروجه مع اخر مجموعة قتالية للمنتفق تغادر البصرة، مقدراً ان الايام القادمة تتطلب منه جهداً استثنائياً من اجل هزيمة الغزاة وتحرير البصرة، مع يقينه الكامل ان ذلك الجهد سيقع بالكامل على المنتفق دون غيرها من القوى الفاعلة الاخرى.

ومثلما استقبل مقاتلي المنتفق بالتقدير، يوم ان دخلوا البصرة دفاعاً عنها، ودعهم البصريون بالشكر والثناء والدعوات الصادقة، لكن المنتفق تركوا في البصرة، وديعة عزيزة عليهم، وهم اولئك الابطال الذين استقبلتهم مقابر البصرة، شهداءاً دفاعاً عن الارض والعرض، والذين اضاءوا مساحات البصرة بمعان لا تبلى مع الزمن، بل انهم كانوا دلالة للمحررين من ابناء المنتفق في قادم الايام.

وفي هذه المعاني وسموها: يقول شاعرنا:

راياتك الشهداء كيف تنـكس

وترابك الابطال كيف يدنس

زرعوا ترابك بالرجال فأنبتت

في كل شـــتلة شـهيد يغرس

مصادر الحكاية:

١. عباس العزاوي-تاريخ... ج٦- ص: ٤٩.

٢. احمد علي الصوفي- ص: ٣١.

٣. ميرزا حسن خان- ص:٢١.

٤. عبد الامير محمد امين- القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر- بغداد ١٩٦٦- ص: ٦٢.

٥. جعفر الخياط- ص: ١٨٩.

٦. لوريمر- ص: ١٨٥٠.

٧. لونكريك- ص: ٢٢٧.

٨. د.علاء نورس- العراق في العهد العثماني، دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠-١٨٠٠- دار الحرية للطباعة- بغداد ١٩٧٩- ص: ٢٦٢.

٩. عبد الرحمن السويدي- تاريخ حوادث بغداد والبصرة

١٧٧٢-١٧٧٨م- تحقيق د.عماد عبد السلام- دار الشؤون الثقافية- بغداد ١٩٨٧- ص: ٥٧.

١٠. عثمان بن سند الوائلي- مطالع السعود-ص: ٨٣.

١١. مركز المخطوطات- رقم الملف (٣٣٧٠٤)

١٢. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

١٣. ابن الغملاس- ولاة البصرة.

14. Parsons A- Traveles in Asia and Africa- London 1808- p: 162.

معركة الفضلية

بعد ان نجح الجيش الفارسي في احتلال البصرة في نيسان ١٧٧٦م، امام عجز ولاة بغداد ودولتهم من نجدتها، فقد كان لهذا الاحتلال غضباً جامحاً في استنبول، الامر الذي استوجب اجتماع المجلس العام للدولة، حيث قرر المجلس اعلان حالة الحرب على بلاد فارس، وصدرت فتوى بذلك من دار المشيخة الاسلامية، الا ان تلك الحماسة وذلك الاهتمام، ظل حبراً على ورق بعد ان عجزت الدولة عن تنفيذ ما قررته، حيث ظلت البصرة محتلة دون نية حقيقية لتحريرها. الامر الذي جعل اثر وثقل ذلك الاحتلال يقع على المنتفق لوحدها، حيث انشغل اميرها «ثامر بن سعدون» بوضع الخطط وحبكها لتحرير البصرة.

وقد ترافقت هذه الهمة عند المنتفق بنية مماثلة عند محتلي البصرة، حيث فكروا، ان القضاء على المنتفق سيجعل من يدهم طليقة في كامل العراق الجنوبي، لان المنتفقيين فرسان تلك الناحية وحماة تلك البراري، كما انهم القوة الوحيدة المعادلة للجيش الفارسي.

لذلك انذر القائد الفارسي «صادق خان» [١] امير المنتفق، وطلب منه ان ينزل على طاعته ويذعن لاوامره، لكن المنتفق رفضت هذه الطلبات، واستعدت للمنازلة. مما دفع بالخان، ان يجيش قوة بقيادة اخيه «علي محمد خان» متألفة من ستة الاف فارس وثلاثة الاف من المشاة، مع ثمانية عشر زورقاً نهرياً تحمل المدافع.

ازاء هذه الاخطار، قررت المنتفق، ان تتصدى وتظهر صلابتها امام المقابل، خصوصاً بعد ان ظهر لها، ان مركز السلطة، غير مهتم بما يحدث في البصرة ومشغول بالحروب الداخلية بين المتنافسين على باشوية بغداد، لذلك استحسن الامير «ثامر» منطقة- الفضلية- ساحةً لميدان المعركة، لان هذه المنطقة محصورة بين نهر الغراف شرقاً وهور الحمار جنوباً وجنوباً غربياً والصحراء غرباً. وهي اقرب ما تكون شبه جزيرة. كما انه رتب مكيدة ناجحة حين اغرق منطقة المعركة بالماء، ثم عاد فبزلها، فأصبحت الارض رخوة طينية ومعيقة للحركة السريعة. اما قواته البالغة ستة الاف فقسمها الى اربعة اقسام، واضعاً في مقدمتها خيرة قادته وشجعانه من امثال- ثويني العبد الله ومحمد العبد العزيز وحمود الثامر- واناط بشجعان المنتفق ومقاتيلها مصيرهم ومصير العراق الجنوبي كله.

حين ازفت طبول المنازلة في منتصف عام ١٧٧٨م شبك

---

(١) صادق خان: قائد الحملة الفارسية على العراق، وشقيق حاكم بلاد فارس كريم خان الزند. عانى كثيرا مما الحقته به قوات المنتفق من هزائم اجبرته لاحقا على سحب قواته من البصرة نحو بلاد فارس.

المنتفقيون ايديهم مع يدي اميرهم، مظهرين من الشجاعة السخية والثبات البطولي ما تغنت به الاجيال، وأوضحوا بجلاء ان الفرس اقل ثباتاً على سروجهم حين يلتقون بالرجال الفرسان. وقد اظهرت هذه المعركة، فهم اهل المنتفق بوضع الخطط الحربية المتكاملة، حين قاتلوا الجيش الفارسي في البر وفي النهر، وانزلوا به الضربة القاصمة.

كما كان لاختيار ميدان المعركة اثره في انزال الهزيمة بالغزاة، حيث كان المنتفقيون بانتظارهم حسب الخطة التي وضعوها، ثم اكملوا فيهم القتل حتى ابادوهم عن آخرهم، وكان بين القتلى قائد الحملة- علي محمد خان- نفسه، ومعه شقيقه- مهدي خان- بحيث ابيد الجيش الفارسي عن كامله، سوى افراد قلائل عادوا للبصرة، يشرحون برعب ما حدث لهم على ايدي رجال المنتفق، بعد ان اوغل المنتفقيون بالغزاة قتلاً على مدار ثلاثة ايام حتى افنوهم، واحتاجوا فيما بعد لاسابيع كثيرة لتنظيف ميدان المعركة من الجيش وعدده التي غنموها بكاملها. وقد ظلت هذه الموقعة وآثارها، موضع فخر للجميع على مدار جيل كامل.

انظر جـــراح الارض كيف تدفقت

من كل صوب حول نخلك تحرم

وانظر عيون الساهرين على المدى

شـــذراً بها تصحو القلوب النـوم

وانظر لبصرتــك النخيــل رواجم

ان النخيــل اذ اســتفز سيــرجم

لقد كانت معركة- الفضلية- بنتائجها الميدانية الباهرة الاساس الذي بنت عليه المنتفق خططها لتحرير البصرة. كما ان ما حدث في هذه المعركة، غرس الرعب في قلوب الغزاة، الذين قصرت همتهم للحفاظ على البصرة، دون الحاجة للتوسع، لكن حتى هذه الرغبة، حطمتها ارادة اهل المنتفق.

مصادر الحكاية:

١. احمد الصوفي -تاريخ المماليك-بغداد١٩٥١-ص: ٣٨.

٢. لونكريك- ص: ٢٣٢.

٣. عثمان بن سند- ص: ٨٧.

٤. الكركوكلي- ص: ١٦٧.

٥. علي الشرقي- الالواح- ص: ٥٦.

٦. لوريمر- ص: ١٨٧٤.

٧. عباس العزاوي- ج٦- ص: ٨٠.

٨. محمد رشيد السعدي- ص: ١٢٣.

٩. علاء كاظم نورس- ص: ٤٢.

١٠. عبد الرحمن السويدي- ص: ٧٠.

موقعة أبي حلانه

بعد الانتصار الكبير الذي حققته المنتفق على الجيش الفارسي في معركة- الفضلية- فقد قصرت طموحات الغزاة للاحتفاظ بما هو بأيديهم، بعد ان لمسوا حجم وفعالية القوة المواجهة لهم. كما ان هذه المعركة عززت معنويات وآمال المنتفقين لتحرير البصرة، بعد ان اتضح لهم حجم المبالغة بقوة وشجاعة الجيش الفارسي. فضلاً عن ذلك، ان المنتفق، قطعت كل امل بمساعدة الدولة لها من اجل التحرير، بعد ان بان لهم ضعفها في امكانية السيطرة على مركز الولاية- بغداد- واستمرار الصراع الداخلي بين المتنافسين على الفوز بباشويتها.

معركة الفضلية، غرست الانهيار لدى القوات الغازية، في حين، انها اعطت للمنتفق قوة ايجابية ذات زخم اندفاعي هائل، ودفعتها لترتيب اجراءاتها وخططها من اجل المعركة الحاسمة. قائد قوات الغزو «صادق خان» عزز حامية البصرة بقوات جديدة طلبها من- شيراز- بعد ان سلحها تسليحاً جيداً، عارفاً بخطورة خصمه وقدرته،

كما اسندت هذه القوات بقوات من «بني كعب» وعشائر «الكثير». في حين ان امير المنتفق- ثامر بن سعدون- استعد لقتال خصومه من جديد، بعد ان زوده نصر - الفضلية- بشحنة من المعنويات والافكار، لذلك سار بقواته المصممة على انجاز تحرير البصرة، طالباً من محتليها مغادرتها، في حين كانت آمال البصريين معلقة على ما تحققه المنتفق من انجازات. ولم يكن «عثمان بن سند» بعيداً عن الحقيقة، حين صورها بالقول:

قـوم اذا سـمعوا الصـريخ

رأيتهم ما بين ملجم مهره او سافع

من كل اشيب عظه ناب الوغى

ومنـاهد صعب الشكيمة يـافع

لذلك وقع الصدام المنتظر في الموقع المعروف باسم «أبي حلانه» في اوائل آذار/ مارس ١٧٧٩م. ومن جديد كانت المنتفق حيث الموعد، وقدمت الواناً جديدة من الشجاعة والاقدام بحيث انها تنادت افلح من طعن وضرب، فمن نكص على عقبه فليس هو ابناً لابيه. وقد كانت الواقعة قاسية، قدمنا إحدى صورها في حكاية «اخوان سبعة» لكن نتائج نصرها الذي حققته المنتفق، باتت واضحة بخروج المحتل الغازي من البصره.

حين هزمت القوات الفارسية في هذه الموقعة، عادت الى البصرة

وهي في حالة سيئة، وزاد هذا السوء اضعافاً ان قوات المنتفق حاصرتها من ثلاث جهات، مما جعلها في ضيق شديد. وقد حاول قائدها، فتح المفاوضات مع المنتفق، التي رفضت اية مساومة مع المحتل، قبل انسحابه من البصرة. وما ان وصلت انباء معركة- أبي حلانه- الى العاصمة الفارسية-شيراز- حتى اضافت لاوضاع الوصي على العرش «كريم خان الزند» سوءاً على سوء، مما عجل بموته في السابع عشر من آذار ١٧٧٩م.

عند ذلك، ايقن قائد القوات الفارسية- صادق خان- ان لا امامه الا الفرار بما تبقى من قواته من البصرة، بعد ان عمل لها ساتراً من الخشب ليقيها من الخطر وليمكنها من الانسحاب خلسة وبدون خسائر مضافة، هلعاً وخوفاً من قوات المنتفق، بعد ان سكنه الرعب من الخصم المقابل.

بعد فرار الجيش الفارسي من البصرة، دخلتها القوات المنتفقية، محررة آخر مواقع الاحتلال البغيض، بعد ان وقفت امامه سداً محكماً واذاقته هزائم مرة. وقد ترافق مع انجاز التحرير الذي حققته المنتفق، انها أمنت الناس والسبل وبدأت بنشر القانون. لقد كان ما تحقق كبيراً في كل معانيه، فحين كانت بغداد تعيش فوضى مدمرة وحروب داخلية بين الولاة المتنافسين واللاهين عن اداء واجبهم، كانت البصرة تتغنى بانتصارات المنتفق على جيش الاحتلال الفارسي. وجميل جداً حين يستحضر شاعرنا تلك الايام الزاهية على وقائع اليوم، فيقول:

تحتاجك الان من يأتي بك الانـــا

تحتاجك البصرة الفيحاء عنوانا

فانهض فقد طال ذل القيد في يدها

واعبر الى زمن الاوغـاد ازمانـــا

وشق قبرك ان الفـرس قد رجــعوا

وجرد السيف ان الوقت قد حانا

مصادر الحكاية:

١. عبد الرحمن السويدي- ص: ٧٠-٧١.
٢. النبهاني- ص: ٣٢٢.
٣. عباس العزاوي- ج٦- ص: ٨٠.
٤. عثمان بن سند- ص: ٨٩، ٩٢.
٥. لونكريك- ص: ٢٣٢، ٢٣٣.
٦. علي الشرقي- الالواح- ص: ٥٦.
٧. لوريمر- ص: ١٨٧٩.
٨. علاء كاظم نورس- ص: ٤٢-٤٣.
٩. محمد رشيد السعدي- ص: ١٢٣.

اخوان سبعة

بعد ان شعرت دولة فارس بالانحلال والفساد المعشعش في ولاية العراق، فقد تمكنت من احتلال البصرة عام ١٧٧٦ منجزة بذلك أحد اهدافها المهمة. هذا الاحتلال استمر حتى عام ١٧٧٩م، ولم يحقق انجاز التحرير غير المنتفق، بعد ان اعتذر الجميع عن نجدة البصرة وتكاسلوا في تقديم العون لها، سواءاً كانت دولة الخلافة ام الامارات العراقية المحلية، بل ان البعض كان يشغل نفسه بامور ثانوية كحجة للاعتذار. فطيلة صمود البصرة عام ١٧٧٥م، بمواجهة الحصار الفارسي، لم يكن معهم غير اهل المنتفق، قتالاً ودعماً وعوناً، وكانت شخصية اميرهم «ثامر بن سعدون» شخصية كاريزمية، الهمت البصريين الصبر والشجاعة والمطاولة، خاصة وانه كان معهم، يباشر قتال الغزاة بنفسه.

وطيلة ثلاث سنوات، اجهد الامير-ثامر- قواه وقوى المنتفق من اجل التحرير، ودخل مع الغزاة في معركتين فاصلتين، هما معركة «الفضلية» ومعركة «ابو حلانه» التي فصلنا احداثهما في حكايتين

بالعنوان نفسه. وقد ابرزت هاتان المعركتان قدرة المنتفق، على التكيف والانسجام مع مستجدات المعارك وادارتها، بالطريقة التي تخدمهم، من خلال وضع الخطط الحربية المتكاملة، حين قاتلوا الجيش الفارسي في البر والنهر، وانزلوا به الضربة القاصمة، بل انهم تمكنوا من قتل حتى قائده «علي محمد خان»، وابادوا كل القوة التي توجهت نحوهم، سوى افراد قلائل عادوا للبصرة يشرحون برعب ما حل بهم على ايدي رجال المنتفق. وقد استغرق تنظيف مواقع المعارك التي ملئت بالجثث، اسابيع، في حين كانت غنائمهم من اسلحة وادوات الجيش الغازي وامواله وثيابه كثيرة. ولذلك لم يكن مبالغاً «عثمان بن سند» حين يقول:

للـــــه در عصابـــــة عربية صدمت اعاجم

بالســمر تعطف بالمهنــد دة المحددة الصوارم

الكاشفون الحرب بالخط ـار والبيض المخادم

وما صـــيلم الا تقـــل ده شـــبيبي ضبــارم

في معركتي - الفضلية وابي حلانه - فقدت المنتفقية (عنود السبتي) اولادها الستة، بحيث لم يتبق لها غير صبية واحدة، سمتها «سبعة». ولنا ان نتصور مدى الألم والوجع بأم ثكلت بأبنائها الستة، لكنها مع ذلك تسامت على جروحها والآمها، وتعاملت مع الحدث بنموذجية فريدة. فحين اخبرت بالمصاب، امتنعت عن قبول العزاء بما فقدت، وتعاملت وكأن ابناءها زفوا لعرسهم وليس لقبرهم، فأخذت «الدف»

وبدأت تحدي:

اخوان ســـبعة[١] تكتلوا ستتهم

يتهم[٢] ســبع يازات[٣]ماردتهم

خيعون[٤]من شاف ابو حلانـــه

ومن شاف عركتهم تضيع اذهانه

اخوان نوره عله العدى جالدانه[٥]

وكل العرب للمـــوت هلزفتهم

وهكذا هي المنتفق، حتى في نساءها رغم هول الفاجعة، لذلك يقول فيها شاعرنا:

خنســـاء تفقد اربعـــاً فتخلد

ونســاؤنا ستاً تزف فتولـــد

يا أم سبعة فيك تختصر النسا

الجمع انت وهم جميعاً مفرد

---

(١) سبعة: شقيقة الشهداء
(٢) يتهم: أي جاءت عليهم
(٣) يازات: مجموعة المقاتلين
(٤) خيعون: ياليت، وتأتي للتمني
(٥)جالدانه: كالمدافع

مصادر الحكاية:

١. لونكريك- ص: ٢٢٨، ٢٣٢.

٢. علي الشرقي- الالواح التاريخية- ق١- جمع وتحقيق موسى الكرباسي. مطبعة العمال المركزية- بغداد ١٩٨٨- ص: ٥٦.

٣. لوريمر- ص: ١٨٧٤.

٤. عثمان بن سند- ص: ٨٨

٥. مركز المخطوطات- رقم الملف (١٧٥٦٢).

وليمة غريبة

في نهاية آذار عام ١٧٧٩م، حررت المنتفق البصرة من نير الاحتلال الفارسي، وكانت تلك الايام من اسعد ايام العراق والبصرة والمنتفق، لان هذه الامارة دون غيرها من كل القوى الفاعلة، بما فيها دولة الخلافة في استنبول، الت على نفسها ان تتشرف بأقدس مهمة وانبلها، لتحرير الارض من المحتل، وهذا ما كان حين كسروا قيد الاحتلال الفارسي عن مدينة البصرة العربية، مما جعل اهل العراق عموماً يتغنون بهذا الانتصار الكبير الذي اظهر معدن رجال المنتفق، حين تتطلبهم الظروف ان يكونوا رأس النفيضة في المهام الصعبة.

هذا الانتصار رفع من قدر المنتفق عند كل اللاعبين الرئيسين على المسرح العراقي والاقليمي، ولان الدولة العثمانية بكل هيلمانها وقوتها، تصاغرت إزاء هذه المهمة، فقد شكل هذا الانجاز الذي تحقق بمعارك «الفضلية» و»ابو حلانه» تراكم نوعي وكمي عند رجال المنتفق، ونبه الاخرين لحقيقة تنامي قوتها في تحقيق ما هو ايجابي، ودخولها معترك القوى المؤثرة في القرار على المنطقة، وما ينفتح

عليها. ولان الدولة العثمانية لا تريد لمثل هذه القوى النمو والفاعلية، وكدأبها دائماً في مثل هذه الحالات، وتطويقاً للانتصار الذي تحقق في البصره، فقد حركت الضغائن بين امارة المنتفق ومشيخة الخزاعل، حول حدود «ديرة» كل منهما، حين تدخلت بارسال مبعوث خاص منها، لعب على كلا الطرفين بما يتوافق ومصلحة من ارسله، حيث اخبر كلاهما بما يناقض ما نقله للطرف الآخر، وتحديداً حول عائدية حاضرة- السماوة- التي هي في الاصل ضمن عائدية المنتفق الا انها في ذلك الوقت كانت تحت سيطرة الخزاعل منذ عام ١٧٠٣م.

ولان مواضع الشكوك المتبادلة بين الطرفين قد تثور في اية لحظة، خاصة حين نعينه بأنفسنا في التأكيد على الجوانب السلبية، مهملين جوانبه الاخرى ذات الاثر الايجابي. كما ان المنتفق عالجت هذا الامر، بغرور كبير، بحكم ان انتصاراتها على الفرس مازالت طرية، مما قد يدفع الآخرين عن الاحجام في مواجهة المنتفق جراء قوتهم. وهذا ما حصل، حين استصحب الامير «ثامر بن سعدون» قسماً من جيشه واتجه لملاقاة الخزاعل بعد فشل أية تسوية صلح بينهما. فوقعت المعركة المسماة بـ «العرجا» في تشرين الثاني ١٧٧٩م، والتي استمرت ثلاثة ايام، اخذت من الطرفين الافاً، كانوا من خيرة المقاتلين، كان ابرزهم الامير «ثامر» شيخ مشايخ المنتفق، الذي قتل وحز رأسه وقدم هدية لشيخ الخزاعل «حمد الحمود» [1]. كما

(١) حمد الحمود: شيخ الخزاعل ومقدمها في حينه والموصوف بالشجاعة وحسن الرأي. كان تصرفه بحز رأس أمير المنتفق الشيخ ثامر ووضعه على وليمة اقامها لأسراه من رجال المنتفق أمر غريب ومستهجن في حين أنه قبل عشر سنوات من هذه الحادثة لم

اسروا مجموعة من وجوه المنتفق، كان احدهم «حمود بن ثامر بن سعدون».

ما حدث في المعركة ونتائجها، كان امراً معتاداً، لان للحروب طبيعة دموية قاسية، لكن ما حدث بعدها، كان الاغرب. فقد بالغ الخزاعل في ارضاء حقدهم على المنتفق، واولموا للاسرى عشاءاً عبارة عن صحن من الرز المطبوخ، ووضعوا فوقه رأس اميرهم- ثامر-، وقد لوث بدمائه صحن الطعام، وطلبوا من الاسرى التقدم للعشاء. الا ان النفوس اشمأزت من تلك المعاملة الجافية، وجزعوا من هول المنظر ووحشيته، ولم يقوموا لعشاءهم، الا ان-حمود بن ثامر- ابن الامير المقتول، تقدم برباطة جأش وجلس على المائدة، وبمواجهة رأس ابيه بعد ان رفعه ووضعه في حجره، واخذ يأكل مما تحت الرأس الملوث. ولانه وجد نفسه وحيداً امام هذه المائدة الغريبة و«الكريمة»، فقد التفت الى بقية الاسرى وخاطبهم «كلوا عشاكم، شيخ مات ورأي فات» ولم يتضح لدي ما هو الرأي الذي اشار به- حمود- ولم يؤخذ به، وان كنت اقدر انه اشار بعدم ضرورة المواجهة مع الخزاعل في هذا الوقت.

فهال الخزاعل ذلك المنظر وتلك النفس القوية، وتخوفوا من نتائجها اللاحقة، خصوصاً وان من فعلها هو ابن الامير المقتول، وقدروا انه ان امتلك يوماً القوة، فهو لن يتأخر في ان يجربها مع الخزاعل لاسباب كثيرة، ابرزها ما حصل على المائدة «الكريمة»

يجد غير الأمير ثامر وأرض المنتفق حماة له ولوالده من غضب الدولة العثمانية.

واردوا قتله تخلصاً من شره وتحسباً من الاتي، لكنهم استصعبوا ذلك، خوفاً من ان يكون سبةً عليهم بشكل دائمي. والمشهور عند المنتفق ان من اشار بقتل -حمود- هو صاحب الجمس -علي الصويح- وهو من الشخصيات الاجتماعية المشهورة في الفرات الاوسط، ووالد الشاعرة الشعبية المعروفة «فدعة» بعد ان راقب الحالة، ورأى ما يحمله هذا الشاب من قوة نفس وجسارة على المكاره، مما ينبيء بشيء غير حميد للخزاعل. والغريب في هذه المعاملة السيئة للامير المقتول والاسرى، انها جاءت بوجود -حمد الحمود- الشخصية الرزينة والشجاعة، والذي لم يجد من يأويه هو وابيه، بعد ان اجتاحهم الجيش العثماني عام ١٧٦٩م، حين دمر مدينتهم «الملوم» وتأكيدات قائد الحملة على ضرورة القبض عليهما او قتلهما، الا اهل المنتفق، بعد ان هربا اليهم طالبين منهم الحماية والعون والامان، وقد حصلا عليها، وجرى اكرامهما وحمايتهما، بعد ان تجاهل الامير -ثامر بن سعدون- طلبات والي بغداد بضرورة تسليمهما للسلطة. وكانت للاسف، وليمة «غريبة» وغير كريمة، حفرت في ذهن كل ضيوفها مجرىً من العتب والكراهية والثأر.

شـــيخ يموت واخـــر يتســـلق

مجد الامارة فالسلالم بيرق

القت بكفـــك يا امير عنـــانـها

أرايت قبلك فارسـاً لا يسبق

بالامس رأس ابيك كان عشاؤهم

وغداً يغصوا في دماه ويشهق

مصادر الحكاية:

١. علي الشرقي- الالواح- ص: ٥٦، ٣٣.

٢. لوريمر- ص: ١٨٧٩.

٣. علاء كاظم نورس- ص: ٤٢-٤٣.

٤. حمود الساعدي- دراسات عن الخزاعل- ص: ٤٧.

٥. عثمان بن سند- مطالع السعود- ص: ١٤١.

٦. جعفر الخياط- ص: ١٦٤.

٧. رسول الكركولي- دوحة الوزراء- ص: ١٤٢.

جمال النجدي

بعد مقتل امير المنتفق «ثامر بن سعدون الكبير» عام ١٧٧٩م في معركة-العرجا- ضد الخزاعل، والتي ساعد على افتعالها ولاة بغداد. فقد تآمر على المنتفق اخيه لامه وابن عمه «ثويني بن عبد الله المانع» [١] الذي كان اليق الرجال لها، خصوصاً وانه كان الساعد الايمن للامير-ثامر- طيلة فترة امارته.

ولم يخلف الامير-ثامر-شيئاً لاسرته، بعد ان انفق جميع ممتلكاته من اجل تحرير البصرة من الاحتلال الفارسي والذي استمر ثلاث سنوات ١٧٧٦-١٧٧٩م، وكانت جائزة ذلك الجهد والانفاق تحرير البصرة، بعد ان عجزت الدولة العثمانية بكل هيلمانها من تحقيق ذلك، في حين توارت جميع الامارات والمشيخات العراقية الاخرى، بانشغالات مفتعلة، وكان ما يجري في البصرة ليس موضع اهتمام لها.

---

(١) الأمير ثويني بن عبد الله بن الامير محمد المانع، يطلق عليه لقب (راعي الدرعية) من شجعان المنتفق وقياداتها الميدانية البارزة، قاد ثورة الأقطاب الثلاثة (ثويني وسليمان الشاوي وحمد الحمود) ضد المماليك عام ١٧٨٧ والتي لم تكلل بالنجاح، تولى رئاسة المنتفق مرتين.

وأنجب الامير-ثامر-تسعة اولاد، كان اكبرهم-حمود- الذي كانت علاقته مع الامير-ثويني- متشنجه ومتوترة، خاصة بعد مصالحة الاخير للخزاعل وعدم جديته في الثأر لاخيه. كما ان-ثويني- من جهته، كان يمقت-حمود- ولا يطيق وجوده، بسبب تطلعاته للزعامة، وتقولاته الكثيرة عن السياسات التي يتخذها الامير-ثويني- والتي يجدها تتقاطع ومصالح اهل «الديرة». هذا الوضع اوجد ظرفاً ملتهباً وقابلاً للانفجار. وفي يوم ما، ضاف احد ابناء نجد- حمود الثامر- وكان احد مالكي الجمال الجيدة التي يضرب بها المثل، في بوادي نجد والمنتفق، الا ان الشيخ-ثويني- ارسل رجاله ليصادروا جمال الضيف النجدي، بحجة دخوله ارض المنتفق دون استئذان وكان تصرفاً غريباً، وغرابته الاشد، ان يصدر من الشيخ ثويني. ما حدث كان دون علم حمود الثامر، نظراً لغيابه عن «الديرة» وبعد عودته، عرف بالواقعة، التي اشعلت فيه كل الغيض والغضب على التصرف الذي وقع على ضيفه، وقرر ان يفعل شيئاً حاسماً.

في صباح اليوم الثاني، قاد-حمود-قطيع جماله وامتطى فرسه، بعد ان تسلح برمح طويل، واندفع نحو مضيف الشيخ-ثويني- الذي وجده جالساً يحيط به وجوه القوم ومقدميهم، وخاطبه دون ان يترجل من فرسه (يا طويل العمر...هذه جمالي بدلاً من جمال ضيفي اذا كانت الشيوخ ترغب بها). وبعد لحظات من الصمت، رد الشيخ- ثويني- (خذ جمالك وجمال ضيفك...) ثم التفت-ثويني- على اولاده ورجاله الجالسين خلفه، وبصق في وجوههم، وخاطبهم (كان

المفروض بكم ان تقتلوا حمود، الذي استثقل النزول من فرسه وهو يخاطبني...).

«يأبى شموخك ان تذل الهاما حتى لمن ســـميتهم اعمـــاما

فهي الامارة دون اهلك بـدعة

كالماء محروماً على من صاما

بعد عودة-حمود- لاهله، كان جميع اخوته في انتظاره، لانهم ايقنوا انه لن يعود الا بشيء يرضاه لنفسه، لذلك كان فرحهم كبيراً بعودته، الا أن تلك الفرحة وبهجتها لم تشغله، بل بادر الى رفع اخيه «علي» الذي يليه في العمر، الى الاعلى وضرب به الارض، مخاطباً اياه والجميع (اكبروا اكبروا، شبعنه ضيم...) وكم جميل، ان يستدعي تلك الحادثة الشاعر «هاشم حاشوش المنتفقي» ويقول فيها:

علي كولت هله بيهم لنا كار

الكرم والجود معدنه لنا كار

لنا يوم الوغى صوله ولنا كار

نخلي سروجهن منهن خليه

وعليه فليس من الغرائب، ان يتطلع-حمود التامر- نحو الامارة، رغم صغر سنه، لان ما فيه من ايجابيات القيادة، تمكنه من ذلك، وهو ما فعلها يوم ترامت تحت قدميه.

مصادر الحكاية:

١. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

رجل المهمات الصعبة

يعد استيلاء-سليمان باشا- على دست الحكم في بغداد عام ١٧٨٠م، العصر الذهبي لفترة حكم المماليك، خاصة بعد اكثاره من شراء المماليك وتدريبهم، لزجهم في ادارة الدولة وقيادة الجيوش، مع ما رافقها من ابعاده العنصر العربي عن مواقع المسؤولية واستعداده لايقاع اقسى الاذى بهم في حالة اية مخالفة، بحيث كاد العراق ان يفقد هويته العربية.

هذه الاوضاع المتسمة بالاكفهرار والقسوة، اخذت تؤلم الجميع، لكن من حسن حظ العراق، ان تظهر في فترة حكمه، ثلاث شخصيات، قدر لها ان تقود لواء المعارضة والثورة العربية ضده وضد سلطته الاول: «سليمان بك بن عبد الله الشاوي» شيخ عشائر «ال عبيد» والذي يوصف بأنه من افراد الدهر عقلاً وحلماً وكرامةً وشجاعةً، والثاني: «ثويني عبد الله المانع» امير المنتفق والمع امراء العرب في حينه، وصاحب النفوذ والهيبة على اقليم ارضي كبير، هذا غير ما يتصف به من شجاعة وبسالة، جرى اختبارها في اكثر من موقع،

والثالث: «حمد بن حمود الخزعلي» شيخ الخزاعل، وصاحب الكلمة النافذة في الفرات الاوسط وما حولها.

اتفاق هذه الشخصيات الثلاث على الثورة، يمكن ان نصفه بأنه كان محاولة جريئة وجسورة من العراقيين ضد التسلط الاجنبي، لان ما حدث شكل اخطر ثورة واجهت حكومة المماليك. وقد كان اتفاق الاقطاب الثلاث، ادراك سليم للواقع السياسي الذي كان سائداً آنذاك، والزاخر بالالم والرفض لكل ما يصدر من قبل الحكم المملوكي. وقد لاحظ القنصل الامريكي في بيروت، ان السلطات العثمانية لا تستطيع السيطرة على العراق شهراً واحداً، اذا ما اتحدت القبائل العربية تحت قيادة زعيم واحد.

تصاعد ممارسات الوالي ورجاله ضد العرب، دفعت الشيخ- سليمان الشاوي- ان يفكر بخلق تحالف ذي فعل حقيقي يجمع- ال عبيد والمنتفق والخزاعل- يسلك طريق الثورة والعنف بوجه المماليك، بسبب ممارساتهم وافعالهم التي اوقعت الضرر بالعرب وبالاقليم العراقي عموماً، خاصة وان الضرائب لم تخفف او تلغى، رغم جدب المواسم الزراعية لعدد من السنين. كما ان القادة، الثلاثة استشعروا- وكانت الريادة للشيخ الشاوي في ذلك- ان اللحظة المناسبة للاستقلال قد حانت بعد سلسلة التراجعات العثمانية امام القوى الاوربية. فضلاً عن ذلك، ان الجميع يتوقون للاستقلال، وما تجربة حكم البصرة من قبل المنتفق ولمرتين، الا نموذجاً لما مطلوب ان يتحقق، وعلى الاوسع.

حين اتفق الاقطاب الثلاثة على ذلك، سار الامير -ثويني- محاطاً بالقوات المنتفقية حتى دخل البصرة في السادس من آيار عام ١٧٨٧م مستولياً في الوقت نفسه على الاسطول، دون حوادث عنف، مع تأكيده لقواته بضرورة احترام الملكية احتراماً كاملاً. وقد اعتقل متسلم البصرة العثماني- ابراهيم افندي- الذي شحن بسفينة نحو مسقط. وبدخول القوات المنتفقية للبصرة، عادت حكومتها عربية قبليه. وقد رافق اظهار القوة العسكرية، للحلفاء الثلاثة، انهم سلكوا طريق السياسة، وذلك حين كتبوا لاستنبول، مضبطة طالبين الموافقة على الاجراءات التي قاموا بها نظراً لاضطراب الامور وعدم استتابها، مع وعدهم بأن يكونوا خاضعين لسلطة الدولة، بشرط تعيين الامير- ثويني العبد الله- وزيراً على العراق كله.

وقد كان تقدير الحلفاء، ان رد استنبول سيكون سلبياً مهما حوت مضبطتهم من جمل جميلة واستعارات بلاغية هادفة. وهذا ما حصل، حين اراد السلطان العثماني، ان يعدم مفتي البصرة الذي حمل المضبطة لاستنبول، لولا هروبه ليلاً. في الوقت نفسه كتب لوزير بغداد- سليمان باشا- كتاباً قال فيه «انه سيكون مسروراً لو ارسل رأس ذلك المتمرد الى القسطنطينية» في حين كان رأي وزراء ومستشاري الباب العالي حين استشيروا رفض تلك المضبطة وما حوته، لان ثويني عباره «عن اعرابي متغلب».

لذلك حشد -سليمان باشا- كل ما قدر عليه من قوى واردفها بقوات الاكراد من ال بابان وقوات متصرف درنه وباجلان ثم استعار

الانكشاريين من الجليلي في الموصل، وكتب الى شيخ كعب بارسال رجاله، وطلب من استنبول ارسال الكثير من العتاد الذي يحتاجه في منازلته الحاسمة، لانه رأها ليست معركة عادية ضد متمردين، بقدر ما هي معركة مصير له ولعموم الوجود العثماني في العراق. على الطرف الآخر، غادر -ثويني- بكامل قواته البصرة، وخيم على نهر الفرات منتظراً الجيش المملوكي المتوقع وصوله بين لحظة واخرى. ومن الاخطاء التي حدثت، ان الثوار، لم يحسنوا التحشد بشكل جمعي للمنازلة، بل نازلوهم الخزاعل منفردين، فسحقوهم، فانسحبوا بما تبقى لديهم من قوات نحو الامير ثويني.

وحدثت المواجهة المنتظرة في موقع «ام الحنطة» القريبة من البصرة في الخامس والعشرين من شهر تشرين الاول ١٧٨٧م. وكانت معركة حاسمة وعنيفة، اشترك فيها الوزير بنفسه، محرضاً ومشجعاً مقاتليه، في حين استبسلت قوات الثوار بشكل ملفت للنظر. وبعد قتال دام اربعة أيام قاتل فيها الطرفان بشدة وتصميم عال، بان النصر واضحاً لقوات المماليك، بعد ان قتل من خيالة الثوار ثلاثة الاف ومثلها او اكثر من المشاة. وقد انسحب قادة الثورة من ميدان المعركة باتجاه الصحراء، بعد ان جرح الشيخ ثويني. ويصف الرحالة البريطاني «توماس هاويل T. Hawel» ما جرى في المعركة بأنه «مذبحة رهيبة... فالميدان مغطى بعظام الرجال والخيول» وبنتيجة المعركة، استرجعت البصرة وارتبطت بباشوية بغداد من جديد.

ان ما اقدم عليه الثوار الثلاثة، كان محاولة شجاعة وجريئة لم

يحالفهم فيها الحظ والمناخ السياسي الاقليمي والدولي، على تحقيق ما ثاروا من اجله. ويحسب لهم ان رأوا الخطر فاتحدوا، وخاضوا المنازلة دون تردد او خوف، رغم جسامة خسائرهم والاذى الذي لحق بهم.

تهون للوطن المســـلوب ارواح
والارض تعرف من مروا ومن راحوا
من اسـتماتوا اســوداً في قضيتها
ان مـــارس الظلم طاغوت وسـفاح

مصادر الحكاية:

١. لوريمر- ص: ١٨٨٥، ١٨٨٦.
٢. د.عبد العزيز سليمان نوار- داود باشا- دار الكاتب العربي- القاهرة ١٩٦٨- ص: ٣٦.
٣. عثمان بن بشر- ص: ٨٢.
٤. علاء كاظم نورس- حكم... ص: ١٥٦.
٥. لونكريك- ص: ٢٣٦، ٢٤٥.
٦. عثمان بن سند- ص: ١٧٢.
٧. الرحالة الانكليزي جاكسون- مشاهدات بريطاني عن العراق- ترجمة سليم طه- مطبعة الاسواق التجارية- بغداد (من دون

تاريخ) ص: ٤٥-٤٦.

٨. حمود الساعدي- دراسات عن الخزاعل- ص: ٤٢.

٩. احمد علي الصوفي- تاريخ المماليك- ص: ٦٣.

١٠. د.خالد السعدون- ص: ٤٨.

١١. محمد فريد- ص: ٣٩٧.

١٢. عباس العزاوي- تاريخ... ج٦- ص: ١٠٠-١٠٢.

١٣. ياسين العمري- غاية المرام.... ص: ١٩٠.

١٤. الكركوكلي- ص: ١٨٦-١٨٧، ٢٤٥.

١٥. علي الشرقي- الالواح- ص: ١١٦.

١٦. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

بيعة طعيس

في سنوات ١٧٩٢-١٧٩٧م، كان القائمون على الامارة السعودية قد بدأوا اندفاعاً هائلاً في شبه الجزيرة العربية وفي المراعي العراقية، وتعرضت مراعي المنتفق وبادية الشامية لهجمات قاسية، مع انتشار الدعاة في دواوين العشائر والمدن الفراتية. زيادة على شكاوي شريف مكة، لسلطات الباب العالي، لم تنفك بشرح الاوضاع المهلكة التي يتعرض لها من ضغوط واندفاع مقاتلي هذه الامارة في ربوعه.

تحت تأثير هذه الاوضاع، ضغط السلطان العثماني كثيراً على والي العراق- سليمان باشا- بضرورة معالجة هذه الحالة، حتى وان استوجب الامر القضاء على هذه الامارة. ولم تكن اوضاع الباشا الشخصية، تشجع قيادته لهذه الحملة، بعد ان انهكته الشيخوخة. ازاء ذلك، لم يجد افضل من الشيخ- ثويني العبد الله- لتولي قيادتها، بحكم خبرته وحسن تنظيمه واضطلاعه بالمهام الصعبة، لذلك أعادة لامارة المنتفق عام ١٧٩٦م، بعد ان خلع عليه وزوده بالمال واناط به هذا الواجب الذي علقت عليه سلطات استنبول الكثير.

وما كاد الشيخ- ثويني- يستقر في رئاسة المنتفق حتى اعلن النفير العام، حيث امضى ثلاثة اشهر وهو يعبيء قواته تعبئة كاملة، سواء من ادوات السلاح او ذخائره. كما ارسل اسطولاً يحمل الذخائر والمؤن الى القطيف. وقد تقاطرت على جيش هذه الحملة، الكثير من القوات العشائرية والحكومية من العراق والكويت والبحرين، كما اسند بقطع من المدفعية مع رماتها.

وقد كاتب الامير-ثويني- الشيخ «براك بن عبد المحسن السرداح» رئيس بني خالد، يستحثه للالتحاق به. بعد ذلك قرر المسير في حملته المدججة بالرجال والسلاح والمؤن، مما اوقع الاضطراب في نجد، ازاء ضخامة وما متوقع ان يواجهوه. حين بلغت هذه الاخبار مسامع الامير «عبد العزيز ال سعود» جمع كل قواته مدركاً خطورة الموقف، كما امر اتباعه بمراقبة الجيش القادم نحوهم وحماية الآبار الرئيسة للمياه، وتسميمها ان عجزوا عن حمايتها، وارسل لملاقاة قوات- ثويني- اكثر قواته صموداً واستبسالاً وهي مكونة من حضر العارض، واناط قيادتها بـ«محمد بن معيقل» وأردفها بقوات اخرى بقيادة ابن اخيه «حسن بن مشاري بن سعود» تقديراً منه لصعوبة المواجهة القادمة.

ولم يتواجه الجيشان مع بعضهما رغم قربهما من الآخر، ادراكاً من الطرفين، بعدم ضرورة تشتيت الجهد المركزي في المواجهة الحاسمة. لذلك، فحين نزل-ثويني- منطقة «الشباك» وهي مكان معروف للتزود بالمياه في ديار بني خالد، بانت اثار هذا الجيش

واهيمته من خلال تلمس المخاطر القادمة على ارض نجد. الا ان تلك المخاطر تبددت بلعبة حظ وعمل فدائي جسور. ففي اثناء انشغال الجيش بنصب خيمة في موقعه الجديد في الاول من تموز عام ١٧٩٧م، انفرد الشيخ-ثويني- عن حاشيته، واقرب خيمة له، هي خيمة- محمد العريعر- ففاجئه عبد مملوك للجبور من بني خالد اسمه «طعيس» وبيده حربة، فطعنه بها، بحيث خرج سنانها من الجهة الاخرى لجسمه، فمات-ثويني- حالاً، وقتل-طعيس- بعده مباشرة دون استجواب!!!

وقد حمل الشيخ-ثويني- لخيمته، واشاع رؤوساء المنتفق انه مصاب، في حين جرى دفنه سراً في جزيرة «العماير» في الاحساء. لذلك لم يبالغ «عثمان بن سند» حين يقول عنه:

هو الليث وافاه على غرة سهم

فهد به للمجد اطامــه الشـــم

وتشير اغلب المصادر الى ان «طعيس» قد جرى اعداده وتجنيده لهذه المهمة، تحت غطاء الدفاع عن الدين. وأميل الى الاعتقاد ان ما جرى، هو ما نسميه اليوم بالاغتيال السياسي. ومازال المثل يضرب في نجد «ببعية طعيس» كمثل للاستقتال من اجل تحقيق هدف معين.

والغريب عن مجريات هذه الحملة الكبيرة التي جرى الاعداد لها على مستويات عليا، ان اثنين قررا مآلها النهائي، الاول: الشيخ ثويني، والثاني: طعيس. فبعد مقتلهما ساد الاضطراب وانعدام النظام

في صفوف الحملة، التي تجزأت لقطع صغيرة، وبدأت عودتها في انسحاب غير منظم، بعد ان تركت المدفعية المصاحبة لها مع ذخائرها مدفونة تحت الرمال. مما اتاح المجال لابن مشاري وابن معيقل، ان يطاردوها، تاركين لفرسانهم حرية القتل الكيفي والحصول على الغنائم الكثيرة، حتى اوصلوهم الى «سفوان».

لقد كان مقتل الشيخ-ثويني- عظيم المنتفق وقرمها الماجد كبيراً لدى الاوساط كافة. وكل طرف رأى غيابه بمنظاره، ففي بغداد احدث اغتياله فزعاً وقلقاً لان الدولة اعتمدت على قابلياته الممتازة في معالجة هذا الامر الخطر، وفي نجد، كان لغياب ثويني، فرحة كبيرة، لانه شكل خطراً حقيقياً عليهم، مما عزز من معنوياتهم واساليبهم القتالية التي باتت مصدر خطر على الدولة العثمانية واقاليمها المتعددة.

لكن يحسب «الطعيس» ان يكون العامل الحاسم في فشل هذه الحملة رغم كل اشكال الجهد والاعداد الذي تهيأ لها، ولذلك لاغرابة ان يذكره اهل نجد لليوم، لشجاعته وعزمه. وفي ذلك يقول شاعرنا:

لجسارة الفرسان نحن نصـفق

حتى وان كان الذي لا نعشق

فمن الرجولة ان تكون محايداً

ومن البلاغة ان صمتك ينطق

مصادر الحكاية:

١. لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب- المؤلف مجهول- تحقيق احمد مصطفى ابو حاكمة- بيروت ١٩٦٧- ص:
٢. حسين بن غنام- روضة الافكار والافهام لمرتادي حال الاحام، وتعدد غزوات ذوي الاسلام- القاهرة ١٩٦٨.
٣. لونكريك- ص: ٢٥٦-٢٥٧.
٤. عثمان بن سند- ص: ١٩٨، ٢٠٢، ٢١٨، ٢١٩.
٥. الكركوكلي- ص: ٢٠٤.
٦. عباس العزاوي- تاريخ... ج٦- ص: ١٢٢-١٢٣.
٧. فاسيلييف- ص: ١١٣-١١٤.
٨. عبد الرحيم عبد الرحمن- الدولة السعودية الاولى ١٧٤٥-١٨١٨- معهد البحوث والدراسات العربية- القاهرة ١٩٦٩- ص: ٩١، ٩٦.
٩. علاء موسى كاظم نورس- ص: ٥٢.
١٠. د.علي الوردي- لمحات- ج١- ص: ١٨٥.
١١. لوريمر- ص: ١٨٨٤.
١٢. الرحالة جاكسون- ص: ٧٩.

وليمة كريمة

بعد ان تآمر- حمود بن ثامر- على المنتفق عام ١٧٨٩ م، فقد ايقظ كل حواسه، ووجه كل جهده وامكاناته الفكرية والعسكرية نحو منافسيه القدماء- الخزاعل- خاصة، وان له حكاية سبقت هذه الحكاية تحت عنوان «وليمة غريبة» هذا غير طموحاته في اعادة حاضرة-السماوة- لنفوذ المنتفق. فجهز جيشاً يبلغ تعداده ثمانية الاف مقاتل، وبمثل هذا العدد، كان جيش الخزاعل الذي وضع تحت قيادة الشيخ-حمد الحمود- رئيس فرقة الخزاعل الساكنين في الجزيرة، وانقياد الشيخ- محسن محمد الحمود- رئيس فرقة السلمان من الخزاعل الساكنين في الشامية، لهذه القيادة، ازاء عدوهم من المنتفقين.

وحين التقى الجيشان في المعركة التي جرت في تشرين الثاني ١٧٩٠ م، فقد اظهر فيها الطرفان، شجاعة فائقة، ووظفا كل طاقاتهما لاجل الانتصار، لاهميته المعنوية والاعتبارية والعسكرية. وقد كان

الامير-حمود- يبحث عن «ابن كايم» صاحب النوق البيضاء، وقاتل والده الامير-ثامر-. لذلك كان يقوم بجولات ليلية على مقاتليه، مقدراً استعدادهم للمعركة وعمق معنوياتهم.

وقد صادفه في احدى هذه الجولات، احد ابناء ثلث «بني سعيد» [١] جاء مشاركاً في المعركة على حصان احمر هزيل، فسأله-حمود- دون ان يعرفه بنفسه عن وجهته في هذه الحرب التي قد تهلكه، فأجابه انه سيقتل «ابن كايم» ويهدي رأسه للشيخ حمود،... فاستغرب الامير ذلك الجواب واستهزأ به، فرد عليه صاحبنا السعيدي (يا ابن الحلال الناس مخابر مو مظاهر...»).

بعد الانتصار الذي حققته المنتفق في هذه المعركة، فقد كانت سعادة الامير -حمود- في قمتها لاسباب ثلاثة: اولهما: عودة حاضرة السماوة لديرة المنتفق، وثانيهما: مقتل ابن كايم، وثالثهما: صدق وعود مقاتليه له بانجاز الانتصار، وكان احدهم من لقاه-حمود- في جولته الليلية، حين وعده برأس «ابن كايم» وقد بر بما وعد به. وكان هذا المقاتل المنتفقي هو «محمد بن معيوف السعيدي» صاحب الفرس الحمراء، والذي قدم رأس «ابن كايم» وحصانه الابيض، هديه لاميره. واكراماً له، فقد منحه الامير-حمود- مشيخة ثلث بني سعيد عامة، ومازالت عائلته تعرف لليوم باسم «البوحمرة» توصيفاً لحصانه

(١) بني سعيد: أحد عماير المنتفق الرئيسة المتكونة منهم ومن بني مالك والأجود. وتتكون من عدد كبير من العشائر في محافظات العراق الجنوبية واسط وميسان وذي قار والبصرة.

الذي دخل به المعركة. وقد اغنى هذا الانتصار، الموروث الشعبي العراقي، حيث اشتهر المثل الذي قاله الامير-حمود- «الحك حك السيف والعاجز يريد شهود»، وقصته، انه بعد انتهاء المعركة، انكر شيخ الخزاعل عائدية السماوة للمنتفق، طالباً من حمود الثامر ان يدله على من يشهد بهذه العائدية، فاجابه بالايجاب،... فرد عليه، (احضرهم غداً وسنرى صحة ما تقوله)... وفي اليوم الثاني اجتمع الفريقان في المكان والزمان المعنيين، وبمعية حمود الثامر مئات الفرسان المدججين بالسلاح،... ولما سأله-حمد الحمود- عن شهوده، اشار الى فرسانه بهذه العبارة التي غدت مثلاً متداولاً حتى الآن.

وكان من النتائج الاخرى لهذه المعركة، ان المنتفق اسرت كثير من مقاتلي الخزاعل، كما انها انهت للابد نفوذ الخزاعل وسيطرتهم على-السماوة-. وقد هلل ابناء المنتفق للانتصار ولتمكنهم من اسر مقاتلي منافسيهم، لانهم استعادوا ما حصل لهم عام ١٧٧٩م، وكان احدهم اميرهم بالذات،... لكن،... حمود الثامر، ليس من اولئك الرجال الذين تتلبسهم حالة الغرور، او الذين يتشفون بالتنكيل بمنافسيهم، حين يتمكنوا من ذلك، او تحضر لديه احن وثارات في موقف هو القوي فيه،... لذلك فأنه قاوم كل الضغوط والطلبات الملحة التي وجدها تنال من ارادة الرجال وتهين كرامتهم، لان ذلك ليس من طبعه،... فجمع الاسرى واستضافهم على مائدته، واثنى على شجاعتهم، مخاطباً اياهم: (لا تهتموا بما يقوله البعض، بانكم

اسرى،... انكم جيشنا، لنا قوتكم وعلينا ضعفكم، ونحن دائماً متممين لبعضنا رغم كل ما حصل...») وفي صباح اليوم الثاني، اعادهم لذويهم مع سلاحهم الذي قاتلوه به، برفقة السيد «ادريس الياسري» وشيعتهم المنتفق باكرام، دون اي تشفي او اذلال او جرح مشاعر،...وكأن الشاعر «فيصل المشاري» كان ينظر لهذا الموقف او ما يشابهه، فيقول:

لنه صدر المجالس والنه دنه

ولنه الجفنه الوسيعه والنه دنه

لنه صوله عله حدنه والنه دنه

أبـــاة ولا تجد بينه الرديـــه

فهل يعد كثيراً، ان يقال عن حمود الثامر، انه بطل الاساطير القبلية؟؟ وكم جميل ان يقول الشاعر في هذه المناسبة.

اولم لهم عفو الكرام عشـــاءا

ودع الاســارى يشبعون حياءاً

فلانت اكرم من وهبت حياتهم

ولأنت اسخى الاكرمين عطاءاً

مصادر الحكاية:

١. حمود الساعدي -دراسات عن الخزاعل- ص: ٤٧.
٢. علي الشرقي- ذكرى السعدون- ص: ٣٣.
٣. لونكريك- اربعة قرون- ص: ٢٤٧.
٤. محمد رشيد السعدي- قرة العين في تاريخ الجزيرة والعراق والنهرين- مطبعة الرشيد ١٣٢٥- ص: ١٢٤.
٥. رفعت رؤوف البزركان- امثال شعبية لها حكايات- مطبعة الرشاد- بغداد ١٩٨٣- ص: ٥٩.
٦. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠)
٧. مركز المخطوطات- رقم الملف (١٧٦٥٢)
٨. مقابلة مع السيد- رشيد الياسري- احد احفاد السيد- ادريس الياسري- في ١٧/ ١٠/ ١٩٩٣- الموفقية-واسط.

ياحسين ديران الرفاكه...

بعد ان توفى والي العراق الخطير «سليمان باشا الكبير» عام ١٨٠٢م، آلت الولاية لصهره «علي باشا» الذي كان اليق رجال سليمان بالمنصب. ولان العادة الجارية آنذاك تستوجب زيارة الوالي الجديد للتهنئة بمنصبه، فقد قام احد وجوه المنتفق وهو «نجم العبد الله المحمد»[١] بزيارته والتلميح له برغبته في تولي مشيخة المنتفق، بديلاً عن شيخها الجليل «حمود الثامر». الا ان الوالي لم يستجب لهذه الرغبة ادراكاً منه بأهمية وجود- حمود- على رأس المنتفق. وبعد عودتهم من بغداد، فقد عرفت «الديرة» بقصة الزيارة ومراميها، مما دفع امير المنتفق، ان يجلي- نجم- ومن معه نحو ديار عشائر زبيد عام ١٨٠٣م.

ظل الشيخ -نجم- في ديار زبيد حوالي ستة اعوام، معززاً مكرماً من قبل شيوخها وابناءها، دون ان يفكر في طلب الاذن من الامير-حمود- بالعودة الى المنتفق. وتشاء الاقدار في اوائل عام ١٨٠٩م، ان يقصده

(١) نجم العبد الله أحد وجوه المنتفق وهو أخ للأمير ثويني العبد الله عينه والي العراق - التتنجي - أميراً على المنتفق عام ١٨١٣ مناكداً بذلك أميرها حمود الثامر، لكن معركة (اغليوين) وضعت حداً لطموحه وطموح الوالي معاً فيما أرادوا فعله.

احد وجهاء عشائر «البوسلطان» طالباً منه الدخاله والحماية من امير زبيد الشيخ «شفلح الشلال». وقد تعهد له -نجم- بذلك، مقدراً حسن تفهم الشيخ -شفلح- للموقف، واطمئنانه بأن يكون مراعياً لعادات وتقاليد العرب في موضوع الدخاله. لكن -شفلح- خرق المعتاد في نوبة غضب عارمة، واخذ ضيف ودخيل نجم من مضيفه بالقوة ونال منه ما يريد، رغم توسطه له. ما حدث اعتبره -نجم- اهانةً له ومساس بكرامته وكرامة قبيلته، مما اوقعه في حرج في شكل التصرف الذي سيقوم به، مع وجود خصومته مع الامير حمود الثامر. هذا الوضع دفعه ان يرسل قصيدة الى «حسين المفتاح» مولى حمود، والمقرب اليه، يقول فيها:

ياحسين ديران الرفاكه مريفه

وانه بديران الغرب جني عله نار

يمنه بلا يسره تراهي ضعيفة

ورجل بلا كومه عله الغبن صبار

الطير بلجنحان محله رفيقه

لو انكسر احد الجنحين ما طار

كما أرسل هذا الموال من العتابة:

أحس الداهس بعظمي ولحمه

وذكرته سورنا الممكن ولحمه

صرت مكدر على الطيبة ولحمه

دخيل اللي انوخذ ما بين الاطناب

شاعت هذه القصيدة وقصتها في ديار المنتفق، وسمع بها قرمها الماجد-حمود- وأيقن انه المعني بما فيهما، وليس حسين المفتاح، لذلك اعلن النفير العام، وسار بجيش كبير نحو ديار زبيد، مصمماً ان يرد لنجم اعتباره. بعد وصول الجيش لهذه الديار، امر اميرهم، مقاتليه ان يوقدوا النيران، والتي بدأت بعد اشتعالها اشبه بالطوق المحيط بالمنطقة، في الوقت نفسه ارسل مولاه-حسين- نحو امير زبيد طالباً منه ان يأتيه على الحال التي يجدها فيه، وهذا ما نفذه المفتاح بدقة.

بعد وصول الشيخ-شفلح الشلال- لمضارب حمود، عاتبه الاخير على فعلته مع نجم، وان جيش المنتفق لم يأت الا لهذا السبب، اعتذر-شفلح- عما حصل، وزار نجم وارضاه، مؤكداً أنها ساعة غضب ولت. وقد عسكر جيش المنتفق ثلاثة ايام في المنطقة، اظهاراً لقوته ولافهام الجميع، انه ذراع طويلة لابنائه حتى وان تباعدوا عن ديار المنتفق. وحين طلب بعض وجوه المنتفق من-نجم- القيام بزيارة الامير-حمود الثامر- وشكره على موقفه، اجابهم: (ما فعله شرفني واعاد كرامتي، لكنه بالاخير واجبه المطلوب القيام به لابناء الديره).

وقد ظل-نجم العبد الله- حتى بعد انتهاء فترة نفيه خارج ديرة المنتفق. وفي عام ١٨١١م، وصله خبر بمرض-حسين المفتاح- وخطورة حالته، فساءه ما سمع، وكتب له:

ياحسين كالولي مريض تسـلم يعز الخايفــات

ردتـــك بســربت خيلنا يومن يكدن للممـــات

وقد منَّ الله على -حسين- بالصحة والعمر المديد، حتى عام ١٨٣٢م. ويصور شاعرنا ذلك الموقف، بالقول:

«اولاء اهلي فمن ذا قبلهم سبقا

لكل مجد ولولاهم لما خلقا

الكافلون يتامى الحي ما سكنوا

والطالعون نجوماً تملأ الأفقا»

مصادر الحكاية:

١. علاء نورس- حكم المماليك- ص: ٨٦.
٢. احمد الصوفي- ص: ١٠٢، ١٠٦.
٣. عباس العزاوي- ج٦- ص: ٥٧.
٤. طلال عثمان المزعل السعيد- ص: ٩٤.
٥. مركز المخطوطات- رقم الملف (١٧٦٥٢).

ابن الوالي والشاوي

في الاشهر الاخيرة من عام ١٨١٢م، تأزمت العلاقة بين الوالي الجديد للعراق «عبد الله باشا التوتنجي» واولاد سيده السابق- سليمان باشا الكبير- بعد ان استشعر الوالي، ان -سعيد بك بن سليمان الكبير- قد يسبب له مشاكل كثيرة، مستغلاً السمعة الحسنة التي حققها والده، يوم كان حاكم العراق المطلق. هذا الاستشعار، دفعه للتضييق على- سعيد- ومراقبته، بل وتدبير خطة للتخلص منه، لانه وجده اخطر منافسيه.

ولان رجال المماليك، ليس فيهم احد يرتبط بوطن او بمطلب الا ما يستطيع ان يصنعه بنفسه وبحياته، وبالمصادفات، مما ترتب عليه ان تكون علاقاتهم مع بعضهم، او مع من حولهم، ذات صفات مصلحية وقصيرة الاجل ومحدودة، يتخللها القتل والاغتيال والغدر والاحتيال والغش ونصب الافخاخ، لذلك باتت انماط العلاقة الحاصلة فيما بينهم، تستوجب الحذر من ما يخطط وينفذه كل طرف للطرف الآخر.

وهذه هي صورة الحال التي كانت سائدة بين الوالي -عبد الله- وابن سيده السابق- سعيد- مما اضطر الاخير بعد ان وجد ان حلقة الموت تكاد ان تطبق عليه، بالهرب نحو المنتفق خوفاً مما يعده الوالي له من خطط، قد تاخذه للقبر. هذا الهروب فسره الوالي بأنه حالة خطره تحيط بمنصبه خوفاً من ان يكاتب -سعيد- استنبول وهو في حماية المنتفق، باسناد الولاية له، لاسيما وان كثير من الاتحادات القبائلية كانت تذكر صنيع والده الجميل معها، مما يجعله يحظى بقبول يفتقر اليه الوالي.

فضلاً عن ذلك- وهو من المهمات- ان محطة الهارب كانت المنتفق، التي يمقتها الوالي ويتحين الفرص للايقاع بها وبأميرها، وهو امر بتقديري، كان الوالي يوليه، اهتمام اكثر من مسألة هروب- سعيد- نحوها. لذلك يصح القول، ان هذا الهروب سرع من خطط ونوايا الوالي بالتصادم مع المنتفق، وليس العكس.

وقد ترافق مع هروب -سعيد بك- نحو المنتفق، انها استقبلت ضيفاً آخر، لا يقل شأناً عن- سعيد- في مشاكله ونفوذه وسوء العلاقة الحاصلة بينه وبين الوالي، الا وهو «جاسم بك بن محمد الشاوي» الذي هرب متباعداً عن الوالي الذي اراد انزال الاذى به، فأضيف متفجر اخر لحزمة البارود التي اوشكت ان تنفجر بين المنتفق ووالي بغداد.

هروب هاتين الشخصيتين المهمتين، مع الاهمال والصدود

والكره الذي يكنه الوالي للامير-حمود الثامر- امير المنتفق، مع رغبة الوالي في دحر المنتفق، وان لم يكن فتطويعها لرغبته وما تطلبه منها السلطات الحكومية. كل هذه الامور ساعدت على تعقيد وتأزيم الحالة بينهما، خاصة بعد فشل تبادل الرسائل بينهما في تطويق الازمة، حيث كتب الوالي لامير المنتفق، يقول «وردت لنا الاخبار ان اسعد بك عندكم. وان التجاءه عندكم خيانة وغدر... ما يكفيك ضبط اراضي البصرة واثمارها، ومنع ايراد الميري عليها ولمدة سنتين، ما قدمتم الذي عليكم، بل الذي يشردون من طرفنا تحميهم وتلفيهم عندك...نروم ان تسلمونا جاسم بك الشاوي واسعد بك، والسلام على من اتبع الهدى»!!!.

كانت الرسالة اشبه بالاوامر المطلوب تنفيذها فوراً، مع ما تحمله من لغه تهديدية واضحة، خاصة في عبارته الاخيرة «والسلام على من اتبع الهدى» وكأنه يخاطب مجموعة من الكفار. الا ان الامير-حمود- لم ترعبه تلك الرسالة، او تهون من عزيمته، بل ان جوابه، كان حاسماً كحد السيف، حيث اجابه بالقول «وصل مرسولك، وان جميع ما حررته من جري تعطيل ايراداتكم والمحصول الذي حصل، فهو حقيقة ولا انكره. ومن طرف البيكاوات الموجودين عندي، فلا يمكن تسليمهم، لان مثل هؤلاء ناس اجواد واشراف، جاءوا الي فيقتضي علي ان الفيهم... ولا نسلم أي واحد يقدم لحينا وديارنا.... والعاقبة للمتقين».

حينها، اتضحت صورة مجرى الاحداث القادمة بين الطرفين،

حسماً لجملة من الامور، وكان هذا المجرى، هو الحرب التي ادرك الامير-حمود- حصولها عاجلاً وليس اجلاً. ومن اجل ذلك، جمع مجلس الامارة وكبار رجالها وشخصياتها، واعلمهم انه سيدخل هذه المعركة، دفاعاً عن ضيفه حتى ولو بفناء ابناءه وعائلته، طالباً منهم الرأي والمشورة. وقد اتفق الجميع على صد هذه الحملة العسكرية، والتي ارادها والي بغداد، اشبه بمعركة حياة او موت، صيانةً للمنتفق وكرامتها. وهذا ما حصل في يوم «اغليوين» لتدخل المنتفق اختباراً صعباً ومريراً، خرجت منه اقوى مما كانت عليه، وليذهب الوالي وجيشه في اخبار كان التي ظل العراق يتداولها زمناً طويلاً.

مصادر الحكاية:

١. سليمان فائق- تاريخ المنتفق- ص: ١٦.
٢. رحلة المستر ريج- ص: ٦٢.
٣. علاء كاظم نورس- ص: ٨١.
٤. لونكريك- ص: ٢٧٤.
٥. الصوفي- ص: ١٣٩.
٦. عباس العزاوي- ج٦- ص:
٧. علي الشرقي- الالواح- ص: ٥٤.
٨. سليمان فائق- الكولومند- ص: ٤١.

اغليوين

قد يبدو الاسم غريباً او غير المألوف، لكنه مع ذلك يحفظ للمنتفق يوماً من اجمل أيام عمرها وزهوها، حين تمكنت فيه، دون بقيت كل الامارات العراقية، او من موجود منها في المنطقة الاقليمية، ان تهزم جيش الدولة وتنزل قصاص الموت بممثلها «الوالي» وتنصب والياً جديداً على العراق. كل ذلك حدث في الايام الاولى لعام ١٨١٣م.

فبعد ان تبوأ «عبد الله باشا التوتنجي» ولاية العراق، انشغل بهمين وجدهما يتصدران اهتماماته، الاول: التضييق، بل وحتى القتل لكل منافسيه ممن يتطلعون للولاية، وفي المقدمة منهم ابناء سيده السابق «سليمان باشا الكبير» والتي عالجنا بعض جوانبها في حكاية «ابن الوالي والشاوي»، والثاني: دحر المنتفق وتطويعها لارادة الدولة، بعد ان استعصت على الجميع ممن سبقوه من الولاة، لانه وجدها ذات كيان يتحدى ارادة الدولة وسلطانها. ولان النية حين تجتمع مسبباتها، تصبح صاعقاً متفجراً، فقد آل الوالي على نفسه، التوجه بجيش جرار نحو المنتفق لاخراجها من دائرة التأثير والنفوذ الذي وجده يمس

بسلطانه ونفوذه، خاصة وان التحريض والتعبئة ضد هذه الامارة، لم يقف عند الوالي وكهيته «طاهر اغا» بل امتد ليتسع عند كثيرين من المشايخ والقوى المحلية التي وجدت نفسها، غير قادرة على التلائم مع بقاء المنتفق بكامل قوتها مع ما انجزته من مآثر، وفي المقدمة منها، تحرير البصرة، والتي ظلت هذه القوى بعيدة عن المساهمة فيه، مما اضعف خطابها وثلم الكثير مما تدعيه بالقوة والحمية والمثابرة بوجه الغزاة، بحيث بات قبولها عند جمهورها الواسع، موضع شك.

تجمعت كل هذه الاسباب، مع اشكال التحريض والتأزيم لتدفع بالوالي ان يقود جيشه بنفسه، لانزال الهزيمة بالمنتفق، بعد ان اتضح ان شكل الخلاف الحاصل لا يمكن الطرفين من الوصول لتسوية مقبوله. ولذلك كان للمضاعفات المستجدة، قوة استدعاء للتراكمات المترسبة من اسباب قديمة، مما دفع بالامور نحو الصدام.

اللافت في هذه الحملة المتجهة نحو المنتفق، انها اسندت من جميع رؤوساء القبائل المهمة في وسط العراق وشماله وبواديه، فكان مع الجيش قوات عشائر ربيعه يتقدمهم الامير «مشكور» وقوات الخزاعل ومقدمهم الشيخ «سبتي بن محسن المحمد» وقوات عقيل يتقدمهم شيخهم «ناصر محمد الشبلي» وقوات الجشعم، زيادة عليها قوات اللاوند واغوات الاكراد والتركمان. كما التحقت بهم قوات الشيخ «نجم العبد الله» الذي عينه الوالي، اميراً على المنتفق بدلاً من اميرها- حمود الثامر- بحيث كان هذا الجيش والعشائر المساندة له في مسيرته نحو المنتفق من اضخم الحملات العسكرية التي شهدها العراق.

وفي ١٠ كانون الثاني/ يناير ١٨١٣م، وقعت المعركة المنتظرة في محل يقال له «اغليوين» وهو جدول صغير يقع بين مدنيتي الناصرية وسوق الشيوخ. وقد اراد الوالي اظهار قوته وارهاب المنتفق، حين اطلق العنان لمدافعه وبكثافة نارية كبيرة، مما اعطاه ارجحية في بداية الامر، الا ان صمود المقاتلين وفي مقدمتهم الامير-حمود- مع استبسال قوات القلب التي كان يقودها ابنه «برغش» وعدم انسحابهم او تقهقرهم، حد من هذه الارجحية، ترافق معها قيام قوات «المنجية» العائدة للمنتفق والتي يقودها «صالح الثامر»[1] بالالتفاف على الجيش من الخلف وقتلهم امير ربيعة، مما فتت قواته وجعلهم خارج حسابات العون لجيش الوالي. هذه الامور اعادت المتقهقرين من جيش المنتفق لساحة المعركة، التي شهدت تلاحماً وصل الى حد الاشتباك بالسلاح الابيض، مما عرض جيش الدولة للانكسار والتشرذم، رافقه قتل شيخ الخزاعل ومقدم الجشعم واغلب قادة الجيش وامرائه، مما اوضح بعد يوم قتالي شديد، حقائق الموقف ونتائجه، الامر الذي وجد فيه الوالي نفسه وكهيته، مطوقين بخيالة المنتفق التي يقودها «علي الثامر»[2] مما اضطرهم الى الاستسلام، فنقلوا الى سوق الشيوخ كأسرى، حيث جرى اعدامهم بعد يومين، ورميت رؤوسهم تحت اقدام حمود الثامر وسعيد بك.

يامن يســـائل بالاتـــراك ما فعلوا

غدت عليهم رمال الارض تشتعل

---

(١) صالح الثامر: شقيق أمير المنتفق حمود الثامر ومن أبرز قادته طوال مدة امارته.

(٢) علي الثامر: شقيق أمير المنتفق ومن أبرز قادته ومعاونيه طوال وجوده على رأس الاتحاد القبائلي.

قد اشبع الذئب من اجسادهم سنةً
ان الكـــرام اذا ناطحتـــهم جبـــل

لقد كان انتصار المنتفق في هذه المعركة كبيراً، بحيث انها لم تمكن احداً من الغزاة الذين تعرضوا لها من العودة لارضه سالماً. ومن الطرائف في هذه المعركة، ان مقاتلي جيش المنتفق وبعد ان جردوا جيش الوالي من اسلحتهم ومعداتهم، عادوا ولبسوا بدلاتهم المزركشة الالوان، فكان الناظر يجد في الجيش الذي امامه، جيشاً آخر، هو غير جيش المنتفق الذي ذهب اولاً للقاء عدوه. هذه النتيجة الكاسحة، دفعت المنتفق ان تنصب «سعيد بك» والياً جديداً على العراق، ولذلك فهي لوحدها، دون كل الامارات والمشايخ العراقية والاقليمية، من اعدمت والياً معيناً بفرمان سلطاني، وعينت آخراً بواقع ما حصل وبقوتها ونفوذها. لذلك فان دخول- سعيد بك- بغداد في السادس عشر من مايس ١٨١٣م وبصحبته حمود الثامر وجيش المنتفق، يمثل قمة ما حققته المنتفق من نفوذ وهيبة محلياً واقليمياً.

ان قيادة-حمود الثامر- للمنتفق في تلك المرحلة الدقيقة، وعدم نكوصه او تهربه من المواجهة الحاسمة حين استوجبتها الضرورة، يعطي دلالة واضحة على القدرة التي تفعلها القبائل المنظمة في تقرير حقائق الموقف السياسي، ان ارادت ذلك، من خلال عقل قيادي ميداني، يعرف قدراته وامكانات خصمه، من خلال توظيفها بشكل متصاعد نحو هدف مركزي. ولذلك لم يكن الشيخ «عبد الله الفالح» بعيداً عن الحقيقة، حين قال بحق-حمود الثامر-:

يا راجبـــة خـــذ الرسـالة لها فن

تل اللحم والاصـــبيخ تغنيـــــه

حمود الي عكبه العذارى يحبلن

شيخ العرب ما هي ختية محاجيه

وقد مكن هذا الانتصار المنتفق بأن يكون وضعها متميزاً حتى مع الدولة «العلية» وكذلك مع القوى الوافدة للمنطقة، التي باتت تحسب لهذه القوة مقدار التأثير والفعل الذي تحققه على الارض، مما دفع كلا الطرفين (العثمانيين والقوى الوافدة) ان تتوافقا تحت اشكال متعددة لتحجيم او انهاء هذه القوة التي باتت تؤثر في مجمل نشاط المتنافسين على الاقليم العراقي والمناطق التي ينفتح عليها.

مصادر الحكاية:

١. لونكريك- ص: ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨١.

٢. الكركوكلي- ص: ٢٥٨-٢٦٠.

٣. سليمان فائق- تاريخ المنتفق- ص: ١٦-٢٠.

٤. الصوفي- ص: ١٣٩-١٤١.

٥. سليمان فائق- الكولومنده- ص: ٤٢.

٦. علاء كاظم نورس- ص: ٨٦.

٧. عباس العزاوي- ج٦- ص: ٢١٥، ٢٢٣.

٨. عثمان بن سند- ص: ٢٧٩-٢٨٠.

٩. علي الشرقي- الالواح- ص: ٥٦.

١٠. النبهاني- ص: ٤١٥.

١١. رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠- ص: ٦٢.

برغش

برغش بن حمود الثامر، احد فرسان المنتفق وشجعانها هذا غير صورته الجميلة ومنظره الحسن، مما اكسبه قبول ومحبة الجميع، خاصة وان والده الامير-حمود- كان يعده مشروعه المستقبلي للمنتفق. لكن يوم حمى الوطيس في معركة «اغليوين» المصيرية بين المنتفق وجيش والي العراق «عبد الله باشا التوتنجي» والتي جرت في ١٠/ ١/ ١٨١٣م، كان لبرغش دور رئيس في رجحان كفة المنتفق، حين صمد بقواته في القلب، إزاء هجمات جيش الوالي المتكررة.

وإزاء ضغط هجمات جيش الوالي، مع ما يقابله من استبسال وصمود المقاتلين في القلب والذين يقودهم-برغش- فقد تلقى طعنة بالسيف من احد اغوات الاكراد المرافقين للجيش، وكانت طعنة نافذة. الا ان فعاليات بقية قوات المنتفق، قد حسمت النصر لها، مما مكنهم من اسر الوالي وكهيته وبقية قادة الجيش ممن سلموا من القتل. وبدا جيش الوالي، اشبه بالسراب، مما اكسب المنتفق ارجحية معنوية واعتبارية في اشكال الصراعات التي كانت دائرة آنذاك على

المسرح العراقي. بل لا ابالغ حين اقول ان نصر «اغليوين» كان اجمل ايام المنتفق، مما اكسبهم ود الجميع، خاصة وان هذا النصر قد رافقته اجراءات ترتيبية تمثلت في تعيين «سعيد بن سليمان الكبير» والياً على العراق بقوة ونفوذ واسناد المنتفق.

وقد تعاملت الدولة العثمانية مع ما جرى، بسياسة النفس الطويل، وقبلت النتائج التي تحققت على الارض، كأمر واقع. وكان دخول الوالي الجديد الى بغداد، وهو محاطاً بقوات المنتفق، امر له دلالاته العميقة، والتي لم يجر توظيف امكاناتها بشكل جيد، بما يحرر العراق وينجز استقلاله، لاسباب يقف في مقدمتها، قصر النظر وتطبع المنتفق بحياة البداوة التي وجدتها اكثر ملائمة لاحوالها.

وبعد اسر الوالي وقادته، فقد ظلت حياتهم معلقة على حياة- برغش- الذي كان يكافح لحياته ويقاسي الآم جروحه، والتي توفى منها بعد يومين. فكانت نهاية الوالي وكهيته، بعد ان شنقوا في سوق الشيوخ. وطيلة معاناته في التغلب على جروحه، كان التفاف الجميع حوله كبيراً. بل ان بنات المنتفق كان ينشدن قرب خيمته التي يتطبب فيها، غناءاً، يقول:

او يـــلاخ يـــايــــــابه	جمـــع الكرد ما هابــه
جمع الكرد هالطشــره	وبســلاح سيفه مرمره
حمود ردهـــم ليـــوره	كـــــــرد وروم كوليــــه

الا ان قضاء الله، كان هو الفيصل، ولم تمكن -برغش- شجاعته

ومعاناته من مواصلة الطريق.

لك في قلوب الترك رمح يطش

من ليس يسمع فيك فهو الاطرش

فــاذا رأيت كتيبــة هزمت على

يـــد فـــارس فرد فـــذلك برغش

مصادر الحكاية:

١. عباس العزاوي- تاريخ...ج٦- ص: ٢١٥.

٢. الكركوكلي- ص: ٢٥٩.

٣. لونكريك- ص: ٢٧٥.

٤. علاء كاظم نورس- حكم... -ص: ٨٦.

٥. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

هذا والعذر يثويني

نجم العبد الله المحمد الشبيب، احد شخصيات المنتفق ورجالها البارزين، كانت له سجالات ومواقف كثيرة مع اهله او مع الخصوم. والملاحظة الجديرة بالتسجيل منذ البدء، ان الرجل لم يكن محظوظاً، رغم كل ما يمتلكه من صفات ايجابية. فقد عاش وسط رجال، كان من الصعب عليه مزاحمتهم، كما ان الظروف لم تكن متيسرة. فهو رغم مشاركته في كل حملات الامير-ثامر بن سعدون- ودوره الفعال فيها، وخاصةً في معارك تحرير البصرة من الفرس عام ١٧٧٩م، ومن ثم مشاركته في كل حملات اخيه الامير-ثويني العبد الله- داخل العراق وفي نجد، لكنه لم يستطع ان يتصدر الصفوف الاولى لوجود الجديرين باشغالها.

وبعد مقتل الشيخ-ثويني- اثناء حملته في نجد عام ١٧٩٩م، وتبوأ الشيخ-حمود بن ثامر- امارة المنتفق، فقد كان من الصعب عليه، التوائم مع الامير الجديد، الامر الذي اضطر الاخير لنفيه خارج «ديرة» المنتفق بسبب مشاكساته الكثيرة. وبعد استقراره عند مضيفيه الجدد من شيوخ عشائر «زبيد» فقد حدثت معه الحكاية التي تناولناها

تحت عنوان (يا حسين ديران الرفاكة) ورغم ما سببته هذه الحكاية من الم وفخر، في آن واحد، لكنه ظل معانداً كبريائه في التنازل للامير- حمود- مهما فعل الاخير من امر، حتى ولو بتجييش الجيوش من اجله.. وبعد انتهاء فترة نفيه لم يعد للمنتفق، بل تباعد، وسكن بغداد، متقرباً للوالي ومحرضاً اياه على المنتفق واميرها، الذي عاب عليه طريقة ادارته الامور، بشكل استبدادي.

وفي عام ١٨١٣م، وبعد ان تأزمت الامور بين والي بغداد «عبد الله باشا التوتنجي» وامارة المنتفق، فقد اصدر الوالي مرسوماً، بعزل الشيخ-حمود- عن الامارة، ورشح لتوليها الشيخ-نجم العبد الله- المقيم عنده في بغداد. الا ان تلك الاجراءات كانت تستوجب من ينفذها على الارض، والا تظل مراسيم ورقيه لا تقدم ولا تؤخر. لكن حالة التأزم بين الطرفين تصاعدت، حتى آل الامر ان يسير الوالي بنفسه على رأس جيشه لعزل الشيخ-حمود- من الامارة، ويعين من رشحه. هذا التصعيد، استوجب من-نجم العبد الله- ان يسير مع جيش الوالي ومعه معيته وخواصه القليلين، وهم على معرفة ان المنتفق ستقاتل الوالي وجيشه. وهذا ما حصل في معركة «اغليوين» قرب مدينة سوق الشيوخ في كانون الثاني ١٨١٣م ويومها، خاضت المنتفق يوماً دامياً وعصيباً، لكنه في النهاية كان يوماً تاريخياً وزاهياً، حين هزمت جيش الوالي وقتلت كل من ناصره من شيوخ العشائر، والقت القبض على الوالي وكهيته وقادة جيشه، ومن رافقه ومن ضمنهم الشيخ نجم العبد الله.

كان جميع ابناء المنتفق غير راضين على خطوة الشيخ-نجم- بمرافقة الوالي ومعاونته على قتال اهله، لذلك كان تصرفه محل غضب واستهجان الجميع. وحين جيء-بنجم- مقيداً واسيراً، فقد تلقاه ابن عمه «علي الثامر» وهو شقيق الامير-حمود- غاضباً ومزمجراً، شاهراً سيفه، ليصب جام غضبه في جسد-نجم العبد الله- الذي كان يردد، وهو يتلقى ضربات السيف (هذا والعذر يثويني). وقد اشتهر وشاع هذا القول في ديرة المنتفق لمعانيه ودلالاته، بل واصبح مثلاً متداولاً حتى اليوم في الحالات المشابهة، للحالة التي وجد فيها-نجم العبد الله- نفسه، وهو يواجه الموت بشجاعة. وقد رصد شاعرنا هذا الموقف الملتبس، فقال فيه:

السيف هذا ان عفوت فسيد
واذا اقتصصت فأن حكمك عادل
امارة بالسوء نفسي اذ ترى
مثلي لمثلك يا أمير تقاتل

مصادر الحكاية:

١. النبهاني- ص: ٤١٥.
٢. الصوفي- ص: ١٤١.
٣. لونكريك- ص: ٢٧٥.

٤. علي الشرقي- الالواح... ص: ٥٦.
٥. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

ابنيه

في عام ١٨١٦م، وضمن التحالفات القائمة آنذاك بين الاتحادات القبائلية، تدخل المنتفق، ومعها جيش والي بغداد آنذاك «سعيد باشا» وعشائر الرولة من عنزه برئاسة (الدريعي) وكذلك عشائر الضفير وعشائر عقيل، في تحالف مناهض ضد تجمع عشائر شمر وزبيد والخزاعل. وقد تمكن التحالف الاول من ايقاع الهزيمة بمنافسه، بعد ان اباد منهم الكثير في معركة استمرت يومين، استبسل فيها جميع المحاربين. وكان ابرز من قتل في تلك المعركة الشيخ «ابنيه بن قرينس الجربا الشمري» الذي كان يتحاماه الجميع لشجاعته وجرأته وقواه الجسمانية. لكن احد شجعان المنتفق وهو «عبد العزيز بن حمود الثامر» جندله بطعنة رمح اسقطته من حصانه، مما اتاح الفرصة لـ «عيسى بن محمد الثامر» ان يصرعه ويجلس على صدره ليذبحه. لكنه قبل ان يفعل ذلك طلب منه- ابنيه- ان يأخذه للشيخ «حمود الثامر» امير المنتفق ليرى رأيه فيه، لكن-عيسى- رفض الطلب وقال له: (كيف ادعك تصل للشيخ حمود حياً وانت الذي قتلت اخيه-عبد الله- وابن اخيه-ازويد- وبعض رجال المنتفق وسلبت اموالهم

ومتاعهم،...) فقال له-ابنيه- (ماذا تريد الآن؟) فرد عليه: (سوف اذبحك واخذ رأسك بيدي لعمي الشيخ حمود)،... فقال له- ابنيه-: (والله ستكون جائزتك منه، ان يبصق في وجهك ويطردك،...) فلم يلتفت-عيسى- لقوله، واقدم على ما نوى عليه،... ثم اخذ رأس- ابنيه- الى فسطاط عمه، وهو مزهواً بما فعل، وحين اقترب من مجلسه، اخبر الامير «حمود الثامر» ان عيسى المحمد، اتاك فرحاً وبيده رأس-ابنيه الجربا-، فنهض متألماً وغاضباً، وتلقى ابن اخيه، بالسب والشتيمة، ثم بصق في وجهه وطرده من ديوانه!!! فضحك- عيسى- بصوت عال، استغربها الشيخ حمود وعموم الحاضرين، ثم اخبرهم ان-ابنيه- توقع ما تروه من-ابو برغش- لكني لم اصدقه!!!

بعد انتهاء المعركة، دفن الشيخ-حمود- جثمان الفارس-ابنيه- في الجهة اليمنى من نهر الديوانية في ارض يقال لها «الزرزوريه» وهو في اشد حالات الحزن عليه، وجافى ابن اخيه، عيسى، طيلة فترة امارته، ازاء ما اقدم عليه، لانه يرى ان قتل مثل هؤلاء الفرسان، خسارة كبيرة، لا يجوز ان يقدم عليها احد، حتى وان كان بامكانه ذلك... ولم يكن «لونكريك» بعيداً عن الحقيقة حين يصف الامير-حمود الثامر- بأنه بطل الاساطير القبلية.

اما لماذا، هذه القسوة مع-ابنيه الجربا- فلها قصة لابد من ايرادها، لتستكمل صورة الاحداث،... ففي عام ١٨١٣م، وبعد انتصار المنتفق في معركة «اغليوين» اجلى الامير-حمود الثامر- اخيه راشد، ازاء تصرفه غير اللائق مع شيخ بني خالد، «زيد بن عريعر» نحو ديار

شمر في سنجار، رافقه فيها شقيقه-عبد الله- وبعض خواصهم. وبعد عامين من النفي، سمح لهم بالعودة، فقاما بتوديع وجوه وكبار شمر، واولهم صديقهم- ابنيه الجربا- شاكرين لهم ضيافتهم وما قدموه لهم من مساعدة. لكن صديقهم-ابنيه- اخبرهم وبالنص («لكم المهربات وهي ثلاثة ايام واليوم الرابع نتبعكم ونأخذ حلالكم») فأستغربا ما اخبرا به، خاصة وان المتحدث صديقهم المقرب!!! وعند الاستفسار منه عن ذلك، رد عليهما («هذه عاداتنا وقد انتهت مدة حمايتكم»).

بعد هذا الايضاح، تعجل الجميع الرحيل، وهم بين مصدق ومكذب لما سمعاه. وبعد سبعة ايام على مغادرتهم ارض عشائر شمر، اطل عليهم- ابنيه- ومعه مئة من خيالة شمر، في مكان قريب من آثار طاق كسرى جنوبي بغداد،... وبعد معركة غير متكافئة، قتل فيها «عبد الله بن ثامر» و«ازويد بن راشد» وسبعة آخرون، استولى فرسان شمر على كل ما عندهم من مال وحلال، وعادوا وافرين بما تمكنوا عليه.

ما حدث احزن جميع ابناء المنتفق، لذلك كان الجميع، يطلبون- ابنيه- بثأر لفعله الذي لم تعتاده «ديرة» المنتفق، وهو السبب الذي دفع عيسى بن محمد، ان لا يكون رحيماً معه- ويصف شاعرنا ذلك بالقول:

ومن حق الرجال على الرجال   عتاب حين يؤذن بالقتال

لان سـيوفنا تبـكي عليـهم   وان كانوا اعادينا الغوالي

مصادر الحكاية:

١. عباس العزاوي- تاريخ. ...- ج٦- ص: ٢٢٣.
٢. عثمان بن سند- ص: ٢٨٦.
٣. رسول الكركوكلي- ص: ٢٦٨.
٤. حمود الساعدي- دراسات عن الخزاعل- ص: ٧٦.
٥. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

سريبة الموت

قد تكون المفردة «سريبة الموت» محرفة عن مفردة «السرية» التي تستخدم في توصيف تراتيب التشكيلات القتالية المستعملة في الجيوش النظامية، وربما أنها أعطيت كوصف لمجموعة قتالية كانت قادرة على النفاذ والتسرب لأدق المواقع القتالية عند الخصوم. و«سريبة الموت» وصف كان يصف بها رجال المنتفق، مجموعة من مغامري الحروب وعشاقها، من أصحاب الفعل القتالي المتميز، ومن القادرين بجسارتهم وشجاعتهم على خلخلة دفاع الخصم، حينما يتسربون لمواقع حساسة ومهمة في الأداء القتالي المتقابل، مما يهيء الاجواء لعموم جيش المنتفق أن يعالج الصدمة القتالية التي يتلقاها من المقابل بثبات وادارة سليمة.

وسريبة الموت، كان وصفاً مقروناً بأحد حمائل السعدون وهم من الابناء الذين ينتسبون لجدهم «منصور الثامر» وهم «العبد الله، الظاهر، الحسين، السليمان، الذي تتفرع منه حمولة الداود». حيث كان أغلب مقاتلي هذه المجموعة منهم، وكانوا في الغالب من الشباب

المرتبطين بـ«عجيد» هذه المجموعة القتالية، اذ كان رجال المنتفق يتباهون بفعلهم القتالي المتميز، وما يفعلون في معسكر الخصوم. خاصة وان مجتمعات ذلك الزمان، كان تعطي للمتميز قتالياً، تميزاً اجتماعياً واعتبارياً، يتسع حيثما يتسع فعله واداؤه القتالي.

ولذلك فأنه حين يبدأ فعلهم الذي هو بمثابة ساعة الصفر للمواجهة بين المتقاتلين، فأن معسكر جيش المنتفق، يبدأ بالغناء على طريقة «الحداء» بالقول:

لو سـربت سربتنـا كولـو خـذو كمكمهم

و«الكمكم» هو الوعاء الكبير لتحضير القهوة في الدواوين، وهي اشارة رمزية بليغة للامكانية والفعل الذي تفعله هذه المجموعة في معسكر الخصوم.

ومما يروى عن أمير المنتفق «حمود الثامر» انه حينما أبلغ بخسارة أحد أنجاله معركته ضد والي البصرة العثماني عام ١٨٢٦م، حينما كان يطوقها، فأنه تأسف أن الشيخ «تركي بن سعود الداود» لم يحضرها لوفاته قبل المعركة، وهو أشهر قادة «سريبة الموت» لانه- بتقديره- لو كان حاضراً لتغيرت نتيجة المعركة ولتغيرت من ثمّ المواقف السياسية للدولة، التي آلت في ما بعد لتنحية الامير- حمود- عن المشيخة بالقوة ومن ثم سجنه حتى وفاته عام ١٨٣١م في بغداد.

وسريبة الموت أحدى اشكال الفعل القتالي التي ظهرت في مجتمع قبلي تميز اداؤه بالسرعة والصدمة القتالية التي كانت تستوجبها

ظروف المرحلة السائدة آنذاك، مما يتطلب اداءاً، قد يصل حد التهور واللامعقول، ولذلك فأن شاعرنا كان صادقاً حينما يصفهم بالقول:

يا سربة الموت ان الفعل قد حانـا

ردي علينا زمانـــاً كان عنوانـا

للقاحمين ستار الموت في ضحك

واللابسين جلود الموت أكفانا

مصادر الحكاية

١. -مركز المخطوطات - رقم الملف (٦٦٧٠).

أنا بالباب...

بعد ان آلت امارة المنتفق لعجيل بن محمد الثامر [١] «اخو سعدى» فقد سجنت الدولة العثمانية الامير السابق «حمود الثامر» في القلعة العسكرية في بغداد منذ تشرين الثاني ١٨٢٦م، خاصة بعد ان مالت مكامن القوة وافعالها باتجاه الامير الجديد، جراء اسناده بقوات حكومية فعالة، مما غير معادلات القوة لصالح التغيير، كما ان اغلبية المنتفق، ايدت اخا سعدى في ما حصل.

واجد ان تبوأ- اخو سعدى- الامارة، مع كل ما يتصف به من كفاءة وشجاعة ومؤهلات اخرى، من اقسى الضربات وأوجعها التي تلقتها المنتفق طيلة مسيرتها، لان الخروج عن الاجماع وبالطريقة التي حدثت وبوجود اميرها العظيم-حمود- والذي يوصف ببطل الاساطير القبلية، يشكل حالة من التراجع والانكسار وخدش القيم

(١) عجيل بن محمد الثامر: أمير المنتفق بين أعوام ١٨٢٦-١٨٣١ والملقب بأخي سعده من أشجع فرسان المنتفق ورجالهم. توسعت الامارة في عهده كثيراً بعد أن دخل في معارك مع امارة ربيعة ومشيخة الخزاعل. هزمه المرض ولم تهزمه جيوش الدولة في آخر معاركه عام ١٨٣١.

والافعال. بل ان البعض يرى انه «بانتهاء حكم الامير حمود الثامر، ينتهي اهم فصول تاريخ المنتفق، وهو فصل كفاحهم السياسي الصريح من اجل الامارة والاستقلال، وبدأ مكانه طور جديد، اتسم فيه تاريخها بالتحول نحو الاستقرار والتوطن في المناطق الزراعية».

بعد اعتقال الشيخ -حمود- وسجنه في القلعة العسكرية، فقد انفض السمار من حوله، بل ان حتى ابنائه تركوه لوحده مع جدران السجن، لايؤآنسه غير شقيقه -محمد- والد الامير الجديد، وذهبوا ضيوفاً عند شيوخ المحمرة، بعد ان رفضوا اطاعة -اخو سعدى- والقبول بامارته، مما مكن الامير الجديد، ان يتفرغ لنشاطاته وينجح في الحصول على قبول المنتفق بامارته، بعد خلو الساحة من اهم منافسيه. هذه الاوضاع آلمت الشيخ -حمود- كثيراً، وحزت في نفسه الابيه، واثقلت الامة. ازاء ذلك ارسل بيت «عتابه» لاولاده، وهم ضيوف عند امير المحمرة «غيث» يقول فيه:

أنـا بالبـــاب وعيوني عليكم

تكسر عبرتي بصدري عليكم

كضيت انواب والنوبه عليكم

طلعتوا ما بكم رجل ينهـــاب

فرد عليه، اشجع ابنائه واكثرهم الماً على ما حدث واظهرهم حماسة وغيرة -عبد العزيز- بيت «عتابه» يقول فيه:

حمود العزل ودن لك سلامات

وبيهن صاح دلالي سلامات

عجيل انجـان فاتتلك سلامات

ادك اوشـــام والبس اعصابه

وقد استحضر شاعرنا، معاناة الامير-حمود- وما صادفه من تقلبات الدهر وتصاريفه، فقال:

أنا بالبـاب يجرحني نـــدائي

اغص بــكم ولا تــردون مائي

قضيت العمر في الاهوال درعاً

امـــامكم، وها انتــم ورائي

وما ثقــل القيـــود أذل ظهري

ولكن ثقل من هدروا دمـــائي

ووفى-عبد العزيز- نذره، حين قتل-اخو سعدى- في اواخر عام ١٨٣١م، ومكن اخويه «ماجد وفيصل» من تبوأ مقاليد الامارة. لكن للاسف فان المنتفق خسرت الاثنان، حين قتل-عجيل- في صدام مع الدولة العثمانية، في الوقت نفسه الذي غيب الموت- حمود- بمرض الطاعون الذي اصاب بغداد بعد حصارها من قبل الجيش العثماني في اواخر ١٨٣١م، عن عمر يتجاوز السبعين. وقد دفن في منطقة «تل اسود» وهي المنطقة الواقعة حالياً بين حي الجهاد وحي العامل، في بغداد، والتي دخلت منذ سبعينيات القرن الماضي في نطاق امانة بغداد، التي وزعتها على شكل قطع سكنية، وما يؤكد ذلك

ما تقوله المنتفق، حين يمر ذكر حمود الثامر «انهم يرددون («يهل النايم بتل اسود شك الجفن كومنه»). وقد بحثت في هذه المنطقة منذ عام ١٩٨٥ والسنين التي تلتها عن هذا القبر، لكني لم اهتد له، بعد ان دخلتها حركة العمران والتشييد.

مصادر الحكاية:

١. النبهاني- ص: ٤٢٤.
٢. لونكريك- ص: ٣٧٣.
٣. د.عماد عبد السلام- ص: ٤٢٢.
٤. حسين خلف- ج١-ص: ٧٨.
٥. مركز المخطوطات- (٦٦٧٠).

الي يريد ألبرص...

بعد ان استقرت الاوضاع لصالح الامير «عجيل بن محمد» المعروف عند اهل المنتفق بـ «اخو سعدى» بعد اعتقال الامير «حمود الثامر» وسجنه في الثكنه العسكرية في بغداد. سعى الامير الجديد، لتوسيع نفوذ امارته، وتحديداً حيث المناطق الزراعية المثمرة، التي كانت خارج سيطرة المنتفق. وقد تطلع اولاً، باتجاه اراضي اعالي نهر الغراف والعائدة لامارة اخواله من «ربيعة» والذين قضى في مرابعهم فترة طفولته، وتأثر بالكثير من طباعهم، بما فيه نعارهم، والذي كان الامير-عجيل- يتنخى به في الملمات، مخالفاً بذلك كل اهل المنتفق في نعارهم المعروف بـ«منشه»، حيث كان نعار «اخو سعدى» معروفاً عند اهل المنتفق، بشخص اميرها -عجيل بن محمد الثامر-.

ما ان حل عام ١٨٢٨م، حتى جرت واقعة بين امارتي المنتفق وربيعة، في عام يطلق عليه عامة الناس «عام الكنجي»، وقد سميت هذه المعركة بمعركة الشطرة الاولى، كانت نتائجها النهائية انتصار المنتفق، وجلاء امراء ربيعة عن المناطق الجديدة التي اصبحت

بحوزة امارة المنتفق، ناقلين حتى مناطق سكناهم الى منطقة «شادي» الواقعة شمال مدينة الكوت الحالية. هذا النصر مع ما رافقه من جلاء امراء ربيعة نحو منطقة اخرى، كان موضوعاً في الموروث الشعبي العراقي، وبشكل خاص في الاشعار التي قيلت فيه. وكان اشهر هذه الاشعار والتي اصبحت مثلاً متداولاً، ما قاله «منادي الصياح» احد رجال المنتفق، وهو يخاطب امير ربيعة «نصيف»

كعدنـــا بفي غربـــه وفي شادي

ولعبنا مع الاروام بخشب شادي

الي يريد البرص[١] ما ينزل بشادي[٢]

مرابعـــة بين العبد والجادريـــة[٣]

وقد وسعت هذه المعركة وبالطريقة التي انتهت من نفوذ امارة المنتفق، ومنحتها اراضي زراعية منتجة، كما انها نقلت لها ولاءات عشائر جديدة، وتحديداً عشائر «عبوده» و«بني ركاب» الذين انضموا لثلث «الاجود». ولاحقاً، ولاسباب عديدة، لسنا بصددها، فقد ترأست «عبوده» على ثلث «الاجود» مما منحها ومنح رجالها تأثيراً كبيراً في مجرى الاحداث السياسية والاجتماعية، خاصة في فترة الاحتلال البريطاني للعراق والذي ابتدأ منذ عام ١٩١٥م. فضلاًعن ذلك، ان

(١)(*)البرص: ارض منبسطة تقع غربي مدينة الشطرة الحالية، وكانت منازلاً لامراء ربيعة.

(٢)(**)شادي: نهر يقع شمال مدين الكوت الحالية.

(٣)(***)العبد والجادرية: تلان يقعان شرق مدينة الشطرة الحالية.

نتائج هذه المعركة، انهت للابد نفوذ «ربيعة» في اراضي المنتفق، حيث اصبحت حدود الامارتين في نفوذهما وعرفهم العشائري، حتى وقتنا الحاضر، مقترنة بما حققته الوقائع على الارض بعد تلك المعركة، لذلك لم يبالغ من قال:

سل الجزيرة عن صولات اجدادي

في مربع العبد لافي مربع الشادي

الهـــادمين على الاتـراك دولتهم

والقـــاطعين عليهم درب بغــداد

مصادر الحكاية:

١. يعقوب سركيس- مباحث -ج٣- ص: ٣١٦.

٢. مركز مخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

غنم السعيدي

أيام امارة الشيخ-عجيل بن محمد الثامر ١٨٢٦-١٨٣١- والمعروف عند الجميع بلقب «اخو سعدى» صادف ان سكن احد ابناء المنتفق من عشائر «بني سعيد» من مالكي الاغنام بالقرب من عشائر «بني لام» في اراضي العماره. وقد طال بقائه هناك لفترة قاربت الثلاث سنوات، ولان الحنين لديار الاهل والاصحاب يتقدم على ما عداه، فقد جاشت نفس-السعيدي- بالعودة الى اهله في المنتفق، فقام بتوديع اصدقائه ومعارفه من القاطنين معه، واتجه وهو يحدوا شعراً وغناءاً نحو دياره.

بعد يومين من مسيره، فاجأته غاره من فرسان- بني لام- سلبته كل ما يملك. ورغم تذكيره لهم بجواره ومعارفه منهم، الا ان ذلك لم ينفع، مما اضطره ان يعود لديار مضيفيه، وهو مشحون بالاستغراب والاستنكار ازاء ما حدث، قاصداً مقدم بني لام، الشيخ «عبد القادر» شاكياً له ما حصل وتشخيصه الجناة وما فعلوه. الا ان صوته ضاع بين ضحك الحضور وما فعله فرسان بني لام بـ «الغزوي» مما دفعه ان يخاطبهم بالقول «اذا اخو سعدى موجود والمنتفق عامرة، فلن تضيع لي شاة واحدة».

يمم وجهه مهموماً ومتكدراً شطر اهله في المنتفق. فوصلت اخباره قبله، مما دفع -اخو سعدى- ان يعلن النفير، لان ما حصل تطاول على الضيف واهانة لاهله. بعد وصوله ذهب لمقابلة الامير الذي استقبله عند صدر الديوان مرحباً بسلامة وصوله، مخاطباً اياه «كنا قلقين على سلامتك، ولذلك فنحن منذ ثلاثة أيام نتهيأ، اما وقد وصلت فسترى ما نفعل».

في اليوم الثالث لوصول المنتفقي لدياره، سار جيش المنتفق نحو ديار عشائر بني لام بعدة وعدد كبيرين، يتقدمهم الامير -اخو سعدى- مصممين على معاقبة من اساء لاحد ابناء المنتفق. عند وصول الجيش لاطراف اراضي بني لام، ارسل شيوخهم من «أل بو نصيري» رسلاً مستفسرين عن الامر الذي استوجب وصول جيش المنتفق لاراضيهم، فقيل لهم: ماذا فعلتهم بضيفكم المنتفقي؟ طلب الرسل منهم فرصة لمجيء شيوخهم لمقابلة- اخو سعدى- وحصلوا عليها.

بعد مجيء شيوخ «ال بونصيري» لمضيف- اخو سعدى- واستيضاحهم الامور، وجدوا ان الحق عليهم جراء ما حصل، عارضين موافقتهم على ارضاء المنتفق وأبنائها. حينها طلب -اخو سعدى- ان يعوضوا- السعيدي- بطريقة «الامربع» أي لاربع مرات، والا فسيكون الحكم على ارضائنا بطريق آخر، وكان التلميح واضحاً، الامر الذي سرع من قبول شيوخ بني لام طريق الصلح الذي اقترحه- اخو سعدى- وهذا ما كان. ويصف شاعرنا ذلك الموقف، بالقول:

هم اغضبوك فليتهم لم يفعلوا

فغدا الجميع الى رضاك يهرول

شـــاه باربعه وخصمك راغم

والموت مكتوب لمن لا يقبـل

فهل نستغرب، حين تندب احدى بنات المنتفق - اخو سعدى - بعد موته، بالقول:

عجيل الموت جيف تمـــوت

يفتال الحبال من السـبوس ابتوت

يا بيرغ زمانه الما يبلعه الحوت

كلي شلون شالك نعش لو تابوت

مصادر الحكاية:

١. عقيل عبد الحسين المالكي - ميسان وعشائرها قديماً وحديثاً - مطبعة الجاحظ - بغداد ١٩٩٢ - ص: ٥٧.
٢. مركز المخطوطات - رقم الملف (٣٨٦٧)
٣. مركز المخطوطات - رقم الملف (٦٦٧٠).

سدرة الاعاجيب

لم يقدر لسدرة نبق ان تحصل على شهرة واسعة، وان تكون سبباً في حصول معارك متعددة من اجلها، تأخذ الافاً من شجعان الناس، مثلما حصلت عليه «سدرة الاعاجيب». فهذه السدرة اتفق ان تكون حداً فاصلاً بين نفوذ وحدود امارة المنتفق ومشيخة الخزاعل، على طول وجودهما معاً، كأصحاب نفوذ في منطقة الفرات الادنى، لكن الطرفين لم يلتزما بما تعاهدا عليه، مما دفعهما للدخول في مواجهات عديدة.

وهذه السدرة الواقعة على نهر الفرات، فوق مدينة السماوة، تبادل ملكيتها والسيطرة عليها هذان الطرفان. فهي بالاصل كانت ضمن عائدية امارة المنتفق، لكن في عام ١٧٠٣م، سيطر عليها الشيخ- سلمان الخزعلي- شيخ الخزاعل بعد ان خاض معركة ضد المنتفق، وظلت تحت امرته حتى عام ١٧٩٠م، حين استعادها الامير-حمود الثامر- بعد معركة دموية مع منافسيه القدماء. وقد جادله شيخ الخزاعل في حينه «حمد الحمود» بعائديتها للخزاعل، لكنه اجابه

بمثله المشهور «الحك بالسيف والعاجز يريد اشهود» والتي اشرنا اليها في حكاية سابقة.

وفي امارة الشيخ «عجيل اخو سعدى» حدثت مواجهة جديدة مع الخزاعل الذين كان يقودهم الشيخ «ذرب بن مغامس ال سلمان» عام ١٨٢٩م غرب السماوة، استمرت عشرة أيام حول عائدية هذه المنطقة، انتهت بانتصار المنتفق وتثبيت حدودهم عند «سدرة الاعاجيب» بعد ان رمى اميرهم، رمحه باتجاه هذه السدرة ليلتصق بها، تأكيداً على كونها الحد الفاصل لحدود العميريتين، طالباً من معيته وسمها بوسم المنتفق المعروف «الشبيبية» [1] ابعاداً لاي اختلاف قادم حول حدودهما ونفوذهما في هذه المنطقة.

وقد ظلت هذه الحدود قائمة حتى عام ١٨٥٢م، حين تنازل عنها امير المنتفق في حينه «منصور الراشد» للدولة بعد افرازها خارج عائدية المنتفق، والتي سنتناولها في حكاية قادمة. وقد ولد هذا الاجراء استياءاً كبيراً في عموم المنتفق، مما سبب في صراعات ونزاعات داخلية في المنتفق، عبر عنها بشكل جميل، احد ابناء عشائر «بني حجيم» بالقول:

سـدرة اشلون سـدره ابـد ما تنـاش

وما يرضى اخو سعدى عله اليحصل لونه عاش

(١) الشبيبية: الوشم المعروف لعموم المنتفق في وسم جمالهم وهو عبارة عن دائرة كاملة يتقاطع في داخلها خطان على شكل علامة الضرب المعروفة في علم الحساب.

ابو برغش خـــذاهـــه بالزلم والبـــاش

وكال السيف الشاهد هو الحــاضر للكلفات

وقد زرت منطقة هذه السدرة مرتين عامي ١٩٩٤ و٢٠٠٦، ولم اجد اثراً لتلك السدرة، التي كانت علامة فاصلة وشاهد حقيقي على احداث كبيرة كانت تجري على قرب منها، ولربما اقتطعها احد او جرفتها ظواهر التعريه. ومنطقة «سدرة الاعاجيب» تقع بالقرب من ضريح احد اجداد آل السعدون وهو «ابراهيم بن كبيش» المعروف بـ «أحمر العينين» والواقع شمال مدينة السماوة بحدود (١٠) كم. كما انه يعيش في هذه المنطقة عشيرة معروفة بـ «الاعاجيب» تنضوي تحت راية الخزاعل، ولا اعرف هل انها اخذت الاسم من السدرة، ام ان السدرة اخذت جغرافية المنطقة اسماً لها. ويقول: شاعرنا عن هذه «السدرة»:

يا ســـــدرة ظل فيها الموت ينتظر

وفاصلاً بين من مروا ومن عبروا

قد يفعل السمع ما لا يفعل البصر

ويفعل السدر مالا يفعل الشــجر

مصادر الحكاية:

١. يعقوب سركيس- مباحث- ق٣- ص: ١٧٠.

٢. وزارة الاعلام- لغة العرب- م١- ص: ٢١٧.

٣. رفعت رؤوف البازركان- ص: ٥٩.

٤. حمود الساعدي- دراسات عن الخزاعل- ص: ٨١.

٥. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

نهاية اخو سعدى

عجيل-اخو سعدى- هو ابن محمد بن ثامر بن سعدون الكبير، سمي بأخي سعدى، لانه كان يتنخى عكس كل ابناء المنتفق، بنعار اخواله «ربيعة» جراء قضائه طفولته في ديارهم بعد ان طلق والده والدته لسبب اجهله. هذا الامير، تطلع لامارة المنتفق، منافساً عمه «حمود الثامر» امير المنتفق وقرمها الماجد عام ١٨٢٦م، بمساعدة والي العراق «داود باشا» وحصل عليها.

لكن بعد انهيار حكم المماليك الذي كان اخرهم-داود باشا- وسقوط بغداد تحت السيطرة المركزية للدولة عام ١٨٣١م، فقد ابى-اخو سعدى- ان يعطي القادة الجدد ولائه ودعمه، مما دفعهم ان يرسلوا له جيشاً، كان مقدمة القبائلي اولاد الامير-حمود الثامر- كل من (فيصل وماجد وعبد العزيز) يعاونهم ويدعم جهدهم شيخ مشايخ شمر «صفوك الجربا» الذي كانت تربطه صداقة عميقة مع-اخو سعدى- وقد سبق واعانه في حروبه ضد عمه-حمود الثامر- عام ١٨٢٦، لكنه الان متوجه نحوه بدوافع اخرى وبنيات ليس للصداقة فيها حصة.

وقد خاض الطرفان عام ١٨٣١م، معركة شاقة، استمرت ثلاثة ايام، كان النصر يلوح فيها لقوات المنتفق، التي كسر ظهرها، انتشار مرض «الهيضه» فيها، وكان احد المصابين به اميرهم- اخو سعدى- مما فوت عليهم نصراً كاد ان يتحقق. وازاء ذلك. باتت الغلبة لجيش الدولة بشكل مؤكد. في تلك اللحظات المريرة، التي يطرحه فيها المرض، يمر احد رؤوساء «الضفير» من «ال سويط» بأخي سعدى وهو في النزع الاخير من حياته، ويسأله: «عجيل تعرفني؟» فيتلقى رداً قاسياً... ويكرر القول عليه «هذه فرسي جاهزة، امتطيها لتنجو بنفسك...» فيرد عليه اخو سعدى «لا استطيع النهوض، ولو كنت اقدر لقمت وقتلتك...»

حسام شق هذي الارض غمدا
ليختزل الزمان شقيق سعدى
مسجى والمنايـــا منـه تخشى
ويرهب حاسـديه وان تردى

وتطول حشرجة الموت على-اخو سعدى- حتى يصل ابن عمه «عبد العزيز بن حمود الثامر» وخادمه المخلص «حسين المفتاح» فيسأله-عبد العزيز: «عجيل، اين حمود...؟» فيرد عليه «حبسته في بغداد...» فيخاطبه عبد العزيز «انه مات غريباً عن ارضه واهله...» فيتلقى رد الشجاعة والجرأة والقوة التي لم تفارقه حتى وهو في تلك اللحظات الاخيرة من عمره «رحمه الله، كان شيخاً عظيماً، وكان عمي، لكني كسرت خشمه وخشمك معاه...» فيضربه عبد العزيز بالرمح،

ويطلب من-المفتاح- ان يذبحه انتقاماً لوالده،... وهذا ما حصل، وفقدت المنتفق بيرقاً عالياً، ليس من السهل عليها ان تعوضه.

وصدق في عجيل قول الشاعر عبد الله بن ربيعة:

يا ذيب يللي ظـاوي تسجم سجوم
ذب العـوا لذيابـة بالدفينـة

كلـه عجيـل احيى ربيعك بلملوم
والذيب الاخر بالنصيـه قطينـه

ملجم عصـا الأومـا وفكاك ملجوم
عجيل كساب الثنـا والسـمينة

من الشـام للشنبل لسـنجار للروم
ومنين مـا تومي رعايـاه أمينة

حامي جوانب ساحته من عن الروم
حاوي خصال الحمد دنيه ودينه

مصادر الحكاية:

١. د.عبد العزيز سليمان نوار-داود باشا - ص: ١٨٣ .
٢. محمد رشيد السعدي- ص: ١٠٩ .
٣. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

بيت السخا

في عام ١٨٤٢م، تولى الامير-بندر بن محمد الثامر- [1]امارة المنتفق خلفاً لاخيه-عيسى بن محمد- الذي توفى محترقاً في داره. وقد رافق وجوده على رأس قيادة الامارة، تولي «محمد نجيب باشا» ولاية العراق، وهو من الولاة القساة الذين اشتهروا بالزهو والغطرسة والكبرياء، مستهدفاً التخلص من جميع الزعامات المحلية التي تواجه الدولة، وفي المقدمة من ذلك امارة المنتفق.

وقد اشتهر عن الامير-بندر- كرهه الشديد للسلطة العثمانية، متحيناً الفرصة للافلات من الشكل الرسمي الذي يربطه مع والي العراق، خاصة وان اجراءات الاخير، كانت شديدة في كيفية الحصول على الضرائب المستحقة للدولة، وتحديداً بعد استحداثه اشكالاً جديدة لهذه الضرائب، كان اشهرها ضريبة الرأس وضريبة الحصان، مما دفع المنتفق الى طريق التمرد الدائم على سلطة الدولة واجراءاتها القسرية، هذا غير مساهماتها في جملة من التمردات التي استشرت في اعالي

(١) بندر بن محمد الثامر: أمير المنتفق للمدة ١٨٤٢-١٨٤٧ ومن أكرم رجالها، وكان يلقب ببندر الخير، ويشبه بهانع السخاء.

الفرات وفي حوض دجلة، مما جعل الاثنان (الدولة والمنتفق) في حالة صدام دائم، حتى وان اتخذ اشكالاً هادئة في بعض الاحيان.

وقد سعى الامير-بندر- الى احتلال الكويت عام ١٨٤٤م بعد ان وجدها احد بؤر التوتر في داخلية المنتفق، حين ضرب الحصار حولها مستهدفاً اجتياحها، لكنه الغى مشروعه بعد وساطات متعددة، اتخذت اشكالاً عديدة، ليس من المناسب الوقوف عندها والاسهاب بتفاصيلها.

وقد وجدت الدولة استمرار وجود هذا الامير، يتقاطع مع سياستها في الحكم المركزي الذي كانت تسعى السلطة العثمانية لتحقيقه في اقاليمها المتعددة، لذلك سعت الى استدعائه الى بغداد طيلة عامي ١٨٤٥و ١٨٤٦م للتشاور، لكنه امتنع عن تلبية تلك الدعوات تهرباً مما يخطط لاستهدافه، مما جعل الاثنان في حالة تأهب واستعداد للآتي من الاحداث.

ومع كل شجاعة وبسالة هذا الامير ورفضه لاي تسلط اجنبي ومشاركاته الكثيرة في العديد من المواجهات ضد الدولة وغيرها، لكنه لم يشتهر الا بالكرم والجود، بل ان البعض كان يقارنه بكرم (مانع السخاء) وما زاد من هذه الشهرة، ما قاله فيه الشاعر «عبد الله بن ربيعة»:

بيت السلف بيت الخلف والمظاهير

بيت عمــار المنتفق من عمـــاره

بيت الرعايـــا والهفايـــا المقاصير

بيت ســـلاطين العرب من حراره

بيت بناشـــيهم علامـــة عن الغير

ما لجلجت عينيه بخـدار جــاره

بيت لهـــم ورد الريـــاسة بتصدير

حلوين علقم للذي بـــه مــراره

بيت الندى بيت الغنى للمعـــاسير

بيت الريـــاسة والحكم والوزاره

بيت تقصـــده الهلاكـــا من النير

اللـــه يدمر من سعى في دمـــاره

وقد طارت هذه القصيدة في عموم المنطقة وفي بوادي نجد والخليج، بحيث باتت من اشهر ما قيل في حينه، وما زال لليوم الكثير من ابناء البوادي يحفظونها عن ظهر غيب. وقد ثنى «ابن ربيعة» قصيدته تلك بأخرى يقول فيها:

«للملتجي ظل ظليل ونعيمـــا

وللمعتدي نيران حربه مضـــاريم

بندر ليـــالز الحقب للبريمـــا

حامي جوانب دار منشاعن الضيم

بيت الندى وبضاعتي من قديما

بيت الرجا بيت الغنى للمعـــاديم

بيت لعلـه للعرب مســـــتقيما

امين قولوهـــا معي بالخـــواتيم

ومن حكايات كرم بندر مع شاعره عبد الله بن ربيعه ما رواه فهد المبارك في أحد كتبه أنه: منحه ذات يوم خمسة وعشرين ناقة محملة بالرز والحنطة والتمر والسمن والقهوة. فشلت الأعطية لسان ابن ربيعة عن الشكر، وحسب الأمير بندر أن شاعره استقل الأعطية فأمر بمظاعفتها، وعندئذن انفجرت عينا ابن ربيعة بالدموع، وقال: «لست باكياً يا بندر من قهر الرجال، ولا شاكياً من حاجة تعوزني من حوائج الدنيا ما دمت حياً، وإنما أبكيك حياً، وأبكي خوفاً من أن يكون أجلك قبل أجلي، فتكون علي الطامة الكبرى».

وحين توفي الأمير بندر رثاه الشاعر ابن ربيعة بقصيدة طويلة نستقطع منها التالي:

جودية شلت عن الزور وحـوار

أكفــوا بها كدغ عن حوارها زور

ان يمموها سهيل للجدي تنـدار

فاضـت عن البجسة ترزم لجافور

عيني تنـــام وبندر باظلم الغـــار

أســتغفر الله ما ترى واضح النور

عليـــه دمعي جانح الليل مدرار

والكلب جنه من لظى النار مسعور

مرحوم يا نار على ضلع سنجار

يفرح به الســـاري من الشام للطور

كما ساهم الشعر الشعبي في ابراز صفات الرجل الايجابية، خاصة في كرمه وسخائه الكبير لجميع ابناء «الديرة» وباريحيه عالية، فقال احد ممن رعاهم الامير-بندر- بيتاً من البوذية، بعد وفاته يقول فيه:

مني راح المهتــلف واليســـور

المعبرها كناطرهـا واليســـور

انـــا عكازتي بنــدر واليسور

خـــلاني بهيمـة وكطع بيـــه

وقال شاعرنا في هذا المأثور:

للجود بيت وللسعدون ابيات

وللمآثـــر في الافـــاق ايـات

لكل ضـفة جود نحن شاطئها

فالجود عمر واهل البخل اموات

المصادر:

١. عثمان بن سند- ص: ٢٢٨.
٢. عباس العزاوي- تاريخ- ج٧- ص: ٦٣.
٣. لونكريك- ص: ٣٤٠.
٤. د.عبد العزيز نوار- تاريخ... ص: ١٦٧.
٥. حسين خلف الشيخ خزعل- تاريخ الكويت- ج١- ص: ١١٩.
٦. لوريمر- ص: ١٩٩٩.
٧. طلال عثمان المزعل- ص: ٢٩٤-٢٩٥.
٨. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠)
٩. مركز المخطوطات- رقم الملف (١٧٦٥٢).

مقاولة السماوة

بعد ان توجهت السلطة العثمانية لتركيز مفهوم السيطرة المركزية على ما تبقى لها من اقاليم، جراء تراجعاتها الكبيرة على المسرح الاوربي، فقد اخذت بمبدأ اناطة ادارة الولايات لرجال قريبين من السلطان او الباب العالي، واغلبهم من رجال الجيش لغرض الاشراف المباشر والدقيق على احوال هذه الولايات.

لذلك شهد العراق بعد عام ١٨٤٠م وصول ولاة ذوي طبيعة قاسية ودموية، هادفين الى التمسك بهذه الولاية واصلاح امورها، بما يجعلها تابعاً اساسياً لمركز السلطة. وقد ترافق مع هذا التوجه، سياسة اخرى، استهدفت تقسيم وتشطير كل المكونات والكيانات التي مازالت تقاوم الدولة العثمانية، لغرض الاختراق والسيطرة.

وفي المنتفق، وجد الوالي «رشيد باشا الكوزلكي» الذي تولى ولاية العراق عام ١٨٥٢م، عوناً شديداً بشخص «منصور بن راشد الثامر» الذي اغراه الوالي بامارة المنتفق وبحمايته واستعداده لامداده بالعون العسكري، اذا وافق على افراز حاضرة «السماوة» وما يتبعها

وعشائرها عن سيطرة المنتفق. وقد وافق -منصور- على ذلك. بعد اتفاق الاثنان على هذه «المقاولة»، فقد دعم الوالي مرشحه بقوات عسكرية كبيرة، تصحبها المدافع، مع اسنادها بقوات عشائرية لغرض ازاحة امير المنتفق «فارس بن عجيل الثامر» عن مسؤوليته، الامر الذي استوجب الدخول في مصادمة عسكرية بين الطرفين. وقد خدمت تداعيات هذه «المقاولة» الدولة، حين جرى الاقتتال الداخلي بين ابناء «الديرة» وهو ما يقوي ذراعها بوجه كل منافسيها، هذا غير تحجيم دور المنتفق على الساحة من خلال عملية الاستقطاع المبرمج لمناطق نفوذها.

ارضاء الدولة بالطريقة التي تمت، مع شق وحدة المنتفق بالاصطراع الداخلي، والتنازل عن بعض مناطقها المهمة، واجه مقاومة ورفضاً من قبل الجميع، لان ذلك امر غير مألوف. وكان اشد ما ألم ابناء المنتفق، تنازل -منصور- عن حاضرة السماوة لصالح الدولة، مكافئة على تأميره، دون ان ننسى ان هذه الحاضرة قدمت من اجلها المنتفق الكثير من الضحايا والموارد. وقد شكلت النتائج النهائية لهذه «المقاولة» ألماً عند الجميع. لذلك، فأن الشاعر النبطي «محمد بن عبد الله العوني» كأنه يعبر عن لسان ورأي الجميع مدحضاً التبرير المسوق لهذا التنازل، حين يقول:

تكولــون دنيانــا علينا تغيرت

تغيرتوا انتم وما عرفتوا غيورها

الايام هي الايام ما زاد عدهـــا

ســـنينها هذي وهذي اشهورها

لذلك كانت الخسارة كبيرة في ما حصل، مما اوضح عن سياسة مصلحية وانتهازية من طرفي المعادلة، فعلت فعلها في تجذير التهديم الذي تواجهه المنتفق من السلطات الحكومية وبعض ابناءها، ونبهت الولاة العثمانيين، الى ضرورة استمرار سياسة «القضم» المتدرج مع المنتفق بموازاة الدعم والتأييد لبعض مشايخهم ممن يتوقون للسلطة والابهة والنفوذ.

وقد التقط شاعرنا هذه الحادثة، فذهب بعيداً في تصوير نتائج هذه «المقاولة» فقال:

رأت الســـماوه ان تظـــل ابيــه

فكـيف تقطع في الردى اوصال

هي ارث اهلي وانبثاق رجولـة

ولثـــورة العشـــرين فيك مقـال

المصادر:

١. عثمان بن سند- ص: ٢٢٨.

٢. د.عبد العزيز نوار- تاريخ...-ص: ١٧٤.

٣. عباس العزاوي- تاريخ...-ج٧- ص: ٨٥، ١٠٢.
٤. يعقوب سركيس- مباحث- ق٣- ص: ١٨٠.
٥. احمد نوري الانصاري- النصرة في اخبار البصره- ص: ٦٨.
٦. حمود الساعدي- دراسات...- ص: ٩٠.
٧. ديوان الشاعر «محمد عبد الله العوني»- مصور، دون ذكر سنة ومكان الطبع- ص: ٣٦.

الله بلانا بلوتيـن....

رغم كل الخدمات الكبيرة التي قدمها- منصور باشا الراشد بن ثامر السعدون - لولاة الدولة في شكل تبعيته وانصياعه لاوامرها، حتى ولو ادى الامر لانقسام المنتفق، رغم ذلك، فأنه لم يحظ بتعامل تميزي من قبلها، بل انها اجبرته ان يفي بالتزاماته التعاقدية معها، دون قبول او تفهم أي تبرير، والا فأنها ستجد البديل المناسب. وهذا ما دفعه عام ١٨٥٤م، ان يقدم لوالي العراق- الكوزلكي- مبالغ جسيمة من الضرائب، كخراج، بعد ان جمعها بشق الانفس.

ولان الشيخ-منصور- متشبث بالموقع، وهذا ما وعته السلطات العثمانية، وتعزيزاً لنهجها في تشتيت الجهد المركزي لاهل المنتفق، فقد اتخذت خطوة حاسمة، حين دفعت جيشها في ١٤شعبان ١٢٧٢هـ الموافق ١٨٥٥م، لدخول مدينة سوق الشيوخ واتخاذها ثكنة عسكرية له، مع تعيين احد قواد الجيش-حسين باشا- قائممقام للمدينة!!! وهذه هي المرة الاولى التي يتخذ فيها الجيش العثماني مقرات ثابتة في اراضي المنتفق، ممارساً بذلك سياسته المركزية

الواضحة، ومدللاً على ضعف الامارة وتردي اوضاعها. وخير من عبر عن تلك الصورة واحداثها، ما قالته المنتفق وبالنص «الله بلانا بلوتين... ما بين افندم ومحفوظ».

واستمراراً لسياستها التشطيرية نحو المنتفق، فأن الدولة عزلت صديقها الشيخ-منصور- وعينت «صالح بن عيسى بن محمد بن ثامر السعدون» بديلاً عنه. ولان الاخير، لم يكن دميه يتلاعب بها الولاة، مع ما وعاه عن حجم الاخطار التي يفعلها الوجود العثماني في اراضي المنتفق، فقد نهج سياسة متباعدة من اجراءات السلطة وامتنع عن دفع الضرائب، وبنى قلعة حصينة سميت «قلعة صالح» وهي حالياً احد نواحي محافظة ميسان، استباقاً للقادم من الاحداث، ولان ذلك يتقاطع والسياسة العليا للدولة، فانها اعادت «مقاولها» السابق الشيخ-منصور- لرئاسة المنتفق وعزلت الشيخ-صالح- بعد ان بان رفضه لسياساتها واستعداده للدخول ضدها في مواجهات عسكرية.

وقد حدثت الكثير من المواجهات بين الشيخين الجديد والقديم ساهمت فيها الدولة العثمانية بجهد واضح لصالح المرشح الذي يخدم سياساتها، مما رجح معسكر الشيخ-منصور- في تسلم مسؤولية رئاسة المنتفق في بداية عام ١٨٥٦م. بل انها ولاضفاء نوع من الابهة والسلطة الشرفية، قامت بالغاء مشيخة المنتفق، واستبدلتها بمنصب حكومي، من خلال تعيين الشيخ-منصور- قائممقام على عموم المنتفق، ومنحه رتبة «مدير الاسطبل العامر» وهي رتبة عسكرية، كما منح لقب «بك».

ومنذ هذا الوقت، بات لقب شيخ مشايخ المنتفق، يقترن بلقب سلطاني، اما «بك» او «باشا». ومع ان الناس لم تأخذ هذا الموضوع بجدية لعفويتها، لكنه مؤشر على نجاح الدواوين الرسمية العثمانية في النفاذ في دواوين البدو والاعراب في المنتفق، مما يعني نجاح سياسة التدخل والسيطرة المركزية التي مارستها الدولة مع اوضاع المنتفق. هذا اللقب الرسمي مع كل ملحقاته، قوبل برفض طاغ من اهل المنتفق، وكان تياراً واسعاً تصدى لقيادته الشيخ «ناصر الاشقر بن راشد بن ثامر السعدون »[1]. كما ان اهل المنتفق استغربوا ان يكون «شيخ مشايخهم» موظفاً حكومياً عند الدولة التي لم يتآلفوا معها طيلة وجود الاثنين معاً، لذلك قال شاعرهم وهو يخاطب ناصر الاشقر محرضاً وساخراً مما حصل، بالقول:

يا بـــو علي الموردة　　　اميرنـــا صـــاير مديـــر

ذبـــح العساكر فننـــا　　　وشحال لوجانا المشير

مصادر الحكاية:

(١) ناصر الاشقر: من أشهر أمراء المنتفق وأكثرهم صيتاً تولى الامارة، وبجهده أصبحت البصرة ولاية مستقلة عن سلطة والي بغداد. في عهده وصل نفوذ المنتفق على طول ساحل الخليج العربي وصولا لدولة قطر الحالية، وكان متصرف الاحساء يعين من قبله. تخوفت منه الدولة العثمانية وألزمته بالمجيء لاسطنبول حيث عزلته عن ولاية البصرة وعينته عضوا في مجلس الدولة الأعلى بدرجة وزير. توفي في اسطنبول عام ١٨٨٥ ودفن الى جوار الصحابي أبي أيوب الأنصاري. وقد سميت مدينة الناصرية باسمه أيام الوالي مدحت باشا.

١. د.عبد العزيز نوار-تاريخ...-ص: ٩٥، ١٨٠، ١٧٧.
٢. يعقوب سركيس-مباحث- ق٢-ص: ٤٠٣
٣. عباس العزاوي-تاريخ... ج٧-ص: ١٠٥، ١٢٩، ١٣٠.
٤. لونكريك- ص: ٣٤١
٥. سليمان فائق-تاريخ المنتفق- ص: ٣٢.
٦. د.علي الوردي- لمحات...ج٢- ص:٢٢٧.
٧. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

معركة المغيسل

في عام ١٨٥٢، والمنتفق تعيش اوضاعاً غير مستقرة، خصوصاً وان تدخل الدولة العثمانية في شؤونها الداخلية، كان شديداً وقاسياً واحياناً مدمراً، بعد ان تمكنت الدولة العثمانية، سواءاً بالقوة العسكرية ام بقدرتها على احداث الانشقاقات الداخلية في القوى المنافسة، من اسقاط جميع الامارات العراقية، بحيث لم يتبق متطاولاً بالضد منها، غير المنتفق التي ابت على نفسها، ان تكون صيداً سهلاً. فضلاً عن ذلك، ان اللحمة الداخلية للمنتفق، لم تكن بصلابة الايام الخوالي، التي تمكنت فيها من ان تهزم الدولة وجيوشها وتقتل قادتها من حملة النياشين والاوسمة وخريجي ارقى المعاهد العسكرية في حينه، وتحبط اغلب مخططاتها.

في تلك السنة، واثناء امارة «منصور الراشد بن ثامر السعدون» الذي كان متوافقاً بالكامل مع العثمانيين وما يرغبون به، بعد ان هندس «مقاولة» تنصيبه اميراً على المنتفق بالتنازل عن حاضرة السماوة وافرازها خارج سيطرة ونفوذ المنتفق، الامر الذي ولد استياءاً كبيراً

على هذه السياسة، سير والي بغداد، احد الطوابير العسكرية لضرب المنتفق وتشتيت أي مكمن قوة يمكن ان يكون مناهضاً لهم، وعلى عادة اهل «الديره» فقد كانت مضاربهم اقرب الى الصحراء منها للمدن، وكان احد مضاربهم مخيماً في منطقة «المغيسل» القريبة من مدينة «أور» الاثرية. وحين اخبر مقدم القوم «مشاري العبد الله بن ثامر السعدون »[1] بمقدم القوات المتجهة نحوهم، وضرورة ملاقاتها بعيداً عن مضاربهم، امتنع عن المشاركة في القتال. وقد استغرب الجميع من تصرفه، وهو المشهور بالشجاعة والاقدام، وحين طلب منه توضيح السبب في ذلك، اشترط ان تزغرد له «كطمه» وتكبر حميته بالنخوة «فريه» وهن من نساء المنتفق المقدمات ومن ذوات الرأي.

حين استجيب لطلبة ورغبته، امتطى جواده، وهو يشدو شعراً على طريقة (الميمر):

لو هلهلت كطمه ونختني فريه

كل شـــدة لابد لها من فريـــه

انجان عسكركم كطع هالفريه

راسي سبيل وبايعه بفلس احمر

وصال-مشاري- على القوات التركية، مستهدفاً قائد الطابور

(١) مشاري العبد الله: أحد وجوه المنتفق ومن أبرز شجعانها. كان الساعد الأيمن لناصر الأشقر طوال سعيه للتقدم، ثم اختلف معه لاحقا وتباعدت الرؤى ومسالك الطريق.

العسكري «تركي يلمز» تقديراً منه، ان قتله سيفتت هذا الطابور، وقد تمكن منه الامر الذي اتاح لمقاتليه ان يفعلوا بجند العثمانيين ما يقدروا عليه، مما حقق للمنتفق انتصاراً واضحاً[1].

ما تحقق من نصر، رغم كل الظروف السيئة المحيطة بأوضاع المنتفق، دفعت احد أبنائه ان يقول بيت (ابوذيه):

عكب باجر يصير القلت والقال

وعله صفاحي يثور الهيج والقال

مشاري الما حسب اكثار والقال

وذبح تركي لعد راشـــد ضحيــة

هذا النصر وغيره لم يوظف بجهد مشترك واحد، مما جعله نصراً محدود التأثير والفاعلية، لان قدرة الدولة على التعويض، هي في حقيقة الامر اكبر من قدرة الافراد او القبائل، وهذا في الاخير، ما مكن العثمانيين من تحقيق اهدافهم.

نزف السائرين الى الســـواتر

بأصـــوات الهلاهل والمآثــر

(١) اسمه الحقيقي (تركجه يلمز) وكان احد قواد محمد علي باشا في الحجاز، الا انه تمرد عليه بسبب تأخر صرف المرتبات، فاستغلها الباب العالي وعين- تركجه- حاكماً على الحجاز، الا ان القيادة المصرية اسرعت الى توجيه ضربة حاسمة له، اضطرته الى الفرار الى ميناء الحديدة في اليمن عام ١٨٣٢م، ثم ركب الباخرة البريطانية (Tigris) التي حملته الى ميناء-بومباي- في الهند، ومنها توجه نحو العراق. وبعد وصوله، اكرمته الدولة وعينته كأحد القواد الرئيسين على المسرح العراقي حتى مقتله عام ١٨٥٢م في موقعة "المغيسل".

فحسبك يا شديد البأس فخراً

بأنك فــارس والارض عـاقر

مصادر الحكاية:

١. محمد رشيد السعدي- ص: ١٨٦ .
٢. عبد الرحمن الرافعي-عصر محمد علي-القاهرة ١٩٤٧- ص:٢٧٨
٣. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

الرضخه

في الامارة الثانية لفهد باشا العلي بن ثامر السعدون ١٨٧٧-١٨٧٩م [١]، وفي ظل اندفاع الدولة العثمانية لتصفية كل بقايا امارة المنتفق التي ظلت تصارع ذلك التيار، احياناً بالقوة واخرى بالعناد، وثالثة بالقيم، فقد بات مشهد استمرار ارادة الصراع يتعلق بالقيم اكثر منه من أي عامل آخر.

في هذه الامارة، ارسل امير المنتفق بعض رجاله الى زعيم من زعماء المنتفق، يطالبونه بتسليم ما تراكم بذمته من الضرائب الموجب تسليمها للدولة، والتي اتخذتها السلطة مبرراً للتدخل ومن ثم التنكيل، لغرض تصفية ما تبقى للمنتفق من نفوذ وهيبة. حين ارسل الامير المنتفقي رجاله لهذا السبب، رد عليهم ذلك الزعيم، بأنه «مصبح بها

(١) فهد باشا العلي: من أشجع فرسان المنتفق ورجالها المقدمين، ترأس الامارة مرتين، الأولى بين أعوام ١٨٦٣-١٨٦٦، والثانية بين أعوام ١٨٧٧-١٨٧٩، له من الأولاد أربعة عشر ولداً يطلق عليهم لقب البيكات، ومنهم عبد المحسن السعدون رئيس وزراء العراق الأسبق في العهد الملكي، توفي عام ١٨٩٦ ودفن في مرقد التابعي سعيد بن جبير قرب مدينة الحي في محافظة واسط.

على الامير...»

عند الصباح، حضر المعني ومعه حمل بعير، فسأله الشيخ-فهد باشا-: هل حملت ما بذمتك للروم لكي تجنبنا ما هو اسوء؟ فاجاب الرجل بالايجاب، وانه على ظهر البعير: امر الشيخ-فهد- احد ازلامه ان يستلمه... ولما جاء المتسلم، لم يجد الا رجلاً وخواناً في عين من الحمل، وفي الاخرى اباريق القهوة...!!! فقال له الشيخ فهد: ما هذا؟

فرد عليه الرجل: اني كلما جمعت لك المال، نهبته هذه الخوان وهذه الاباريق، فخذ هذين الناهبين واحبسهما عندك، حتى اعذر من الضيوف واجمع للدولة المال... فضحك-فهد باشا- طويلاً، وقال له: انا لا نقلب مواعين الكرام ولا نوحش بيوت الاجاويد،... خذ هذه الرضخة[1] واعطها لهذين الكريمين...

يامن لحكمك ترضخ الباشات

لك في قواميس الكرام لغات

ان مر طيفك في خيـــام امـارة

سجدت له الاحياء والاموات

(١)(*) الرضخه: كيس من النقود.

مصادر الحكاية:

١. علي الشرقي - الالواح التاريخية - مصدر سابق - ص: ١٧٦ .



فهد باشا بن علي بن ثامر بن سعدون الكبير ١٨٦٦ م

أثارنا

يوم بدأت مظاهر الضعف والانكفاء تتكرس في مسيرة الدولة العثمانية، من خلال تحلل السلطات في اداء واجبها واستشراء الفساد المالي والاداري في عموم قطاعات الدولة الرسمية، بدأ اندفاع القوى الوافدة، نحو الاقليم العربي تحديداً لغرض السيطرة والاستحواذ، يتخذ اشكالاً متعددة، بل ان بعضه كان يعمل تحت سمع وبصر السلطات المسؤولة وبموافقتها، دون رادع او محاسبة، نتيجة لشراء ذمم المسؤولين وعدم شعورهم بالمسؤولية.

وقد كانت هذه الاندفاعات، تأخذ مناحي متعددة، بعضه يهتم بالزراعة والآخر بالصناعة وثالث تحت حجج الرحلات ورابع البحث عن الاثار... وهكذا. وقد كانت بريطانيا تحديداً، قد انهت دراسة لافضل سبل النقل النهري في وادي الرافدين عام ١٨٣٣م، حددت فيها، ان اقرب النقاط الموصلة للتجارة من الخليج العربي تمر عبر نهر الفرات وصولاً لحلب. لكن المنتفق اعلمت السلطات العثمانية ومندوبي بريطانيا، ان مرور أي مركب في نهر الفرات

سيعرضه للحرق. وهذا التحذير، الغى الجدوى الاقتصادية التي كانت بريطانيا تأملها من هذا المشروع. وكان تقدير المنتفق في حينها-وهو صحيح-ان هذا المرور سيتبعه وجوداً عسكرياً من قبل الانكليز في المنتفق، وهو ما يتعارض ومنهجهم في محاربة الاجنبي ومناطق نفوذه.

لكن الانكليز كعادتهم، لا ينفكون في الالتفاف بشتى الطرق من اجل تحقيق موطيء قدم لهم في المنطقة، خاصة وان الرجل المريض بدأت ملامح انهياره وسقوطه، تتضح بشكل بارز في ظل ازدياد النفوذ الانكليزي في عموم مرافق الدولة، بما فيها البلاط العثماني. في تلك الفترة تحديداً شاعت في الاجواء الاوربية موجة الرحلات باتجاه الشرق، بحثاً عن الاثار والمعادن الثمينة، والتي تكفلت بتمويلها الكثير من المؤسسات الرسمية والخاصة، مع ما يرافق ذلك من نزعة المغامرة والشهرة التي يحظى بها الرحالة في مجتمعاتهم. ولذلك شهدت مناطق العراق وسوريا ونجد والخليج العربي، اسماء كثير من الرحالة الغربيين الذين جابوا بواديها وسهولها، امثال:

«هوغارت، لجمن، لوساجب، ان بلنت، مس بيل، تافرينيه، جاكسون، ريج، نيبور، ...الخ» منقبين وباحثين عن كل ما يخدم سياسات بلدانهم وان كان الايضاح المعلن عن هذه الرحلات، قد جاء تحت عناوين، صيانة الاثار والبحث في مكونات السلالة البشرية او البحث عن بداية التكون الحضاري، وغيرها الكثير من العناوين.

في تلك الموجة المندفعة، وتحديداً عام ١٨٦٥م، فوجيء اهل المنتفق، بجمع من الرحالة الانكليز يخيمون عند زقورة «أور» القريبة من مدينة الناصرية الحالية، ومعهم معداتهم ونواظيرهم وكل ما يحتاجه معسكر الرحالة من ادوات بحجة البحث عن الآثار القديمة وتحديد اماكن تلقي النبي ابراهيم عليه السلام الوحي الالهي، مثلما اخبر مترجم الرحلة السوري، سائليه من اهل المنتفق عن سبب وجودهم. وحين اخبر امير المنتفق «فهد باشا العلي» بوجود اولئك الغرباء، طلب منهم الرحيل فوراً، لكنهم ابرزوا له الاذن والموافقة من سلطات الولاية في بغداد، للسماح لهم بالتنقيب. لكنه عاد، مكرراً امره بضرورة الرحيل ماهلاً اياهم وقتاً حتى صباح اليوم الثاني، للملمة اغراضهم والرحيل بعيداً عن المنتفق، منذراً اياهم بعواقب قد لا يمكنه السيطرة عليها، مهملاً الملاحظات التي ابداها البعض، بامكانية الاستفادة من وجودهم، الذي لا يزيد عن شغفهم بالبحث عن حجارة قديمة، ليست ذا نفع. لكن اصراره، لم يتزحزح بضرورة الرحيل في صباح اليوم الثاني، وهو ما تحقق، مذكراً الآخرين، ممن رأوا رأياً مغايراً لرأيه، ان هذه الحجارة القديمة، شواهد تنطق عن عمق تاريخنا وتاريخ من سبقونا من سكنة هذه الارض، الامر الذي يستوجب منا ان نكون حراساً عليها لا مفرطين في قيمتها.

لكن هذه الوقفة التي حفظت آثار العراق في تلك الفترة من اللصوص والنهابين، لم يتسن لها الاستمرار يوم بات العراق ساحة مفتوحة لكل ناهب وسارق وقاطع طريق. ويقول شاعرنا في هذه الواقعة:

هذي القراطيس والآثار والهمم

جميعها فيك فأسـلم ايها العلمُ

يا سـطوة المجد في آثار هيبته

عودي علينا فقد اضنى بنا الالم

مصادر الحكاية:

١. مركز المخطوطات- رقم الملف (٣٨٦٧) اوضاع العشائر العراقية القاطنة على نهر دجلة.
٢. مركز المخطوطات-رقم الملف (٦٦٧٠)
٣. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٦٧)- يوميات زمنبودا.

المديفع..

هكذا كان مقاتلوا المنتفق، يطلقون هذا اللقب على «عبد الهادي النصار العلي بن ثامر السعدون» جراء ما يتصف به من شجاعة وجسارة في منازلة اعداءه او منافسيه. و-عبد الهادي- قد يكون اكثر من ينطبق عليه هذا التوصيف، لتشابه بنيانه الجسماني مع شكل المدافع التي كانت مستعملة آنذاك فهو من حيث الطول، لا يتعدى (١٧٠)سم، ومن حيث البنيان الجمساني، فهو كتلة متراصة من العضلات التي تنبأ عن قوة جمسانية هائلة، تمكنه من تحمل المشاق والالم.

فعبد الهادي، لم يدخل في معركة، الا وكان له فيها، ذكرى منها، قد تكون طعنة رمح او ضربة سيف، فبدى جسده، اشبه بخارطة يلاحظ مشاهدها، عمق المصاعب والمعارك والاصابات، والاهوال التي تحملها هذا الجسد الذي اعانه دوماً في ان لا يخذله.

وبروز-عبد الهادي- ترافق وانحسار افول نجم المنتفق، على الساحة السياسية، بحيث كان توظيف مهاراته، منصباً في اكثر الاوقات على الشأن الداخلي ومعاركها، مما افقد هذا النجم مساحة كبيرة، كان

من الممكن توظيف قدراتها في فضاءات اوسع وبما يخدم المنتفق. الا ان طبيعة الجزر التاريخي الذي عاشته المنتفق، لم تستطع امكانات عبد الهادي او غيره، من وقفها، غير انهم نجحوا في تعطيل انحدارها المدوي.

والمديفع، كان فارس المعارك الاول في كل مشاركاته، ولذلك اطلقت عليه المنتفق هذا الوصف، بوصفه مدفع المنتفق الاول على الاعداء، وصولتها الامامية والجسورة. وقد رافق-المديفع- طيلة حياته، عمه امير المنتفق-فهد باشا العلي- وكان ساعده الايمن في كل معاركه ومشاريعه. ومن ابرز مساهماته مع عمه، يوم ناصروا-الاشقر- ضد خطط شقيقه-منصور- حين وافق على أفراز السماوة خارج «ديرة» المنتفق، حيث تمكنوا مع بقية الفرسان من هزيمة خصومهم الذين ناصرهم الجيش العثماني. واشتهرت في هذه المعركة، الضربة التي صوبها-فهد باشا العلي- لقمندار الجيش العثماني والتي قضت عليه، ثم اكمل-المديفع- ما تبقى لينهي حياته ويطلق حصانه نحو اعداءه، اعلاناً بما تحقق.

كما كانت مساهمته في معركة «الطينة» وهي احدى المعارك الداخلية في الديره من ابرز افعاله، خاصة حين خاض الغدير الذي يفصل بين الطرفين، ليقود فرسانه في صولة جسورة بددت خطوط منافسيه. كما كانت مساهمته في معركة «الريس» عام ١٨٨١، كبيرة ومؤثرة، حيث انيطت به و (سليمان المنصور بن راشد بن ثامر السعدون) قيادة المعركة بعد انهزام المنتفق في تلك المعركة،

واستطاع طيلة ثلاثة ايام متواصلة، ومن دون اية استراحة، ان يحمي ما تبقى من القوات وعوائلهم التي كانت معهم في المعركة، فقد قاتل بكل الاسلحة الحديثة والقديمة، مما احبط محاولات «عزت باشا» قائد الجيش العثماني في تلك المعركة من اسر قادة الثورة او قتلهم. وكان قتاله وفرسانه متواصلاً من ساحة المعركة حتى تأمين انسحاب الجميع نحو بادية الشامية، والذي استمر ثلاثة أيام بلياليها.

والمشهور عن-المديفع- انه مولع بالمعارك والنشاطات العسكرية، بل انه بدونها تجده كتلة خاملة لا تعكس مخزون ما يحمله من طاقة لكن حين يبرق صليل السيوف او يدوي صوت المدافع. في تلك اللحظات، تجد-المديفع- الذي كان يعصب رأسه بقطعة من القماش ذي اللون الاحمر، دلالة لمن يريده او يحب منازلته ممن لا يعرفونه. وكان على قصر قامته وثقل بنيانه الجسماني، من اشهر فرسان المنتفق في ركوب الخيل، بل كان بأمكانه امتطاء حصانه حتى وان كان يعدو.

وفي المديفع قال الشاعر (مهوساً) أثناء تشييعه:

معلم بالشـدايد من يصير طـراد

ومثـــلك خل نخـــلف من نريـــد أولاد

ياصقر الجزيرة ويا صبر صيـــاد

عداك الطالع رايح ظل العايش بس دفان

كان-المديفع-احد طاقات المنتفق التي ظهرت في وقت انحسارها، مما بدد كل امكاناته وجهده في مكان وزمان غير مناسبين، كان من الممكن توظيفها بشكل ايجابي، وبما يعزز مسيرة المنتفق وسعيها في الحرية والاستقلال وفيه يقول شاعرنا:

هذا المدافع عن تراث حدوده

الارض تجفـل من زئير اسوده

يطأ الثريـــا بالحوافر عارفـــاً

ان النجوم الصيد بعض جنوده

مصادر الحكاية:

١. مركز المخطوطات-رقم الملف (٦٦٧٠)
٢. مركز المخطوطات-يوميات زفبودا- رقم الملف (٦٦٦٧).

يعيالي وانه عمكم...

في العقد الاخير من القرن التاسع عشر، وفي ظل سياسات الدولة العثمانية المتجهة لمسارين متضادين: اولهما: السماح بزيادة النفوذ والوجود الاجنبي في الاراضي الامبراطورية، وثانيهما: العمل الجاد والحثيث- حتى وان اخذ شكلاً قاسياً- بوجه أية بادرة نشاط يلاحظ منها التطلع نحو الاستقلال. وهذا ما فعلته الدولة العثمانية مع كل الامارات والمشيخات العراقية طيلة أيام وجودها، وقد حدث ذلك مع امارة الجليليين وبابان ومشيخات العبيد والخزاعل وربيعة، وكان آخر العنقود، ما حققته، حين اسقطت امارة المنتفق عام ١٨٨١م بعد المعركة المعروفة باسم «الريس».

هذا الامر الذي رعته السياسة الرعناء للسلطة، تعاملت به بشكل اعمق، حتى داخل القبائل والعشائر، تمهيداً لاضعافها وانقيادها للسلطة. وقد حدث عام ١٨٩٢، شرخ بين افراد قبائل «الضفير» لاسباب متعددة، حين ثاروا ضد رؤوساهم من «ال سويط» مما دفع الاخيرين ان يدخلوا في حمى السعدون جراء هذا الامر، لكن الثائرين

وفي حمى حماسهم قدروا ان بأمكانهم الانتصار على الحامي واخذ المحمي منه، ولو بالقوة. الا ان مثل هذه الامور، ما تعيبها العرب ان حدثت، حتى وان تطلب الامر التضحية بالنفس من اجلها.

رغب ثائري الضفير من «ال اباذراع» بتسليم رؤوساهم المتواجدين عند السعدون لهم، والا فالحرب هي الفاصل. ولان تنفيذ مثل هذا الطلب، امر مستحيل، فقد رفض ما طلبوه، واعلموا ان دونه خرط القتاد، ولذلك قال «جراح مشاري العبد الله» حادياً:

يارب يا حــامي الدخيــل   انه دخيلك بدخـــلي

والله مخلي نايف وشهيل[1]   لو الدرك يلحك علي

ولان الطريق اصبحت مسدودة امام اية بارقة حل، فقد ترك لامكانات القوة التي يملكها الطرفان، ان تفعل فعلها وتحسم هذا الامر، الذي جرت وقائعه نهاية عام ١٨٩٢، خاصة بعد ان قتل- جراح- من قبل الضفير جراء حمايته لمن دخل عليه طالباً الامان من عدوانية ابناء عمومتهم. وحين حصل الفعل العنيف، فقد استقتل- السعدون- رغم قلتهم- في القتال الذي كان يقودهم فيه «فهد باشا العلي» ومكنهم الله، من انزال هزيمتهم بالمنافسين، رغم انه لم يخرج احد من المدافعين من هذه المعركة بدون اصابة، بما فيهم قائدهم الذي جرح بسبع اصابات مختلفة. وقد كان-فهد باشا- رغم تقدمه في السن، ابرز من قاتل في تلك المعركة، حيث كان يحدي بمقاتليه:

---

(١) نايف وشهيل: من رؤوساء ال سويط الذين دخلوا في حماية السعدون.

يعيـــالي وانـــه عمكم هوشه وانه اليوم استريح

واريـــد لوكفـــم بكم ردوه للفرخـــة الطريـــح

وربما كانت هذه آخر معاركه التي باشر فيها القتال. وبعد انتهاء المعركة عاد المقاتلون الى مضاربهم، مزهوين بالنصر في الحفاظ على حياة ضيوفهم، ورد قاطعي الرحم بالخذلان، وكم جميل ان يصف الشاعر ذلك الوقف بالقول:

عم تحيط بـــه بنـــوه كمعصم

هو شيخ عصبتـه المبايع بالدم

ياكل صولات الجنوب تعطري

وقفي على فهد الفهود وسلمي

مصادر الحكاية:

١. وزارة الاعلام- المجلد الاول: ص:٣٦.
٢. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠)
٣. مركز المخطوطات- رقم الملف (١٧٦٥٢).

تقاليد العرب

كتب الاستاذ «علي الشرقي» ما نصه: بادية العراق كغيرها من بلاد الجزيرة، تكثر فيها في الشتاء والربيع، الغارات والوقايع بين القبائل، التي تراود تلك البقاع. وفي عهد-ناصر باشا السعدون- المعروف عند عرب الجزيرة بـ«الاشقر». صالت الراية العراقية على بعض احياء «عنزه» وبعد الاشتباك تغلبت، وامتلكت من الماشية والبيوت، وكانت غزوة «رابحة» اثرت فيها رجالات المنتفق من كثرة الغنائم، وركزت رايتها في وسط تلك الاحياء النهرية.

ويضرب رواق للعميد-ناصر- وتحشد عيون العشيرة ومساعديها. وللنادي السعدوني، ادب ومزايا، مازالت نوادي عمائر المنتفق مطبوعة بطابعها، ذلك الطابع الذي جعلها تمتاز عن سائر نوادي الريف العراقي. وبينما ذلك النادي في هالة من وقار راكس في سكوته وسكونه المهيب، واذا بفتاة جميلة متجلبة بأجمل بزه، تتخطى الرؤوس وتتوسط النادي غير هيابه ولا وجله. فأكبر رجال المنتفق ذلك المنظر وطأطأوا رؤوسهم لان الشيوخ من ال السعدون، متشددون بحجاب المرأة، وديوانهم تتهيبه الرجال، فكيف تتخطاه امرأة متبرجة بزينتها.

حادث مريع ليس له مثيل في نوادي ال السعدون... فيطأطيء ناصر الاشقر، رأسه ويزجر الفتاة، زجرة تبلغ اقصى الحي، قائلاً: ما شانك؟

فتجيب برباطة جأش وتماسك: يا الاشقر، الله في تقاليد العرب.

ويسأل الاشقر: ماذا تعنين؟

وترد عليه: اني فتاة غريبة عن اهل هذا الحي، وقد خطبت لفتى من فتيانه، فكان الزفاف البارحة، وصبحت الحي غاراتكم، وسوف تقول نساء الحي هذا من شؤوم العروس، ويتطير مني... فأناشدك الله بتقاليد العرب راغبة اليك ان تأخذني معك، فاني لا استطيع البقاء.

ويخشع الشيخ الاشقر، لذلك الصوت الرقيق، ويقدم ذلك الاحتجاج الادبي الصارخ، ويعطف عليها بحنو الوالد، قائلاً: (ارجعي يا عفيفة الى خبائك، فسوف اجعلك ميمونة مباركة، انا لا ننتهك الستر ولا نزعج حلائل الكرام)...

وينادي مناديه في غزاة المنتفق، ان اتركوا غنائكم حرمةً لهذه الفتاة... غير ذلك فانه منحها من حلاله الخاص الشيء الكثير، وطوى مخيمه راجعاً بالمنتفق، كما جاءوا فارغين من كل الغنائم الا من الشيم والحرص على تقاليد العرب.

فهل غريب على الاشقر، حين يشاكس والدته بالقول «يايمه خوذيلج رجل هلبت ولد مثلي يصير».

كم حرة فيك لاذت وهي تعترف

ان المرؤة من عينيــــك تغترف

هـــذا مضيف يلوذ الحائرون بـه

نهــران خير دائمـــاً لا تجف

ويقول فيه الشاعر (عيد الزميلي الشمري) مادحا له في قصيدة طويلة منها:

يا وي شيخ يوم تطري الشــيوخي

أشكر ليا حطوا على الخيل جوخي

تلوذ بـه الفرســـان مثل الفروخي

ومن لكوتــه كل القبايـل هواريب

أشــكر وجن عينيه فيها ســـنا نار

مطرق حديـد والبواليـــد كســـار

عج الرمك والكون يوم الدخن ثار

أشكر عن الهوش وصل الرعابيب

مصادر الحكاية:

١. علي الشرقي-الالواح التاريخية- ق١ - ص:٨٧-٨٨.

٢. صحيفة القادسية-بغداد-في ١٩ ايلول ١٩٩٠

عبد الكريم الجربا

في عام ١٨٧١م، ثار الشيخ «عبد الكريم الجربا» زعيم قبائل شمر وقائدها، ضد الوالي العثماني «مدحت باشا»، بعد ان وجد ان سياسة الدولة العثمانية بخصوص الزراعة والاستقرار لا تلائم شمر، احد اشد القبائل البدوية المتنفذة في اعالي دجلة، بل انه كان يقول ساخراً، هل ان مدحت باشا، يريد ان يحول مضارب شمر دكاكين بقالة؟

وقد سيرت ضده الدولة، طابوراً عسكرياً، فض جمعه ودفعه نحو الهروب، بعد ان عينت اخاه «فرحان باشا» شيخاً على قبيلة شمر. لكن-عبد الكريم- بما جبل عليه من شجاعة واصرار، ظل يشن الغارات المتكررة على اطراف المدن والحواضر، مما دفع الوالي، بتعقيبه بمسيرات عسكرية متواصلة، دفعته للاتجاه نحو مدينة «حائل» حيث المتنفذين من ابناء عمومته امراء لها، لكنهم صدوه ومنعوا دخوله «حائل»، خشية من الدولة العثمانية.

ازاء تقطع السبل به، عاد ومن تبقى معه الى العراق، فواجهته سرية عسكرية للمنتفق، القت القبض عليه. وكان في حينها-ناصر

باشا الاشقر- يشغل ولاية البصرة، إحدى الولايات الثلاث للعراق. وتحت ضغط الدولة العثمانية، ولكونه احد ولاتها الرئيسين على المسرح العراقي، فقد اضطر، الى تسليم-الجربا- الى والي بغداد، الذي حاكمه، امام محكمة خاصة، والتي اصدرت حكماً باعدامه، والذي نفذ فيه في الموصل، وبحضور اخيه-فرحان باشا- ومع ذلك، ولرفضي ما حصل من قبل الاشقر تجاه هذا الفارس فلدي تعليق على هذا الموضوع، يتركز على:

١. ان الاشقر، كان موظفاً حكومياً رئيساً عند الدولة، فهل نطلب منه التراجع في تنفيذ قانون الدولة، وحماية من ثار عليها، بعد ان امتنع عن حمايته ابناء عمومته في حائل!!!!؟

دليلنا على ذلك، تصرف الشيخة «عمشه» والدة عبد الكريم، التي ذهبت لمضارب شمر في الجزيرة العربية بعد اعدام-عبد الكريم-، لكنها لم تسع الى مقابلة الامير «محمد بن عبد الله الرشيد» امير حائل، كما انه لم يبد رغبة في لقاءها، والسبب في ذلك عائد-لموقفه حين صد-عبد الكريم- من دخول حائل حين كان مطارداً من قبل الدولة العثمانية عام ١٨٧١م!!!

٢. ان تطلع الاشقر، في تثبيت الامن والاستقرار في عموم ولايته، يدفعه ان يحاسب كل من يخالف ذلك خصوصاً وانه كان يتطلع لتوجيه الامور بالطريقة التي تجعل من المنتفق، كائناً آخراً، بعيداً عن تدخل الدولة ونفوذها.

٣. قد تكون للاشقر، احن وثارات قد حضرت في ذهنه بعد القاء القبض على -عبد الكريم- وهو العارف، بأن والد الثائر المذكور، هو من ابرز المساهمين في شن الحرب ضد الامير- حمود الثامر- لصالح صديقه -عجيل اخو سعدى- لكنه في ما بعد ساهم في قتل -عجيل- وبذلك فان له مشاركة فعالة ضد المنتفق، اخذت الكثير من الشجعان. لكنه مع ذلك لم يعدمه او يسيء التصرف معه، سوى تسليمه للدولة التي طبقت قانونها ازاءه وبحضور شقيقه.

فهل يصح ان نحمل الاشقر، ما حصل، ولا نحمل ابناء عمومته وشقيقه شيئاً؟ ان تحقق ذلك، فهي معالجة غير منصفه ان كانت بهذا الشكل.

وقد كان للسعدون وللمنتفق، رأي مغاير لما قام به الاشقر، رغم كل حزمة المبررات التي ساقها، وذلك لاسباب قبلية وقيمية واعتبارية، كما ان «الديره» وابناءها لم يألفوا مثل هذه الامور في التعامل مع الدولة. ولذلك فقد قامت بنات السعدون، وهن يطوفن حول مضيف الاشقر، بانشاد الحداء، عتاباً ورجاءاً واملاً، ويقلن:

آه الزمان شـــلون آه من الاشكر

اخذوا ذلولي الزين خلولي الابتر

لكن حتى هذا الرجاء الرقيق، لم يهب -لعبد الكريم الجربا- فسحة اخرى في مصاولة الدولة والثورة عليها. وجميل ان يقول شاعرنا،

بلسان-الجربا-:

اتســـلمني لاعـــدائي وظـــني

بأنك ان رمتني الارض حصني

وما اخـــذوا علي الذنـــب الا

بأني صـــرت منـــك وانت مني

مصادر الحكاية:

١. د.عبد العزيز سليمان نوار- ص:٤٣٣

٢. مركز المخطوطات- رقم الملف (٣٣٧٠٤)

٣. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠)

٤. الليدي ان بلنت- رحلة الى نجد- ط١- ترجمة احمد ايبش- دار المدى للثقافة والنشر-دمشق ٢٠٠٥- ص:٢٧٣.

طور الصبي

في أيام زهو امارة المنتفق في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر، واثناء تآمر الشيخ ناصر بن راشد» المعروف بـ«الاشقر» ولاية البصرة عام ١٨٧٤م، واعتمادها كولاية مرتبطة بالمركز في استنبول، فقد بدأت حركة الحياة تأخذ ايقاعاً مختلفاً عما سبقها من سنين، كما ان هذه الفترة شهدت وافدين جدد على المنطقة، حملوا معهم الجديد من المشاريع والاكتشافات، ترافق مع ذلك افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م، وما فعلته من تنشيط التبادل التجاري بشكل اسرع واكثر حجماً، زائداً التأثيرات الايجابية التي اقدم عليها الوالي المصلح «مدحت باشا» بعد تبوأه ولاية العراق عام ١٨٦٩م. هذه الاحداث وغيرها، القت على حاضرة «الناصرية» التي تأسست حديثاً، تأثيراتها، فوجدت تجاوباً وتناغماً من اهلها نحو اكتشاف الجديد، تطلعاً للافضل.

ولان الشعر والادب، كان دوماً مرآة عاكسة لحياة المجتمع في أي وقت، فضلاً عن ان اهل العراق، صناع كلام، في كل فروع وانشطة

الحياة، فلم يكن غريباً على اهل المنتفق وامرائها، ان تهتم بالشعر والشعراء وتكرم المبدعين منهم.

في تلك الفترة، كان شعر «الابوذيه» يتصدر الوان الشعر، مع انحسار شعر «العتابة» الذي كان سائداً قبله. وهذا الامر طبيعي في اشكال الحراك الاجتماعي الذي شهدته المنتفق آنذاك، والمتمثل باستقرار السكان ومزاولتهم العمل الزراعي. في تلك الايام، تفقد-الاشقر- نشاط الشعر والشعراء في «الديره» وسأل جالسيه: هل يوجد من لا ينظم الشعر في المنتفق؟ فأجيب بأن هناك اثنان من المتباعدين عن هذه الحرفة، كلاً لاسبابه، وهما «داود اليهودي» و«رومي الشعلان» وهو من طائفة الصابئة.

استدعاهما-الاشقر- المولع بالشعر وخيرهما بين ان يقولا الشعر الآن، او ان يرحلا عن «الديره» بعد انزال العقوبة بهما!!! بعد فترة صمت قصيرة، تمكن -داود اليهودي- ان يتدبر امره قائلاً:

الناس اهل المثل كالوا معادين

انخلكنا وللتراب احنا معادين

شيوخ المنتفج صاروا معـادين

يبـــاشا ادخيل عدك حن عليه

اما-رومي الشعلان- فقد تملكه الخوف، وبات وضعه يستدعي الشفقة، خاصة وان نظرات الجميع، كانت مصوبة نحوه،... في هذه

الاثناء، فلتت منه بشكل عفوي صرخة «آه يا ويلي» التي كررها اكثر من مرة، والتي باتت لازمه لاي مغن لطور الصبي،... وقال:

ياشا الوكت شوف شلون علباي

كثير من العلل بالكلب علباي

يتخايلي يكص السـيف علباي

شيـخلصني لون تغضب عليه

ثم اردفه بيت ابوذيه آخر، غناه على طور جديد لم يكن مألوفاً سابقاً، بعد ان ايقن انه قد نجا من خيارات-الاشقر- الصعبة، وهو الطور الذي عرف باسم «الصبي»، فقال:

جلد لاجن جفاني اليوم جلداي

وحك اليوم بين الخلك جلداي

اغني لويـذر الشـيخ جـلداي

لو امشـي وتظل داري خليـه

ومن وقتها، اصبح هذا الطور الجديد، من اطوار الغناء الريفي العراقي، وهو من الاطوار الصعبة التي لايجيدها الا المتمكنين في صنعتهم. ومن اشهر من غناه «عبد الامير الطوير جاوي» و«حسن داود» و«حسين نعمة». وبعض المهتمين بالغناء الريفي، يغالون بالقول، ان مقام «اللامي» الذي ابتدعه قاريء المقام المشهور (محمد

القبانجي) في ثلاثينيات القرن الماضي، اخذ من هذا الطور الغنائي الذي ابتدعته المنتفق في اواخر القرن التاسع عشر.

ويتكلم شاعرنا بلسان من استدعي، فركبه الخوف، حيث يقول:

غضب الامير فأين منه المهرب

وعلي ضـــاق فضائه اذ يرحب

فقصدته بالشـــعر اطلب عفـوه

فربحت لمـا كان ذاك المطلب

يا قاصداً دار المكارم لا تخف

فالعفو والحسنى لناصر ينسب

مصادر الحكاية:

١. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠)
٢. مقابلة مع المطرب (داخل حسن)- مجلة الف باء- العدد (١٤٣٣) في ١٣/ ٣/ ١٩٩٦.
٣. رسالة للمؤلف من الاساتذة (جاسم الياسري وثامر العامري) معدي ومقدمي برنامج (الوان من الريف) التلفزيوني- بغداد/ ايلول ١٩٩٥.
٤. علي الشرقي- الالواح...ص:٦١.

بدوي لا يتغير

لا يختلف اثنان على ان جزءاً كبيراً من قوة ونفوذ وسطوة امير المنتفق «ناصر باشا الاشقر» قد اعتمد على الدور الذي لعبه فارسه ومقدم جنده وابن عمه «مشاري بن عبد الله بن ثامر» لما يتصف به من فروسية وشجاعة واستجابة للمستجدات التي تحصل على ارض الميدان.-ولمشاري-الكثير من المواقف الشجاعة في حروب المنتفق ضد العثمانيين او في معاركهم الداخلية، او تلك التي تحصل مع القبائل الاخرى، وبما ميزه عن غيره من اقرانه.

وقد كان توافق-الاشقر-مع-مشاري- ينسجم مع الطموحات التي ارادها الاشقر، لبناء كيان متميز عن نفوذ الولاة العثمانيين وتأثيرهم. وبعد مجيء الوالي «مدحت باشا» للعراق عام ١٨٦٩م، واستحداثه للكثير من الاصلاحات، التي طالت حتى المنتفق، من خلال تأسيس مدينة الناصرية عام ١٨٧٠م، وكذلك موضوع تسجيل الاراضي المشاعة بأسماء مستغليها، وقلب المشيخة الى منصب رسمي تحت مسمى المتصرفية، في تلك السنين حدث الخلاف بين الاثنين، وكلا رأه بمنظاره.

هذا الخلاف بدأ بسيطاً، لكنه اخذ مع مرور الايام شكلاً يكاد ان يكون عدوانياً، بعد ان بدأ-الاشقر- يستشعر بمخاطر سلوكيات-مشاري- التي قدر مخاطرها على مشروعه السياسي، وبما يدفع الدولة العثمانية تحت أية حالة استفزازية ان تجهض هذا المشروع بقوتها العسكرية. ازاء ذلك تباعدت الخطوط بين الاثنين، وبدأ اشبه بما نطلق عليه في وقتنا الحاضر، بالحرب الاعلامية. وقطعاً ان هناك كثيرون، تبرعوا او ساهموا بتأجيج حدة الخلاف وتعميقه، وبدأت لغة-الاشقر- تكاد ان تكون قاطعة لابعاد-مشاري- عن أي دور، بل ان البعض من اهل السوء، زينوا للاشقر ان يبادر بفعل شيئ واضح، يقلل من قيمة الاخر ويحط من أعين المعجبين به. هذه الاخبار وتفصيلاتها وصلت-مشاري- الذي بادر بارسال شعر عتابة للاشقر، يقول فيه:

بالك تيســرني عليك مثل الولـد لوطك ابوه

انت ولد راشد يا شيخ وانه ولد عبد الله اخوه

ولان الاشقر وبما يتصف به من ايجابيات كثيرة، خاصة في البناء والقيم والتطلع الى الامام، كان أبعد الناس عن سلوك ما لايليق مع الآخرين، فقد وجد ان ضرورة التباعد بينهما، تفرضها ظروف المرحلة، وهذا ما حصل، حين رحل-مشاري- عن مضارب المنتفق الجماعية، وانتقل لسكن منفرد يواجه الصحراء، مع ابتعاده عن أي دور فعال في مشروع الاشقر السياسي الذي تمخض عن تأسيس

ولاية البصرة عام ١٨٧٤م المرتبطة بالعاصمة استنبول، بعيداً عن اية تأثيرات لولاية بغداد وسلطاتها.

هذا الابتعاد يبدو انه قد توافق مع مزاجية كليهما، الاشقر تفرغ لمشروعه السياسي واعطاه كل جهده وقوته، مستعيناً بمن يراه مفيداً له، و-مشاري-توغل بعيداً في بدويته التي ظلت تتطلع للقوة في تحقيق الاهداف دون الحاجة لتأسيس المراكز الحضرية والارتباط المباشر مع السلطة. وتقديري، ان ذلك جاء متوافقاً مع ثقافة ومعرفة وعلم كليهما، ونظرته للعالم ومتغيراته الهائلة التي تفرض الاستجابة للجديد.

الابتعاد القسري للصديقين عن بعضمها البعض، لم يقطع مودة القلوب، رغم ابتعاد رؤاهما الهائل بشكل معالجة ما يواجهاه. لذلك وفي لحظة شجن لايام ماضية ارسل مشاري، قصيدته المعروفة بـ«المرضيه» يخاطب فيها الاشقر، بالقول:

هجرتني يا شـــيخ عشــــرين عيد

وهـــل علينـــا عيـــد رمضـــــان

ماني عضيدك يوم ما عندك عضيد

واسنان رمحك يوم ما عندك اسنان

ويقول شاعرنا عن تلك الاحوال:

بدوية هـــذه الرجولـــة عنـــده

والســـائرون على خطاه كثار

من يعشق الفرسان يحي ذكرهم

فلذاك ذكرك في القلوب مزار

مصادر الحكاية:

١. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠)

٢. مركز المخطوطات- رقم الملف (١٧٥٦٢).

طاسة وخذوها الروم...

حين سقطت امارة المنتفق اثر معركة «الريس» التي جرت احداثها في آب ١٨٨١م، فقد شغل هذا السقوط الكثير من الناس لفترة طويلة، لاسباب كثيرة، اهمها، انها الموقع الاخير للنهج المتميز الذي رغب العراقيون بتحقيقه بعيداً عن التدخل العثماني، هذا غير اتساع نفوذ المنتفق وعدد سكانها وعلاقاتها الواسعة بالناس والمكونات السياسية والاجتماعية في العراق وشبه الجزيرة العربية والخليج. فضلاً عن ان سفر المنتفق الطويل في الحياة العامة، قد عود الناس عليها وعلى ما تحققه من انجازات حتى وان كانت في حالة جزر. وقد أسف الجميع- حتى من هم على خلاف معها- على النتائج النهائية التي أفضت بها طبيعة الصراع القائم آنذاك.

لذلك فان ما حققته الدولة العثمانية، بتغييب هذا الكيان الكبير، سحب معه كثير من الروايات والاساطير والاشعار بحق الامارة واحداث ايامها الاخيرة. كما ان سلطات الدولة «العليه» كافأت من انجز لها هذا الهدف الذي صارعته لاكثر من قرنين، دون ان تحقق

مرادها، بطريقة متميزة وواضحة، فوالي العراق- تقي الدين باشا- مددت له سلطات استنبول ولايته ستة سنوات، وهي مدة لم يحظ بها من تلاه من الولاة، في حين اسندت للفريق-عزت باشا- قائدها في المعركة الاخيرة ولاية ومشيرية اليمن، جائزة لما تحقق على يديه.

وبعد انتهاء المعركة، بهزيمة المنتفق، انسحب قادتها نحو بادية الشامية، تباعداً عن ملاحقات الجيش العثماني. وكان امير المنتفق الاخير هو «فالح بن ناصر الاشقر» [1] وهو رجل لا يحب العنف والقسوة، زائداً ما طبع شخصه من نزعة دينية واضحة، مع محبته لفعل الخير، فهو احد الرجال المطلوبين للدولة، بعد ان عدته مع «فهد باشا العلي ومنصور باشا الراشد» خارجين عن القانون، وقد صادفته في تلك البادية، إحدى بنات السعدون، فخاطبته بلغة رقيقة وشجيه، بالقول:

اســـرع وخوذ الثأر فالح يا غرنوك   طاسه وخذوها الروم ببيش احلب النوك

وهي اشارة بليغة لتثوير طاقات المنتفق لغرض توظيفها في تغيير معادلات نتائج المعركة الاخيرة، الا ان تلك الأمنية، كانت اشبه بالسراب الذي يلاحظه قاطعي الصحراء.

---

(١) فالح باشا: ابن ناصر الأشقر الأكبر وأمير المنتفق بعده، تولى الامارة لمرتين الأولى ١٨٧٤-١٨٧٧، والثانية ١٨٧٩-١٨٨١. يؤثر عنه ابتعاده عن العنف وميله إلى تهدئة الأمور مع تدين شديد، توفى عام ١٩٠٨، ودفن في مرقد الصحابي الزبير بن العوام.

كما كان تأثير سقوط هذه الامارة واضحاً على الوان الغناء والعتابة والحداء، الذي زامن هذه الحادثة. وقد أرخ المرحوم «نعوم سركيس» بعض الوانها، حين اشار الى ان «بسته» قيلت وجرى الغناء بها في الجالغي البغدادي الذي يتخصص بغناء المقامات البغدادية، ومن كلماتها:

كامو يشيلون يا عسكر السـعدون

هدمـوا عمـود البيت كامو يشيلون

بالبريخيمون مالـح يشـربون

عكب الحليب والجاي مالح يشربون

وهذا النوع من «البستات» يغنى في الجالغي البغدادي، اشتقاقاً من مقام «مرابط».

وحسناً صور شاعرنا ما حدث، بالقول:

وقفوا على طلل البيوت وساروا

يـا سربـة الفرسـان ما الاخبار

أين الذين بظلهم شـاع السـخا

ولنـار خيمتـهم يهف الجـار

كتبوا على سقف الزمان حروفهم

فتسـاقطت شـرفاً لهم اسـوار

المصادر:

١. د.علي الوردي-لمحات- ج٣-ص:٣٩-٤١.
٢. محمد خليفة النبهاني- التحفة النبهانية- ص: ٤٤١-٤٤٢
٣. عبد الجليل الطاهر- ص:٣٦.
٤. حسين خلف- ج١- ص:١٤٥
٥. عباس العزاوي- تاريخ...- ج٨- ص: ٥٤، ٥٥، ٦٨.
٦. عبد الله الفياض- مشكلة الاراضي في المنتفك- ص:٦٠
٧. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠)
٨. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٦٧).



الشيخ عبدالله الفالح السعدون
وهو ابن فالح باشا ابن ناصر باشا بن راشد بن ثامر السعدون

الكرك

حين تبوأ «مدحت باشا» باشوية العراق عام ١٨٦٩م كانت نيته متجهة نحو اجراء جملة من الاصلاحات التي رأها ضرورية لتقدم العراق، وكان من ابرز خططه في هذا الجانب، اغراء القبائل على التوطين والزراعة، تقديراً منه، ان ذلك يسهم في تقليل اشكال التمردات التي تتعرض لها السلطة، كما ان ذلك التوطن يتيح للدولة احداث الاصلاحات التي تراها ضرورية، مثلما يمكنها من استيفاء رسوماتها المتعددة من المتوطنين. لكن ذلك الاجراء، قوبل بالرفض والتمرد من عشائر «الاكرع» و«عفك» حيث قادت تمرداً واسعاً في منطقتها. وازاء الضغط الذي تعرضت له قوات الدولة من قبل الثائرين، فقد طلب- مدحت باشا- معونة المنتفق، لغرض تخليصه من الورطة التي احبطت مساعيه الرامية لتهدئة الاوضاع، خاصة بعد ان هزمت هذه القبائل قوات الحكومة وقتلت متصرف الديوانية «توفيق بك» الذي هو أبن اخت الوالي.

إزاء ذلك، ارسلت المنتفق (٥٠٠٠) فارس يقودهم الامير «ناصر

باشا الاشقر» والذي حشد معه خيرة رجال المنتفق وفرسانهم. وبحمد الله، فان هذه القوة لم تدخل في اية معارك مع ثوار عفك والاكرع، لكن وجودها هدأ الموقف وابعد اشكاله العنيفة، بحيث بدت اشبه بسلاح الردع. والذي استفاد منه كلا الطرفين-الوالي والمنتفق-. فالوالي بهذا التواجد، تسنى له تهدئة الامور والتوجه لدفع القبائل للاستقرار والزراعة، والمنتفق اشعرت الوالي بقوتها وقدرتها وحاجته لها في الاوقات الصعبة. هذا الحضور اشعر الجميع بقوة المنتفق وقدرتها على التكيف مع مستجدات الاحداث، لذلك قال احد شعرائهم متفاخراً:

يلومون ناهض لوحجه ودوله

الشــال وزر المنتفج والدوله

ودو لاخـو نوره الكرك ودوله

لا يزعل ويلحك بكايا العسكر

وتابع شاعرنا الاحداث بقوله:

من يطلب العون لا يعدم فوارســه

فاقصد دياراً عليها المجد ينتصب

هذي النجوم الذي ما ظل سائرها

وكم شموس كثــار قبلهم غربــوا

مصادر الحكاية:

١. صلال الفاضل- مذكرات صلال الفاضل «الموح»- تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري- مطبعة العاني-بغداد ١٩٨٦ ص:٢٣

٢. مركز المخطوطات، رقم الملف (٦٦٧٠).

المهدل...

هكذا كان يلقب ابناء المنتفق احد فرسانهم المتميزين، بحكم ما تميز عن غيره من الفرسان، شجاعة واقداماً وتضحية، هو «طعمه بن عبد العزيز الروضان السعدون». قدر له ان يعايش الفترة الحرجة التي كانت تعيشها المنتفق وهي على بوابات القرن العشرين، حيث مشاريع النفوذ والاحتلال والثروة من قبل قوى جديدة وكبيرة وافدة على المنطقة، قدر لها ان تلعب دوراً مهماً في السنين الاخيرة من حياة الرجل المريض، من خلال رسمها خارطة جديدة للمنطقة، تتوافق ومصالح هذه القوى الوافدة.

والمهدل، لقب اطلقه اهل المنتفق على فارسهم، لكونه وفي حمى المعارك العديدة التي خاضتها المنتفق، يمتنع عن حماية نفسه بالتدرع، مثلما يفعل فرسان ذلك الزمان، لكي تكون واقية لهم ضد ضربات السيوف ورصاص البنادق، لكن صاحبنا يفعل اكثر من ذلك، حين يفتح صدره، معانداً خصومه ان ينالوا منه، وهذه التسمية يطلقها الناس على من يكون صدره مفتوحاً دون ازرار، وهو ما كان يفعله- طعمه- في المعارك.

وقد قدر لهذا الفارس ان تكون مساهمته في جميع معارك المنتفق، طيلة مشيخة- سعدون المنصور- [١] وكان دوره متميزاً، خاصة في معركتي «تل اللحم» و«تليل جباره» التي دخلتها المنتفق ضد امارة حائل في الايام الاواخر من القرن التاسع عشر، بعد ان خاض المتقاتلون قتالاً ضارياً ثلاث أيام، دون انقطاع في معركة «تليل جباره» تمخضت عن نصر للمنتفق. هذا النصر، دفع المنتفق، ان تمنع دخول عشائر شمر للمنطقة الممتدة من اعالي النجف الى الكويت، حيث منعوهم من مسابلة اطراف العراق والامتيار من مناطقهم، وضربهم حيثما وجدوا. وهذا ما أضر بامارة حائل، لانه كان اشبه بالحصار الاقتصادي على منفذ اكثر من ضروري لهم، خاصة وان مشاكل حائل والكويت وحائل والرياض مستمرة، مما اوقع امراء حائل في حرج شديد.

وقد انيطت بـ-المهدل- مهمة مراقبة هذه السياسة وتنفيذها بما يمتلكه من فرسان يبحثون عن مغامرات الحروب، وهو ما نجح فيه، مما دفع لاحقاً امارة حائل ان تسترضي المنتفق وتتصالح معها بعد ان احست بأضرار الطوق المضروب حولها. ولم يتأخر المهدل في المشاركة الفعالة في كل المعارك التي حدثت آنذاك، والتي كان المنتفق طرفاً فيها.

---

(١) سعدون بن منصور بن الأمير ثامر: تولى مشيخة المنتفق عام ١٨٩٢-١٩١١، ويوصف بالعنف والقسوة والشجاعة الفائقة. لم يحسن هو وأبناء المنتفق في التكيف مع الاوضاع الجديدة التي تولدت مع بدايات القرن العشرين، وبذلك أضاعوا فرصة كبيرة على المنتفق. اعتقل في البصرة في تموز ١٩١٠ بعد أن غدر به صديقه طالب النقيب، وأرسل مسجوناً لحلب لغرض محاكمته لكن قضي عليه قبل اجراء تلك المحاكمة المزعومة في كانون الأول ١٩١١.

والمروي عن-المهدل- انه طويل القامة، جميل الصورة، حسن الهندام، يغني في المعارك بأفعاله عن الكثير من الفرسان، بل انه وحين تشتد المنازلة وتكون الامور في غير صالح المنتفق، تناط به مسؤولية مؤخرة الجيش ليعطل تقدم الخصوم عن اصحابه، معتمدين على شجاعته وحسن تدبيره. وبهذه المسؤولية ومخاطرها، انتهت حياة هذا الفارس، يوم ان دخلت المنتفق في معارك مع عشائر «الرولة» التي يقودها-نوري ال شعلان- وعشائر «العمارات» التي يقودها- فهد الهذال- اواخر عام ١٩٠٩م في مضارب عشائر-الروله- بعد ان غزتهم المنتفق. وكانت الواقعة شديدة وقاسية على الجميع، حيث اطبقت هاتين القوتين على قوات المنتفق، وتمكنتا من هزيمتها. ولولا فعل الفرسان القتالي، وفي مقدمتهم-المهدل- لما امكن انقاذ ما يمكن انقاذه من قواتهم في ذلك الظرف العصيب. ولعل شاعرنا كان مصيباً حين يقول:

يتناقصون وانت وحدك تكمل

اجدادك السبعون انت الانبل

الموت يصطاد الكــرام بطبعه

الذاك يا مهيوب انت مهـــدل

بعد ان عادت قوات المنتفق لديارها، اسف وحزن الجميع على مقتل فارسهم-المهدل- وان كان الثناء عليه كبيراً، ازاء فعله القتالي وتضحيته بنفسه وخيرة فرسانه من اجل جيش المنتفق. وقد قالت

احدى شاعرات «الديره» قصيدة طويلة عنه، تغنت فيها بشجاعته ومآثره الطيبة عند اهل المنتفق، ولم يبق في ارشيف الذاكرة منها الا القليل.

سبع جدود الك والناس جدين

جــد اليلطم العــايــل علـــه العين

وجــد اليبعد الوادم عن الشين

وجــد أليلاوي التفكك بســلاح زين...

وجد اليدير بمحاجيه الدواوين

وجد اللي توكف على شوره السلاطين

مصادر الحكاية:

١. النبهاني- ص:٤٤٥

٢. علي الشرقي-الالواح...- ص:٨٧-٨٨

٣. وزارة الاعلام- لغة العرب- م١-ص: ٤٤٦،٤٣٦

٤. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠)

٥. مركز المخطوطات- رقم الملف (١٧٦٥٢)

6. Glubb J.B-War in the Desert- p:115.



سعدون باشا بن منصور باشا السعدون
وأبناءه ثامر وعجمي باشا
١٩٠٧م

ادهام والباشا

لا يختلف اثنان على ان سعدون المنصور، كان متمرداً من نوع متميز. وحالة التمرد التي عاشها، لم يستطع ان يوظفها او يوظف امكاناتها الايجابية نحو فعل مؤسسي، بقدر ما اخذت هذه الصفة، شكلاً اقرب ان يكون للعدوانية والعنف والقسوة، حتى مع اقرب الناس اليه. وهذا الامر، اضعفه واضعف جهوده وقدراته، ومكنت الآخرين من التمرد عليه وعدم طاعته، حتى آل الامر ان يلقى عليه القبض من قبل العثمانيين في البصرة، ويساق الى حلب التي يموت فيها بطريقة مشبوهة، تشير اكثر التقديرات الى انه مات مسموماً.

ففي عام ١٨٩٧م، دخل سعدون مع عشائر «ال بدير» في معركة حول السيطرة على اراضي «الخرخره» التي اوكل له صاحب الارض-فالح باشا الناصر-ادراتها. الا ان عشائر ال بدير، رفضت ذلك التوكيل، معتمدة على قوتها في رد سعدون عما نوى عليه، مع ما تقدمه لها قوات الدولة من اسناد، نظراً لتوتر العلاقة بينها وبين سعدون. هذا الامر اوصل الفريقان الى طريق مسدودة لا يمكن فتحه الا بصليل السيوف ومقارعة الفرسان، وهذا ما حدث، حيث انتهت

تلك المعركة بنصر واضح للمنتفق، مما مكن سعدون المنصور من بناء قلعة في تلك الارض، مازالت تعرف لليوم بقلعة سعدون، واسكن فيها بعض قواته ومأموريه، لغرض ادارة هذه الارض والاشراف على منتوجاتها.

انتصار المنتفق، دفع عشائر-آل بدير-للاذعان بما فيهم مقدمهم وزعيم قبيلتهم. هذا الامر، لم يهن على احدى نساء هذه العشيرة، لذلك قالت قصيدة مشهورة، وهي من جيد الشعر الشعبي في غرضها الذي نظمت من اجله، تقول فيها:

لا تكلكلني ونـــا نعســانـــه

أدهام للباشـــا يكود حصانـــه

لا تكلكلني ونـــاعيط النخيـــل

من اطيح عليك ما تكدر تشيل

احنه النلم سروجهه واحنه النعيل

واحنه النبلمهه وتظل جوعانـه

وقد حرض هذا الانتصار احد ابناء المنتفق، فقال مخاطباً الشيخ «فالح باشا»:

كل العشائر طاعت لسعدون	يفالــح ما جـاك الخبـر
الخرخره فــوك الطــويـــل	والحد لبن عـــوفي عبـر

ولان سعدون المنصور، مثلما قلنا، ظل متمرداً على كل شيء، فهو لم يستطع ان يطور هذا الانتصار لفعل اكبر، بل اعتمده خاصة في جانبه العنيف كرسالة تحذير لجميع الاطراف الاخرى التي تنافسه، لانه عاد بعد ذلك، ووقع على تعهد بمناصفة ايرادات الاراضي التي استولى عليها مع مزارعيها السابقين، ثم بعد ذلك قرر ان يرحل من الاراضي التي استولى عليها، ازاء مشاكساته الكثيرة ضد الدولة العثمانية التي ضيقت عليه الخناق...وبذلك لم تحفظ لنا الوقائع من تلك الواقعة، غير هذه القصيدة الجميلة في معانيها واغراضها.

يتمـــردون وانت المع مـــارد

جـادت به الخضراء والصحراء

يا كوكباً في الافق صعب مناله

ولذاك اسمك في العلا الجوزاء

مصادر الحكاية:

١. تكليف رحم الصكبان- ال بدير- مطبعة بغداد- ١٩٩٠- ص٢٤

٢. حمود الساعدي-دراسات عن عشائر العراق-مكتبة النهضة- بغداد ١٩٧٨- ص:٣٢٥.

٣. د.علي الوردي-لمحات...ج٣- ص:١٧٣

٤. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).



جيش المنتفق اثناء استعداداته

هديه...

تحالف المنتفق مع امارة حائل في السنوات الاخيرة من امارتهم، شكل هاجساً لشيخ الكويت-مبارك الصباح- الذي وجد ان هذا التحالف سيكون على حسابه، خاصة وان امارة حائل، لم تنفك في البحث عن منفذ بحري لها، يعطيها تواصلاً مع العالم. كما ان الطرفان، وعيا اشكال الالعاب التي يجيدها-مبارك- في تأجيج الخلافات بينهما، او بينهما وبين الامير عبد العزيز ال سعود.

تحالف هاتين القوتين مع مارافقهما من ضغط العثمانيين على مبارك، دفعته تحت حكم الاضطرار، ان يعلن للملأ عن وجود معاهدة تحالف تربطه مع الانكليز، وهي معاهدة الحماية التي وقعها مع المقيم الانكليزي في الخليج عام ١٨٩٩م، في حين كان سابقاً ينكر وجود اي شكل تعاقدي يربطه مع الانكليز.

هذه الامور دفعت-مبارك- عام ١٩٠٩م، ان يحرك احد اجنحة عشيرة «الضفير» المتحالفة معه والتي يقودها «ابن ضويحي» الى الاعتداء على احدى قوافل شمر التي تمتار من ديرة المنتفق، حيث

سلبتها كل موجوداتها وقتلت من قاومهم، مما عده رجال المنتفق اعتداءاً عليهم، ودفعهم لملاحقة المعتدين والامساك بهم في منطقة «الركي والراديف» ودخلوا معهم في معركة، بددوا شملهم فيها واسروا قائدهم واعادوا للشمريين ما سلب منهم. ومنذ هذه اللحظة وعلاقة-مبارك- بالمنتفق تشهد انحداراً سريعاً وتأزماً وقطيعة، مترقبين ما تحمله الايام القادمة من احداث.

وفي مايس ١٩١٠م، عادت المنتفق مهزومة من معاركها ضد عشائر -الرولة- والتي يقودها «نوري الشعلان» وعشائر العمارات التي يقودها «ابن هذال» لتجد موفد شيخ الكويت «مطلق ابو حديدة» بانتظارها منذراً ومهدداً، بأن الشيخ-مبارك- سيطأ ارض المنتفق بجيش لم تألفه سابقاً، بعد ان قدر ان الفرصة موآتيه له في هذا الوقت. وهذا ما حدث، حين سار جيش الكويت بتعداده البالغ (٨,٠٠٠) الاف مقاتل والذي يقوده-جابر المبارك- بعد ان تخلف والده عن قيادته بحجة المرض، كما اسند هذا الجيش بقوات نجدية، جاءت بغير رغبة للقتال، بعد ان احرجها-مبارك- برجاءاته الملحة بضرورة دعمه في هذه المعركة.

ولان المنتفق لا تجيد الطرق على الحديد البارد، بقدر ما تجيده على الجمرات وهي متقده، فقد تلاقى الجمعان في منطقة يقال لها «جريبيعات الطوال» في العاشر من حزيران ١٩١٠م، في وقت كان مجموع جيش المنتفق لا يتعدى (٥٠٢) مقاتل لاغير. وقد انتهت المعركة التي سماها اهل المنتفق «هدية» بانتصار كبير ومدو للمنتفق

وغنائم لا تحصى من جيش ارعبته فروسية وشجاعة المنتفقيين، بحيث تفاخر مهوالهم بحجم الانتصار ومداه، اذ قال (لملمها مبارك واهداها).

ويصف الضابط البريطاني (لجمن) المعركة بعد ان شاهد نتائجها النهائية «لقد كانت ارض المعركة مفروشة بجثث القتلى التي اتت الذئاب والعقبان على الكثير منها. في حين كان المنتفقيون يتحدثون ببساطة وبدون بهرجه وتصنع عن انتصارهم الاخير». وسمعت من احد المشاركين فيها، بأن فرسان المنتفق ظلوا يطاردون جيش مبارك حتى اسوار مدينة الكويت، بعد ان ملئوا بالرعب ازاء حمى القتال ودمويته، وبطريقة لم يتعودها سابقاً. وقد تصرفت المنتفق وزعيمهم- سعدون باشا- بعد الانتصار بنبل وفروسية عالية، حين داوت الجرحى وطببتهم، ثم جمعت الاسرى معهم، واعادتهم للكويت، بعد ان اعيدت لهم اموالهم ماعدا الاسلحة.

ويذكر المؤرخ عبد العزيز الرشيد ذلك بالقول: « لا يسعنا الا أن نشكر سعدون وقومه ونعترف لهم بالفضل والكرم فانهم وقد كان في استطاعتهم ابادة الجيش المهاجم بعد أن وضعت الحرب اوزارها، قبضوا ايديهم عن القتل، وساعدوا المنقطعين منه في ارجاعهم الى وطنهم، ولم يخيفوا أحدا او يلحقوا به ضررا ».

وقد كان انتصار «هديه»، الخاتمة النهائية لاي طموحات للشيخ مبارك الصباح، حيث لم ير منه ومن تلاه اية مساهمات في الانشطة

القتالية المختلفة التي حدثت بعد ذلك وكأن ما حدث في -هدية- ارعبهم وبلا حدود واعلمهم بقدراتهم الفعلية ولا استغرب حين يستدعي الشاعر «هاشم حاشوش المنتفقي» تلك الواقعة ليقول فيها:

خبر طـــارش خليلي لا يمنـه

وصـرح كلبي الليالي لا يمنه

بعد لاخيلنه اتكـــد لا يمنـــه

وتعيد الصار بالطينة[1] وهدية

ما حدث في -هديه- كان كبيراً في كل المعاني، لكنه للاسف لم يوظف بطريقة ايجابية وبنائية في ذلك الوقت، الذي بدأت فيه ايام الرجل المريض تكاد ان تكون معدودة. وبتقديري ان ذلك عائد لغياب العقل القيادي القادر على توظيف ما يحصل على الارض لوقائع ملموسة.

هـذي هدايانـــا لمـــن يتجرؤ

كل العيون اذا استدارت تفقؤ

هي كعبة الاوطان كيف تزورها

اذا لـــم تكن بدمائهـا تتوضؤ

(١) الطينة: احد المعارك الداخلية في ارض المنتفق.

مصادر الحكاية:

١. علي الشرقي-الالواح- ص:٨٧-٨٨
٢. حسين خلف الشيخ خزعل- تاريخ الكويت- ج٢- ص:٢٢٩
٣. النبهاني-التحفة النبهانية- ص:٤٥٧
٤. فاسيليف- ص:٢٦٦
٥. الرائدن.براي-مغامرات لجمن في العراق والجزيرة العربية- ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي-دار واسط للدراسات- بغداد- ١٩٩٠- ص:٦٧.
٦. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).
٧. عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، منشورات مكتبة الحياة، بيروت (د.ت)، ص ١٥٨-١٥٩.



فرسان المنتفق اثناء الاستعداد لمعركة هديه عام ١٩١٠



جيش المنتفق بعد انتهاء معركة هديه عام ١٩١٠

سقطه غير مبرره

حين تتدافع ازمان القسوة بظرفها العنيف، فان من يتعاطى معها، لابد ان يكون نموذجاً استثنائياً، يحيط بالكلي من الحالة دون التوقف في لحظة الظرف الزماني. وبدون ذلك فان تبعات اية حالة تصيب الجسد الضامن لاجساد ابنائه، ستتشظى اثارها لتصيب الجميع، حتى من كان بعيداً عن افعال العنف والقسوة.

لذلك فان في اعوام ١٩١٠-١٩١٤، عاشت المنتفق تناحراً داخلياً لاحدود له، ضيعت بسببه قدرتها في اقتناص اية فرصة لما بعد مرحلة الرجل المريض، في حين كان آخرون، اقل قدرة وتماسكاً وامكاناتاً، قد التقطوا اللحظة وتعايشوا معها، مما وفر لهم في ما بعد كيانات ودول، اعطتهم حجماً اكبر من حجومهم، يوم كانت المنتفق لاعباً متميزاً في ساحة الفعل

ومن اقسى ازمان القسوة التي عاشتها المنتفق مع نفسها، حين امر-سعدون المنصور- باعدام مجموعة من شيوخ عشائر «ال بدور» يوم زاروا شيخهم بمناسبة العيد. ورغم ما قيل، بأنهم كانوا على نية

اغتيال ابنه-عجمي- الا ان تبعات الفعل اللاحق لاعتقالهم، كانت بتقديري سقطه غير مبرره، لان فعل القسوة مع الخصوم، قد يبرر، اما ان يستشري بين ابناء البيت الواحد، فتلك مصيبة لاتقف نتائجها عند لحظة حدوثها.

ورغم توسلات-عجمي- لوالده، بالعفو والصفح دون الحاجة للفعل العنيف، الا انه جوبه برد وشتيمة عنيفة من والده-سعدون المنصور- الذي كانت ردود افعاله عن تلك الحادثة متهورة ولاتنم عن عقل قيادي، خاصة وان «ال بدور» اشجع مقاتليه واخلصهم في كل مواقعه المتعددة. لكن الشيطان ركب رأس-سعدون- الذي اصر على رايه الذي نفذ بدون رضا رجال المنتفق او شيوخها، مما طعن «الديره» بأهم مواقع قوتها، الا وهو النسيج الاجتماعي الواحد، الذي بات فيه الواحد يتشكك ويتحسب من اهله قبل اعدائه، مما افقد المنتفق ليس صواب التوجه، بل صواب الطريق ايضاً.

وقد اشعلت هذه الحادثة، الموروث الشعبي، الذي كان حاضراً لتسجيل وقائعها، قيلت فيه كثير من الاشعار، نلتقط منها صورتين، الاولى ما قاله-سعدون-

خمسة ذبحته بسيفنــه　　　　وخمسة وراهم يلحكون

ابعون الله والرســول　　　　الحك على عمرك يانون

فرد عليه شاعر «ال بدور» نون الحطاب بالقول:

خمسة ذبحتوا بسيفكم خطاركم بعد الســـلام

بالطيف راسي تكضبه متوسط بغوش العمـام

ما حدث، كان واقعه اليمة وقاسية وغير مبررة، طعنت المنتفق في ادق مفاصل قوتها، وكانت احد الاسباب التي تجمعت لتغيب المنتفق ورجالها الحقيقيين عن تصدر الاحداث، ومكنت آخرين، وتحت ظروف ومسببات عديدة في ان يكونوا رجال الصفوة المقدمين.

مصادر الحكاية:

١. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

ومكول دخيل...

لكثرة مشاكسات وتمردات-سعدون المنصور- على الدولة العثمانية، وقدرته على احداث الاضرار بسياساتها في العراق، بما يتعبها، فقد ايقنت ان القضاء عليه سيجنبها الكثير من المشاكل خاصة في ديرة» المنتفق. ولان قدرتها على هزيمته في الميدان، او في الامساك به، غير متوفرين، فقد لجأت ان تسلك الطريق الذي يمهد لها ذلك من خلال احد اصدقائه، ممن يطمئن لهم ويمنحهم ثقته.

ولم يكن ذلك الصديق غير «طالب النقيب» الذي قدمته السلطة العثمانية كطعم، لنوايا-سعدون- وهذا ما دفعه ان يزوره في البصرة، بعد ان علم بعودته من استنبول كنائب للبصرة في مجلس المبعوثان. فاحب ان يتعرف منه على اخر اخبار العاصمة وتقديراتها السياسية، وكذلك للسلام عليه. وفي منتصف تموز ١٩١١م، كانت اقدام-سعدون- تطأ البصرة لزيارة صديقه-طالب- لكن الرجل، رغم كل القابه ومناصبه، ظل مسكوناً بلعب الدور الاول الذي تمكن من خلاله شق الطريق لنفسه، ودفعه قدماً في سلم الثروة والسلطة والجاه، الا

وهو «قاطع طريق» حين هندس مع والي البصرة، طريقة القاء القبض على صديقه-سعدون- وبعد لقائهما، الح- النقيب- على صديقه ان يزورا معاً الوالي، الذي ينتظرهما على المركب «مسعودي» العائم في نهر شط العرب، وما كادت اقدام-سعدون- تلج المركب، حتى طوق واشعر انه معتقل. ولان الوالي يخشى من عواقب هذا الاعتقال، فقد اسرع بتسفير-سعدون- نحو بغداد باليوم نفسه. وقد كانت هذه الواقعة الغادرة التي حصلت لسعدون، وهو في ضيافة صديقه، فرصنه واضحة، خدم فيها مصالحه ومصالح الدولة العثمانية ومصالح مبارك الصباح، هادفاً من ذلك، ان يطرح نفسه، البديل المعادل لسعدون والمنتفق، بعد ان رتب مع الوالي كميناً معداً اعداداً جيداً. ولم تغفر المنتفق للنقيب فعلته الغادرة، ولذلك حاصرته في البصرة مرتين عامي ١٩١٣و١٩١٤، لم ينقذه منهما، الا تدخل الدولة العثمانية، التي مدت له سبل النجاة، ومع ذلك فأنه لاحقاً غدر بها كعادته، وقد اوضحنا ذلك في حكاية «النقيب المرعوب».

وعند وصول-سعدون المنصور- لبغداد، انزل في قلعة المدفعية، ولان السلطات كانت لا تريد لنفسها اية مشاكل مضافة قد تتضاعف، فقد فكروا بابعاد-سعدون- نحو ولاية حلب في الشام لغرض محاكمته، بعد ان جهزوا حزمة من الاتهامات التي ساقوها ضده. ولانه ادرك مبكراً، ان موضوع ابعاده ومحاكمته في حلب، ليست الا شكلاً تخريجياً لنهاية القصة، فقد وعى انه لن يقدم للمحاكمة، انما سيقتل بشكل ما قبلها، ولان هذا اليقين قد استراب في وجدانه، فقد

كتب لابنه-عجمي- بيت «أبوذيه» يقول فيه:

حكمت الاه واليعني ولاعـــاد

وكسرى ما حكم مثلي ولاعــاد

العمر كوطر يبو مطشر[١] ولاعاد

ومكــول دخيل لو تنكلب بيــه

وحصل ما توقعه، حيث اعلن عن وفاته في كانون الاول ١٩١١م رغم ان كل الدلائل تشير الى انه مات مسموماً. ودفن في مقبرة حلب، وقد زرت حلب عام ٢٠٠٦ وبحثت كثيراً عن قبره، دون جدوى، واظن انه اندرس مع مرور الايام.

معاذ الله ان يدع الشـــهامــة

وان يؤثر على الموت السـلامة

فسعدون الشــموخ لواء مجد

يقــود المجـد للعليـا زمامـه

مصادر الحكاية:

١. وزارة الاعلام العراقية- م١- ص:٢٧٦،١٢٠،١١٩،٧٩.
٢. سليمان فيضي- ص:١٠٥
٣. حنا بطاطو- الكتاب الاول -ص:١٠٩

---

(١) المقصود به ابنه عجمي.

٤. ارندتي ويلسون- ص: ٦٠
٥. لونكريك- العراق الحديث...- ص:٢٢١
٦. عبد الجليل الطاهر- ص: ٨٠

7. Dickson- op.cit- p:557
8. (National Archives and Records service (N.A.R.S) Washington
9. N.A.R.S.R GNOM- 407 AM cons at Bag to AM-Amb at const Dec 7 1912.
10. Record- Group: 84.

بدر الرجال

لم تتعود المنتفق الا كونها ولادة للرجال الذين يتركون بصماتهم واضحة على الزمن الذي عاشوه، سواءاً بمواقفهم الجميلة ام بمأثوراتهم المتعددة و-بدر بن عجيل بن رميض بن سليمان بن ثنيان المالكي- واحد من اولئك الرجال الذين قدمتهم المنتفق في حقبة زمنية قاسية، لم تعط، نتيجة لظروف ومسببات عديدة، للرجال حقها، لكن بطلنا-بدر- تلاوى مع الظروف التي عاشتها المنتفق، ليترك آثاراً مازال الرجال يتحدثون بها لحد الآن. فيوم بان-بدر- كأحد اقطاب الرحى في المنتفق، كانت الاخيرة، تعيش جزرها التاريخي الذي مهد لسقوطها عام ١٨٨١م في معركة-الريس- حيث بدت «الديره» بعدها، اشبه بصحراء قاحلة، لا تتبنأ عن حياة فيها.

لذلك، ما ان تصدر-سعدون المنصور- الواجهة لاعادة بعث امارة المنتفق، الا وكان-بدر- احد اقطاب هذا المشروع، رأياً وقتالاً وسخاءاً وجهداً. فلم تكن هناك واقعة للمنتفق بين اعوام ١٨٩٥-١٩١٠، الا وكان-بدراً- محوراً لها، خاصة في مباشرته القتال بنفسه وعشيرته، التي تميزت بالشجاعة والاقدام، مما دفع الكثيرون ان

يطلقوا على «بني مالك» لقب «الخنازير» توصيفاً لاقدامهم وجرأتهم واستبسالهم في القتال، مما اكسب-المنتفق- جملة من الانتصارات التي ساهم بها بدر وبني مالك سوية. لكن حين شهدت المنتفق طيلة اعوام ١٩١٠-١٩١٤ ظاهرة الاقتتال الداخلي بين ابنائها نتيجة لتدخلات الدولة العثمانية في شؤونها في الحقبة الاخيرة من حياتها، تباعد-بدر- عن هذه المعمعة، لانه وجده انتحاراً ذاتياً، داعياً الجميع الى الابتعاد عن ممارسته.

وما ان اطلت طلائع المحتلين الانكليز في بداية الحرب العالمية الاولى ١٩١٤-١٩١٨، الا وكان-بدر الرميض- من ابرز المجاهدين دفاعاً عن العراق والاسلام. وشهدت سوح الشعيبة والناصرية، مآثراً رائعة لهذا الرجل الذي جند كل «بني مالك» مقاتلين ومجاهدين. ومن مواقفه التي تذكر في الشعيبة، انه تلاسن وبخشونة مع القائد العسكري التركي (العقيد: احمد اوراق) الذي طعن بقتالية رجال القبائل واعتبرها احد اسباب الفشل، فرد عليه-بدر- انه لولا حميتنا في الدفاع عن بيضة الاسلام، لمى تسنى لنا ان نراك. علماً ان الانكسار الذي حصل في المعركة الفاصلة بين الطرفين، جاء اولاً من رجال الجيش العثماني، وليس من رجال القبائل الذين كانوا، آخر المنسحبين.

وبعد انتهاء الحرب، بالنتائج المعروفة واحتلال العراق، سعى البريطانيون، بجهد مكثف الى استمالة وجوه المنتفق ومشايخهم، تسهيلاً لسياساتهم التي عبر عنها بصك «الانتداب». ورغم ان كثيرين،

قد لووا اعناقهم، استجابة لرغبة المحتل، الا ان-بدر الرميض- ابى ان يكون واحداً منهم. بل انه رفض بشكل قاطع، ان يهادن او يصالح او يطيع أي قائد انكليزي حتى وفاته عام ١٩٤٢. ويذكر في هذا الجانب، ان العقيد «دكسن Dickson» المسؤول السياسي للاحتلال في اراضي المنتفق، الح كثيراً في تنفيذ رغبته لرؤية هذا الشيخ الجليل، الذي امتنع عليه وعلى دولته. وبعد توسطات والحاح شديد من ذويه، وافق الشيخ-بدر- على لقاء المذكور، وهو اللقاء الذي تم تحت ظلال شجرة في منطقة صحراوية، ويشير دكسن في كتابه (الكويت وجاراتها) أن اللقاء كان ودياً، إذ استمع الشيخ بدر الى ما طلب منه، وهي المهادنة والاستسلام للقوات البريطانية، لكنه في النهاية رفض ذلك. وبعدها غاب هذا الشيخ في اهواره متباعداً عن البريطانيين ورجالهم، تاركاً لابنه «حسن» مسؤولية ادارة شؤون العائلة والعشيرة التي تستوجب مراجعات في دوائر الدولة الرسمية.

وبدر، من القلائل الذين يضرب بهم المثل في الكرم، باقراء الضيف والتفريج عن المحتاج واعانة الضعيف، لذلك لم يكن غريباً عليه وهو يخاطب ابنه حسن، بالقول:

حسن يبني تلكه الضيف حي بيه

وعسه زاد المخبي اسموم حي بيه

ياهو الاخذ مالــه وراح حي بيه

بخيت الحفظ عرضــه من الرديـه

ويزيد في هذا المعنى بالقول:

عودك دوم للامــوال ماصــر

ورانه باب تحت الحكم ماصر

ادور فحل بالغــراف ماصــر

يجاودني وســوي النوب عيـه

لقد ظل الرجل متمسكاً بأصالته وشرفه طيلة ايام حياته، فحين استدعى الجهاد رجالاً، كان احد البارزين في معارك الشعيبة، وحين طأطأ الكثيرون رؤوسهم للمحتل الانكليزي، تملقاً ورياءاً، تباعد، دون ان يسمح لنفسه بالتدحرج لما لا يليق، وحين يتلهف احداً لعون من الاخرين، كان اول من يبادر ويطيب خاطره. كان الرجل حالة فريدة في زمان سيء، ولذلك بث ألمه وخيباته واندحار مشروع المتفق، لروحه التي تدفقت شعراً جميلاً صاغتها نفس تطلعت حيث المعالي. فهل غريبة ان يقول فيه الشاعر:

لنا بــدر وليس لهم هــلال

فمثلك بدر فلتكن الرجال

فتى جمعت اليـه خصال مجد

تؤكدها على الدهر الفعال

مصادر الحكاية:

١. مذكرات برترام توماس في العراق ١٩١٨-١٩٢٠- ترجمة عبد الهادي فنجان- منشورات دار الثقافة بغداد ١٩٨٦- ص:٤-٦.
٢. ارندتي ويلسون- بلاد ما بين النهرين بين ولاءين- ج١- ص:١٤١.
٣. رسل برادون- حصار الكوت- ص:٣٧.
٤. فريق مزهر الفرعون-الحقائق الناصعة- ص:١٢٧.
٥. العميد الركن شكري محمود نديم-حرب العراق- ص:٣١.
6. Dickson-The Arab of the Desert- London 1959-p:559.

يا ابن سبهان...

بعد ان اعتقل الشيخ-سعدون المنصور- عام ١٩١١م بمؤامرة مشتركة، حاكها صديقه-طالب النقيب- بتدبير مشترك مع والي البصرة، والذي تم تسفيره الى حلب مروراً ببغداد، تمهيداً لمحاكمته التي لم تجر، بعد ان جرى قتله في تلك الديار. في تلك الفترة عاشت المنتفق جواً من البلبلة والانشقاقات المتعددة التي اضعفت حضورها وتماسكها، واشغلها بحروب داخلية كثيرة.

إزاء هذا الجو المفعم بالشك والريبة، مع غياب الرأس القيادي تحت قبضة وفي سجن الدولة «العلية»، فقد بدى ان ما حصل من احداث، قد مكن السلطات الحكومية من ادارة ازمة المنتفق بما يخدم سياساتها وينشط دورها. في تلك الاجواء، تصدر الشيخ-عجمي بن سعدون- قيادة المنتفق وهي تعيش جزراً انحدارياً، إزاء انشقاقات لا حدود لها في بنية المنتفق الداخلية، مما اضعف قدراته في لملمة الشظايا المتناثرة، مما اضطره لطلب العون من امير حائل لوقف هذا الانحدار.

وقد كان مبعوثه لامير حائل ابن عمه «يوسف العبد الله» الذي التقاه وزير الامير «ابن سبهان» الذي يعد من دهاة زمانه بخبرته الاجتماعية الطويلة بالرجال، حيث اراد اختبار رسول المنتفق الذي كان يتمتع بجمال وحسن قوام وطلعة بهيه. لذلك تجول معه في انحاء حائل، حتى وصلوا لنبع ماء، تتجمع عنده نساء حائل، واسمعه كلام تتلخص معانيه، بضرورة الكف عن الحروب والتمتع بما تبقى من العمر بالهدوء والاستقرار. وقد امن -يوسف- على كلام مضيفه، بل واخبره، انه سيعود لحائل بعد ايصال الرد للشيخ -عجمي- في ديار المنتفق.

حين نقل -ابن سبهان- القصة لامير حائل «سعود بن عبد العزيز الرشيد»، وقد أخبره موفد المنتفق بالعودة لدياره، مع التوصية، ان الامير سيرسل الرد في اقرب فرصة ممكنة. بعد ان عاد -يوسف- استبطأ -عجمي- ما طلبه من حائل، الامر الذي اضطره ان يسافر بنفسه الى -ابن الرشيد- الذي اكرم وفادته واحسن استقباله وقدم له من الهدايا الشيء الكثير، الا ان -عجمي- رفض ان يأخذ أي شيء، وحين طلب منه الافصاح عن طلباته، اختصرها بالقول «اريد منكم اطراد ساعة».

وفي اليوم الثاني لوجود -عجمي- في حائل، اخذه الوزير -ابن سبهان- للنزهة والترويح عن النفس، ومروا على نبع الماء الذي مر عليه ابن عمه -يوسف- والكثير من فتيات حائل متجمعات حوله، فخاطب الوزير، عجمي، «انظر ما تحوي حائل من جمال، فتعال

عش معنا واترك الترك والمنتفق والحروب...» فنظر-عجمي- في وجهه مستغراباً ما يسمع، ورد عليه «يا ابن سبهان، حالياً انا امرأة لاني اطلب المساعدة منكم، اما بقائي معكم فان في ديار المنتفق لسعة في معيشتي وسكناي...»

وحين نقلت هذه المحاورة لامير حائل، طلب من فوره تجهيز الجيش الذي قاده بنفسه اكراماً لعجمي وللمنتفق، وهو امر ساعد على اقرار السلم الاهلي بين عشائر المنتفق المختلفة، والتي مزقتها تدخلات الآخرين في شؤونهم الداخلية مما فتت من امكانات القوة التي كانوا يمتلكونها. وقد شد هذا الموقف امارتي المنتفق وحائل في حلف غير معلن وبصداقة دائمة ظلت مستمرة حتى اليوم بين ابناء شمر والمنتفق.

وكأني ارى شاعرنا، كان حاضراً في تلك اللحظة، حين يقول:

خلقنـــا للمعـــالي والابــــــاء

وليـــس النوم في حضن النساء

فراتيـــون عشق الارض فينـــا

ورثناهـــــا بسـيف الانبيــــاء

مصادر الحكاية:

١. النبهاني- ص:٤٥٠

٢. عباس العزاوي- ج٨- ص: ٢٣٦

٣. لغة العرب- المجلد الثاني- ص: ١٨٢

٤. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

هيا...

للنساء عبر كل حقب التاريخ، بصمات قد تراها واضحة في التصرف او السلوك او التربية، او في لحظة ما في زمن ما، بحيث تبدو تلك اللحظة او ذلك الموقف، اختزالاً لحياة طويلة مزدحمة بالسنين. ونساء المنتفق لم يتوانن، في مشاركة رجال المنتفق الحياة، بحلوها ومرها، معبرات في ذلك عن حضور متميز في تلك اللحظة الزمنية.

و«هيا» امرأة من «السبتي» احد حمائل السعدون، وزوجة لسعدون باشا، ذلك المتمرد الدائم للسلطة العثمانية، وأماً للمجاهد الكبير «عجمي باشا». «هيا» عاشت ظروف كل الازمنة القاسية التي كانت فيها زوجاً وفياً لسعدون باشا في حله وترحاله، وفي مشاكساته التي لا تنقطع حتى مع اهل بيته، تعاملت في حياتها، وهي تتطلع ان تكون خيمة المنتفق متسعة للجميع، مثلما كانت في ما مضى من الايام. لكن حين بدأت الانشقاقات تحفر لسطوتها عمقاً في حياة المنتفق، والتي كان احد اسبابها الرئيسة، قصور العقل القيادي للمنتفق والمتمثل بـ«سعدون باشا» في انجاز فن التعايش والتوافق مع احداث

العصر وحالة قبائله الراغبة بالتجديد، فقد باتت رؤية هلال المنتفق وهو ينحدر للمغيب، اشبه بالحتمية، خاصة بعد ان غابت لغة العقل وحضرت لغة القوة.

مع هذا الحضور للقوة، كانت لـ«هيا» قصتها، يوم ان حوصر ابنها «عجمي باشا» وهي معه في قلعة «المايعة» من بعض عشائر المنتفق، بعد ان تعمقت الخلافات، للحد الذي بات فيه استعمال السلاح بين المختلفين، هو الطريق للحسم، حيث لعبت دوراً تعبوياً متميزاً في ايقاظ معنويات ومشاعر المحاصرين، خاصة بعد ان استطاع- عجمي باشا- اختراق الحصار والذهاب لامارة حائل طلباً للمعونة. لكن «هيا» ظلت متماسكة مع كل الظروف القاسية التي عاشتها ايام الحصار، ولم تستسلم او تنكسر ارادتها، بل ظلت ادارة تعبوية هائلة، باشعارها واهازيجها التي ضاعت مع الايام...

وتمر الايام، و-هيا- تفاخر بما فعله-عجمي- في جهاده ضد الانكليز اثناء الحرب العالمية الاولى، مع عتبها الشديد ومخاصمتها لاخوته الآخرين، ممن لم يكملوا الطريق معه، بعد ان مالئوا الانكليز وقبلوا عطاياهم مع اسفها وتبرمها على ما آلت اليه النتائج النهائية لحركة الجهاد ومعارك المتخاصمين، وبما لا يتكافأ وحقيقة الجهد الذي بذل فيها والآمال التي كانت معقودة بلواءها، حتى يختارها الله بجواره بعد عمر يقارب التسعين، قضته في لجة الاحداث العاصفة. وقد حزن الجميع لموتها، لشجاعتها وجدها وتماسكها، رغم تبدلات الزمن التي مرت بها، وقد ندبتها احدى القريبات، وهي الصادقة في ما

تقول:

يحبوبة يا يمـــة وين تردين
وديـــلي خبر لمن توصـلين
امك يعجمي زين النساوين
واصابعهه جكاير للسلاطين

ولا اجد ما قاله شاعرنا فيها كثيراً، وهو يرمز لكل نساء المنتفق:

أبت ام الرجـــال بـــأن تكنى
بأي اســـم تنـادى أي معنى
فيـــابنت الكـــرام ونعم فخر
بـــأن فتـــاة هذا العصر منا

مصادر الحكاية:

١. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠)
٢. مركز المخطوطات- رقم الملف (١٧٦٥٢).

النقيب المرعوب

في تموز ١٩١١م، وقع الشيخ «سعدون المنصور» في الفخ المنصوب له في البصرة والذي هندس معماريته صديقه-طالب النقيب- بالتنسيق مع والي البصرة وقائد حاميتها العسكرية، حيث جرى اعتقاله وارساله في نفس اليوم الى بغداد، على المركب (مسعودي) تمهيداً لمحاكمته، حيث انزل في قلعة المدفعية، لكن في ٢٠آب ١٩١١م تم تسفيره الى حلب لمثولة امام المحكمة العسكرية هناك. الا انه لم يحاكم حتى وفاته-اغتياله- في اوائل كانون الاول من العام ذاته.

وقد عدّت المنتفق اغتيال مقدمها وبالطريقة التي تمت، منهج غدر لا يتحلى بالشهامة من قبل-طالب النقيب- الذي استعملته الدولة العثمانية، كطعم لاعتقال-سعدون- الذي كان يعده صديقه الذي لا يمكن ان يخونه او يغدر به. لكن ما حصل كان بعيداً عن نبل الشهامة ووفاء الاصدقاء، بل هو احد افعال قطاع الطرق ولصوصيتها. ولذلك كان حنق المنتفق على-النقيب- كبيراً، حيث سيطرت على مشاعرهم موضوعة الثأر لمقدمهم والاقتصاص من الغادرين به، وهذا ما دفعهم بالتوجه نحو البصرة في

تشرين الثاني ١٩١٣م، لترجمة تلك المشاعر لافعال.

حين طوق جيش المنتفق البصرة بقيادة «عجمي باشا» فانه اعلن ان هدفه الوحيد من هذا التدبير يتلخص بالحصول على النقيب حياً او ميتاً، مما دفع الاخير تحت حكم الاضطرار والخوف الى الالتجاء للدولة العثمانية لرد هذه القوة الكبيرة المتوجهة نحوه، فتدخلت السلطات العثمانية ممثلةً بوالي العراق بزخم كبير، ملتمسة من- عجمي باشا- العودة، خوفاً من استغلال الاحداث من قبل الانكليز، وكانت رسائلها الودية له ذات ايقاع يومي متواصل. ويشير القنصل الامريكي في المنطقة لهذه الاحداث، بأن النقيب، وتحت هاجس الخوف الذي تملكه وضع حارساً على كل نافذة وممر في بيته. وقد يكون ما قاله «عليوي السلمان» احد ابناء عشائر «المجره» عن تلك الحادثة، يوضح وضع النقيب بشكل ادق، حين «هوس» قائلاً:

يتختل يم حـــريم الزور مرعوب[١]

محمي معريـــن مصـــلخ بلا ثـــوب[٢]

يعرف بالمناشه ما يردهم طوب[٣]

اشلون اتسوي الشينة ووينك للمركاض[٤]

---

(١) المقصود انه مختبيء عند النساء العاملات في الحقول.

(٢) المقصود انه حين سماعة بتوجه جيش المنتفق نحوه، لم يتمكن من ليس ملابسه رعباً وخوفاً.

(٣) المقصود بالمناشه، نعار اهل المنتفق عموماً، ومفردها (منشه)

(٤) المقصود ان من يفعل الفعل السيء، ليس جديراً او مؤهلاً لخوض الحروب

وحين استجاب -عجمي باشا- لهذه الوساطات وانسحب من تطويق البصرة، فانه لم يستطع ان يتحكم في مشاعر اهل المنتفق الا اشهر قليلة، ازاء ما احاط بقلوبهم من غل جراء فعل -النقيب- بمقدمهم، وهذا ما دفعهم للتوجه نحو البصرة في مارس ١٩١٤م. ومن جديد احتمى المعني بوالي البصرة وفلاحي ابو الخصيب. وهذا ما دفع والي العراق ان يستعمل اساليب ودية مع -عجمي- والمنتفق لنزع فتيل الانفجار، مذكراً اياهم بالمخاطر التي تحيق بالدولة في هذا الظرف، مع استعداده لتفهم كل طلبات المنتفق ورغائبهم طالباً وبرجاء من السيد «عبد الكريم الفهد السعدون» التوسط بحكم ما لديه من صلات وقبول عند كليهما، وقد استجابا لهذا المسعى الكريم الذي دفع غائلة احداث كانت تنذر بعواصف هوجاء قادمة لا تستثني المنطقة من اعاصيرها. ومن جديد يكون مأثور «عليوي السلمان» ناطقاً عن صورة الاحداث، حيث يقول:

يتحرمس يم ابـــو توفيق مذلـــول[١]

ومدري اشلون حاله من يشوف الهول[٢]

بصرتنه عزيزه وهو مكانه الجول[٣]

وينه اليعرض للعليات اتكلط بالله تكلط[٤]

والمعارك.

(١) المقصود ان النقيب يتذلل بأبوتوفيق - عبد الكريم الفهد- بحثاً عن حل عما هو فيه.

(٢) المقصود لاندري كيف تكون حاله حين تشتد المنازلة.

(٣) ان البصرة تاريخياً تعود للمنتفق وليس للنقيب، الذي عاش فيها نهباً وتأمراً ولصوصية ومكانه خارجها.

(٤) المقصود: ان من يتطلع للعلى، عليه ان يتقدم الصفوف ولا يحتمي بالاخرين.

لكن النقيب كعادته نفض يديه من حليف الامس-الدولة العثمانية، ليوالي الغزاة الجدد-البريطانيين-الذين استوزروه وزيراً للداخلية في الوزارة الاولى للحكم الوطني في العراق بعد حصولهم على انتدابه. لكنه بدأ في مشاكستهم بعد وقت قصير بدافع الطمع في المناصب والجاه، لكنهم لم يصبروا عليه، بل اعتقلوه ونفوه الى جزيرة هنجام وابعدوه عن مسرح السياسة العراقية حتى وفاته عام ١٩٢٩م.

مصادر الحكاية:

١. سليمان فيضي- ص:١٠٥

٢. حنا بطاطو- ق١- ص:١٠٩

٣. ارندتي ويلسون- ص:٦٠

٤. لونكريك- العراق الحديث -ص:٢٢١.

٥. وزارة الثقافة والاعلام- م١- ص:١٢٠

٦. عبد الجليل الطاهر- ص:٨٧.

٧. خالد السعدون-ص:٢٦٣

٨. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠)

٩. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٨٦٧)

10. Dickson- P;557.

11. National Archives and Records service (N.A.R.S)- Washington Record-Dec 7 1912.



عبد الكريم بن فهد باشا بن علي بن ثامر السعدون

نبل وشهامة

حين شرعت القوات البريطانية في النزول على البر العراقي في مدينة الفاو في تشرين الثاني ١٩١٤م، مفتتحة مشروعها الاحتلالي للعراق، فقد هبت جميع مكونات الشعب العراقي لتدافع عن الوطن والدين. وقد لعب رجال الدين المسلمين دوراً فاعلاً ومؤثراً في هذا الجانب، بل ان بعضهم شارك في الجهاد واستشهد في ارض المعركة، وكان ابرزهم العلامة (محمد سعيد الحبوبي).

وقد كان للمنتفق دور ريادي ومتميز في معارك الجهاد، سجلت فيها اياماً من اروع ايامها. فيوم اكتمل حشد المجاهدين عند ادغال «الشعيبة» بعدد (١٨,٠٠٠) الف مقاتل، كان نصفهم تحديداً من رجال المنتفق، تحت قيادة المجاهد «عجمي باشا السعدون» الذي غدى «اسمه مضرب الامثال في الشجاعة والشهامة، وحيكت حول اعماله اساطير كثيرة... فقد كان يهاجم المفارز البريطانية ولاسيما الخيالة منها، فينقض عليها على رأس فرسانه المنتفكين المنتشرين بمسافات متباعدة، لتجنب تأثير نار المدافع البريطانية، كان هؤلاء

الفرسان يتجمعون في لحظة الهجوم باشارة من عجمي فيهجمون بسرعة البرق الخاطف فيوقعون بالبريطانيين خسائر فادحة، ثم يقودهم عجمي بسرعة مذهلة الى حيث تبتعلهم الصحراء».

وقد اضطلعت المنتفق في مواصلة حرب الجهاد ضد الغزاة لوحدها، دون بقية المجاهدين الذين عادوا لديارهم بعد انتهاء معركة الشعيبة. لذلك فالمنتفق دون الآخرين، لم تهن قواها او تصادر ارادتها او يشترى رجالها، بل ظلت متمسكة بخيار الجهاد حتى وقف اطلاق النار في ١١/ ١١/ ١٩١٨. وبهذا يسجل لها مأثرة عالية تستحقها بجدارة. ازاء ذلك قدر الانكليز- وكان تقديرهم صحيحاً- ان ميل الشيخ-عجمي- لهم سيعني القضاء على حركة الجهاد، لذلك بادر السير «برسي كوكس» في ٣٠/ ١/ ١٩١٥، وطلب عقد اجتماع معه في الشعيبة، لكنه رفض. ثم كرر الطلب باستعداد-كوكس- للقاءه في أي مكان يختاره، لكن -عجمي السعدون- طلب بدلاً من تلك اللقاءات تعهد الانكليز باستقلال العراق، على ان يتم ذلك علناً.

وتحت الضغط الذي يشكله-وجود-عجمي باشا- على رأس المجاهدين وما يفعله من تأثير صاعق في نشاط الحملة البريطانية، كتب له-كوكس- تعهداً جاء فيه «الى شيخ العرب الامير السعدوني عجمي-نبارك النسب السعدوني الهاشمي في الجزيرة العربية بشجاعة ابائكم واخوانكم، ونقدر مواقفكم مع الاتراك عليكم كأمير عربي، ونود ان نعلمكم ان الشيخ مبارك امير الكويت وعبد العزيز امير في ارضه، وتخلو عن الاتراك. واننا نعرض عليكم اميراً على ارضك.

لا تضيع الفرصة على اهلكم يا شجاع. نقدر فيك الموقف ونعرض عليك لانك احق من غيرك» الا ان -عجمي- احتقر تلك العروض واهملها، لذلك لم يذره بعد ميله الى الاتراك الولاء لهم، لان امثاله من الرجال لا تعوزهم العزة فيما خلا داخل بلادهم.

وقال الشاعر فراج بن بويتل المطيري في مدح عجمي باشا السعدون:

يا اللــه ياقــادر ولا انت بمقــدور
يا فــارض غير الصــلاة الصيـامي
عجمي لعز الراس ما طــاوع الشور
شيـخ لشيخان القبايـــل لطــامي
عجمي لحالــه عن ثمانـين طابــور
يضرب بحد السيف والموت حامي
عجمي اللي كالوا هل للخيل حاذور
شيـــخ وره الشيخان بالفعــل زامي

وتصف «المس بيل» تمسكه بخصلة الوفاء والابتعاد عن الغدر، مع استمراره في محاربة الغزاة الانكليز، بأنه «لم يترك لنا شكاً حول الطريق الذي عاهد نفسه ان يسير فيها كالرمح الطليق محافظاً على هيبته وجلال قدره» والسبب في ذلك، انه لم يرغب بشراء اللحظة مهما كانت مغريه، على حساب دينه ووطنه وشهامته وكل ما يتصف به، وهذا ما اعطاه مكانة كبيرة في سفر التاريخ. ولم يكن شاعرنا مبالغاً، حين يقول فيه:

يســـاومون اميــــراً في امارتـــــه
السيف سلطانـــه والحاكـــم اللـــه
به سيكبر حجم الارض لو صغرت
وســـوف تشرق ملئ النخل عينـــاه

مصادر الحكاية:

١. عبد الرحمن البزاز- ص:٦٧
٢. المس بيل- ص: ١٢٢،٨٦،٨٤،٧٧،١٢،١١،٨،٦.
٣. ارندتي ويلسون- ص:١٢١،١٢٠،٦٣،٦٢، ١٤١،١٣٣.
٤. د.علي الوردي-لمحات- ج٤-ص:١٤٥،١٧٦،١٧٥.
٥. مكي شبيكة- ص:١٢٣
٦. العميد الركن شكري محمود نديم- ص:٣٣،٣١.
٧. عبد العزيز القصاب- ص:١٤٠،١١٨
٨. رسل براون- ص:٣٧.
٩. النبهاني- ص:٤٧٥، ٤٧٦.
١٠. علي جودت الايوبي- ص: ٣٥.
١١. ديوان العوني الشعري «مصور»
١٢. اوراق ووثائق شخصية عائدة للمؤلف.



رئيس وزراء العراق
عبد المحسن بن فهد باشا السعدون 1922



عجمي باشا ابن سعدون باشا السعدون
تركيا 1945 م

العوني

من أشهر شعراء البادية الذين يشار لهم بالبنان الشاعر والفارس (محمد عبد الله العوني) الذي تفتحت قريحته الشعرية بمديات واسعة، بعد أن جرى صقلها وتحسينها في بادية المنتفق، جراء رفقته الطويلة لأمراءها وأهلها. وقد كانت شاعريته في محيطه الجغرافي كبيرة ومحط رصد واهتمام من الجميع، ولذلك ما زالت إلى اليوم قصائده حية عند أغلب أبناء الجزيرو وبواديها جراء ما اتصفت به من بلاغة شعرية في الوصف وفي المفردة وفي الموضوع.

وقد زامل - العوني - شيوخ المنتفق (سعدون المنصور وعجمي باشا السعدون) طوال مدة وجودهما، وقال فيهما الكثير من الشعر، وشارك في الكثير من معاركهما وغزواتهما معبرا بذلك عن شجاعة فائقة تذكرنا بالفرسان من الشعراء في الحقب الماضية ممن جمعوا الشعر والفروسية. وكان اعجابه بالشيخ عجمي كبيرا إذ قال فيه:

وان عـــد بالدنيا شجـــاع واحـــد

اشارت وشـــامت لعجمي الطوايف

ولا طاب له يوم على غير سروجها

الا على وجنـــاً تبـــوح التنـــايف

تارة يذود الخيـــل عن ماكف لهـــا

وتـــارة يدير بالرمـــــاة الظرايـــف

ولو كثروا الشيـــخان ما هم مثـــله

ولو جـــابت الخفرات ماله وصايف

وظل العوني ملاصقا لعجمي باشا طوال معاركه ايام الجهاد التي ابتدأت منذ معركة الشعيبة عام ١٩١٥، ولأن موازين الفعل العسكري مالت للبريطانيين، الأمر الذي اضطر - عجمي - الى الانسحاب مع الجيش العثماني، وقد صادفهم في اواخر ايام المعارك موقفا جديرا بالتسجيل، ملخصه: انه لم يبق مع الشيخ عجمي غير اربعين مقاتلا من الرجال، وكان - العوني - أحدهم ولأن طريق الانسحاب يوجب عليهم المرور بأراضي أحدى القبائل التي أعطت ولائها للبريطانيين فقد خاطبهم - عجمي - بعد أن قدر خطورة الحالة « اني أفضل أن اقتل على يد اكفائي من البدو، ولا أن يقتلني غيرهم، واني أرخصكم جميعا أن ترجعوا الى أهلكم، وأذهب لوحدي ». فانبرى له - العوني - قائلا « أنا أذهب معك ولا أفارقك وأرخص للجماعة بالعودة». وعند ذلك قال مقاتلي عجمي « كيف نرجع لديرة المنتفق ونتركك وحدك، فإما أن نموت معك أو نحيا معك ».

ولأن النتائج انتهت بالشكل المعروف لها، ولصالح البريطانيين ومعسكرهم الداخلي والخارجي، فقد رحل - عجمي باشا - مع

القوات العثمانية نحو الاناضول وانقطعت اخباره عن ابناء (الديرة). وتبددت كثير من الجهود والتجمعات التي استطاع البريطانيون تفتيتها. لكن في لحظة شجن مشحونة بالعواطف استذكر – العوني – وهو جليس في أحد أسواق مدينة (حائل) صديقه القديم – عجمي – بعد أن سمع حنين ناقة على حوارها الذبيح، فقال:

الفـــاطر الزركة ترزم مع السـوك

حنينـــها أودع بكلبي هوايـــــا

تبـــجي ولدها فاركـه عاكها عوك

وانه ابجي الصنديد ذيب السرايا

مدري حدر والا كعد او نهج فوك

او ويـــن تدوي به ربيـــع الهفايا

وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى، ارتحل – العوني – لحائل مجاورا امراءها واهلها طوال وجودها. وقال فيهم من الشعر الجميل الشيء الكثير وباستحقاقهم. واذا كان من تسجيل لرحلة العوني الحياتية في المنتفق، فانها كانت رحلة شعر وشجاعة وجرأة وقتال، أعطت للشعر النبطي الجيد من أحلى القصائد والمعاني، والتي ما زالت تستدعى وتستذكر عند الكثيرين ممن يهتمون بهذا النوع من الشعر، كما ان هذه القصائد مقرونة بفعل حياتي مباشر مما أعطاها حرارة الصدق والتعبير، وجعلها حية رغم تقادم السنين.

مصادر الحكاية:

١. ديوان الشاعر محمد عبد الله العوني
٢. مركز المخطوطات – رقم الملف ١٧٦٥٢.

عزاء الاستحقاق

من تقاليد المنتفق التي حرصت عليها دائماً، اقامتها فاتحة او عزاءاً يمتد لسبعة أيام في حالة وفاة احداً من رموزها او فرسانها. وهذا التقليد مازال لليوم عامراً، في عماير المنتفق رغم ان المدينة الحديثة، تمكنت من التقاليد، بحيث حصرت مجلس الفاتحة بثلاثة أيام لاغير. لكن اهل المنتفق لليوم، يظلون يتقبلون العزاء بفقيدهم لمدة سبعة أيام، حتى وان لم تتخللها المظاهر الاحتفالية التي كانت عليها الفاتحة في الايام الثلاثة الاولى.

والفاتحة في عرف التقاليد العربية، هي تكريم للمتوفى واشعار اصدقائه ومعارفه بموته. واهل المنتفق عموماً، يسرفون في البذخ في هذه المناسبة ومناسبة الزواج ايضاً، وان كانوا يعطون للاولى اهمية اكثر من مناسبة الزواج، لاعتباراتها الاجتماعية والانسانية، لكون ان هناك الكثير من العشائر والقبائل ستحضر هذه المناسبة لالزاميتها الاجتماعية، الامر الذي يتطلب اظهار كل الامكانات التي تليق بالضيوف وقدومهم.

كما ان مجالس الفاتحة، تستغل كمناسبة من قبل الجميع لاظهار المودة ومشاركة الآخرين احزانهم على من فقدوه، حتى مع العشائر والقبائل المتخاصمة مع بعضها، لان حضور الآخرين تكرم وفضل منهم على اهل الفقيد وعشيرته. وهذا الامر كانت المنتفق توليه اهتمامها الشديد، لانتشار ابناء المنتفق في مساحة جغرافية واسعة في العراق والجزيرة العربية. والمنتفق لم تقم بنصب مجلساً للفاتحة او للعزاء لاحد من خارج ابناءها، الا ثلاث مرات: اولهما: اثناء امارة الشيخ-فهد باشا العلي- حين توفى الامير «فيصل بن تركي ال سعود» عام ١٨٦٥م، ولم اقف على السبب الذي دعى المنتفق واميرها لاقامة ذلك العزاء ومجلساً للفاتحة!! هل هو لصداقة بينهما، ام محض اعجاب متبادل، ام لشيء آخر. ومما احفظه مما كان يردد اثناء ذلك العزاء، تكريماً للامير-فيصل- والذي سمعته من عجائز السعدون، ووجدته مذكوراً في مخطوطة «امثال البادية»، القول:

عكبك يا عجيـــد الكـوم دنيانـــا اظلمت للـدوم

عكبـــك ظلمت دنيـــاي ابو تركي زلال المـــاي

وسفه على الجره والجاي بعدك ما نشـــوف النوم...

وثانيهما: اثناء امارة-ناصر باشا الاشقر- تكريماً للفارس- عبد الكريم الجربا-، الذي سلمه الاشقر للدولة التي اعدمته بحضور شقيقه-فرحان باشا الجربا- والتي تناولنا وقائعها في حكاية «عبد الكريم الجربا». وأظن ان هذه الفاتحة اقيمت لسببين: الاول: فروسية

عبد الكريم الجربا واعجاب اهل المنتفق بشجاعته، الامر الذي يستوجب تكريمه، والثاني: رغبة الاشقر في تلطيف تصرفه الذي دفعه لتسليم عبد الكريم للدولة التي انزلت به اقصى العقوبات، حيث اراد ان يعبر عن اسفه للنهاية المفجعة التي لحقت به. ومازال اهل المنتفق يرددون بعض اللوازم الشعرية التي اصبحت اشبه بالامثال الشائعة، حين يمر ذكر-عبد الكريم الجربا-، ومنها:

فارس ابـــد ما ينـــهاب　　　للشيـــلة اهو جـــلاب

كريـــم فـــارس الفرسان　　　لو شـــدن تراجيـــهـــه

والمرة الثالثة التي اقامت المنتفق عزاءاً وفاتحة كانت للعلامة والمجاهد الكبير «محمد سعيد الحبوبي» احد ابرز رجال الدين الذين انخرطوا في الجهاد ضد الغزاة الانكليز مقاتلاً ومحفزاً وممولاً، والذي وافته المنية في الناصرية بعد معركة الشعيبة عام ١٩١٥، بأقل من شهر. وقد عزى البعض هذه الوفاة المبكرة لهذا المجاهد الجليل- للكمد الذي دخل قلبه جراء نتيجة المعركة، وانسحاب كثير من الوجوه القبلية من الاستمرارية في الجهاد. وقد شيعت المنتفق هذا المجاهد في مشهد جليل ومعبر في عرضة عسكرية وجهادية يتقدمهم فيها-عجمي باشا السعدون- حتى اطراف مدينة «البطحه» قيلت فيها الكثير من الاهازيج التي مجدت هذا المجاهد وتاريخه ونهايته الجهادية المتميزة.

ويصف شاعرنا مثل هذه المواقف بالقول:

قــــدر الرجال اذا اردت بلاءهم

عنـد الفواتح يعرفون ويعرف

غطت ضياء الشمس راية (وارد)

لما غدت فوق الكرام ترفرف

هــذا مضيف المجد نام بظلــه

كـل الــذين بذكرهم نتشرف

مصادر الحكاية:

١. د.علي الوردي-لمحات- ج٤-ص:١٤٥.
٢. العميد الركن شكري محمود نديم- ص:٣١
٣. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠)
٤. مركز المخطوطات- رقم الملف (١٧٦٥٢)

اخو بدهه

كان جميع ابناء المنتفق يطمحون ان يرفعوا علم المنتفق «وارد» اثناء حروبهم، وكان سعيد الحظ عندهم من تناط به هذه المهمة، رغم ما فيها من خطر جسيم على من يتولاها، لان من يحمله ليس شخصاً عادياً. وكان لايعطى هذا العلم، الا للشخص الشجاع والمقدام الذي يقرر احياناً مصير المعركة، وبشرط ان يكون «متنفقياً» وهو تقليد استنه الامير «سعدون الكبير». وهذا ما كان يحصل في معاركه المتعددة، رغم وجود قبائل وعشائر اخرى مساندة له في جهده العسكري. وكان يتولاه لفترات عديدة مقاتلين من «بني مالك» و«السبتي» لثقتهم ان من يحمله قادر على الايفاء بأمانة ما يحمل، وقد استشهد العديد من حامليه لهذا السبب، لان انكسار حامل الراية، قد يقرر انكسار الجيش كله.

لذلك فقد كانت لحامل الراية منزلة كبيرة عند اهل المنتفق، بل كان احد مقدميها اجتماعياً وعسكرياً، وكان الشباب ممن تستهويهم مغامرات الحروب واهوالها، اكثر الناس قرباً لحامل الراية، وهذا ما

يعطيه عزيمة اكثر واندفاعاً اقوى، بما ينشط همة المقاتلين الآخرين.

وقد كان آخر من حمل «وارد» هو «ابراهيم اخو بدهه» والمذكور مطيري ولد وعاش وتزوج في المنتفق، حتى مماته في سبعينيات القرن الماضي. ومن اشهر ايامه معركة المنتفق ضد «ابن الرشيد» عام ١٨٩٩م في الخميسيه، يوم كاد امير حائل ان يهزمهم، لكن ثبات حامل الراية وتحريضه وشجاعته وقتاله، مكنته والجميع من الانتصار. وكذلك موقفه يوم معركة «هديه» عام ١٩١٠م، يوم طارد-اخو بدهه- خصومه الذين هربوا من ساحة المعركة، بعد ان اكتووا بفروسية وبسالة لم يألفوها من قبل. كذلك كان يومه مشهوراً مع-عجمي باشا- في معركة «الشعيبة» عام ١٩١٥م، وهم يواجهون الغزاة الانكليز، حين استحضر كل اشعار الحماس والنخوة والتحريض واستذكار البطولات في بث العزيمة والصمود في فصائل المجاهدين. ويروى عنه، انه كان يصول احياناً على معسكر الاعداء، بلا سلاح لبث العزيمة والحماس عند الآخرين.

لقد كانت شجاعة-اخو بدهه- امراً معروفاً عند الجميع، لكنه كان قبل اية معركة، يطوف على معسكر المنتفق، طالباً منهم ان متى ما رأوه يلتفت للخلف او يتردد او تصيبه رعشه، فانهم في حل من أي التزام، وعليهم قتله واخذ الراية. لكن ذلك لم يحدث ابداً، رغم قساوة الايام والمعارك التي كان فيها- اخو بدهه- في طليعة المقتحمين. بل العكس، كان ما يحدث، حين تراه محرضاً وناخياً الجميع في مواصلة الصولة والاقتحام والتي يكون هو طليعة فرسانها. كان-اخو بدهه-

ومضه اخيرة من ومضات المنتفق، حتى وان كانت ايامها شاحبة. وجميل ان يستحضر الشاعر «هاشم حاشوش» هذه الصورة في شبيهاتها في ظرف زماني آخر، ليقول:

اخي يا ليث يا ضـــرغام يا صـــل رغم بعـــد المدى لعداه يا صل

يا ليث التهابـــه اليـــوث ياصـــل يا فـــرج الـــوغى لو كطع فيـــه

وبعد تأسيس الحكم الوطني، انخرط-اخو بدهه- في سلك الشرطة، حتى وصل لرتبة «مفوض/ درج اولى» وعاش بقية ايامه في الناصرية بعد عمر قارب القرن. ويصف شاعرنا اخا بدهه، ووقفاته الشجاعة بالقول:

يا اخـــا بدهه ان يرتجف قلمي لمثل شخصك حقاً يرجف القلم

يا حـــاملاً راية الاجداد خافقة هم الســـيوف وانت الثابت العلم

مصادر الحكاية:

١. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

الماطلي...

شكل اقتناء السلاح عند المنتفق، حاجة حياتيه ازاء المخاطر التي تحيط بهم، لما يفعله هذا السلاح من دور لدرء الاخطار المحيطة بهم. وقد تطور سلاحهم تبعاً لتقادم السنين ومستجدات العصر. ففي الفترة الاولى، كانت عموم القبائل، تصنع سلاحها بنفسها، او بواسطة الصناع ممن يجيدون هذه المهنة. وكانت اسلحة المنتفق المستعملة ولفترة طويلة، تتكون من (السيف، الرمح، الشلفة، عمود الحديد،...الخ) وكانت هذه الاسلحة بنت زمانها. لذلك حين تطور الشكل القتالي للجميع، بعد ان دخلت «البنادق» كعنصر اساسي في المعارك، فقد سايرت المنتفق الحالة وامتلكت هذه الاسلحة، رغم ان قوانين الدولة العثمانية آنذاك، كانت تحظر على غير الموظفين الحكوميين، امتلاك الاسلحة. لكن تنفيذ هذا الامر، كان خارج سلطة الدولة، لعدم احترامه من جميع القبائل.

وكانت اساليب، امتلاك هذه الاسلحة، تأتي من مصدرين: اولهما: الغنائم التي تحصل عليها القبائل اثناء المعارك فيما بينها، او فيما

بينها وبين الدولة العثمانية، وثانيهما: تهريب السلاح اليها عن طريق الخليج العربي، وتحديداً من «مسقط». ولم تتلكأ المنتفق في امتلاكها هذه الاسلحة، حين وجدتها ذات ضرورة قصوى لها، لما تفعله من اثر في المعارك، رغم ان فرسان المنتفق، كانوا يأنفون في البداية من استخدام الاسلحة النارية، لكونها برأيهم دليل عجز، ولا تعبر عن شجاعة حاملها، لذلك يقول فيها «غالب بن حمود العمر السعدون»:

فخر النشـــامى بالجنـــا[1] والسيف مصـقول الحديد

الماطلي[2] مابـــه فخر حتى امي تـــرمي من بعيـد

و«الماطلي» Martini Henri الذي كانت تقتنيه المنتفق ايام زهوها، كان مسايراً الى حد ما، لما هو موجود في سوق الاسلحة، رغم معرفتنا، انها كانت متأخرة بعض الشيء عما تمتلكه الدولة من اسلحة جديدة. والمنتفق واهلها، يقولون ان السلاح بالرجال وليس الرجال بالسلاح، ولذلك لا اجد غرابه حين «يهوس» «مونس الصالح» في الاحتفال الذي اقامه الانكليز في البصرة منتصف عام ١٩١٥، وحضره كبار رجال الدولة والعشائر والشيخ-خزعل- امير المحمرة، احتفاءاً بانتصاراتهم، مستهزءاً بالمناسبة وحضورها ومفاخراً بآخرين، حيث يقول:

(١) الجنا: تحريف "القنا" أي الرماح، وقد استعملت "الجنا" على عادة الناس في قلب القاف جيماً في بعض مواضع الكلام

(٢) الماطلي: الاسم الشعبي المتداول الذي يطلق على البندقية، واظنه مأخوذ من اسم أول نوع من البنادق الحديثة التي دخلت الاستعمال في المنتفق وهو (مارتيني هنري) فحرفوا المارتيني الى الماطلي

حرب دول يخزعل ماهي درنـكات[١]

ما عندك صبايا التكسر الجيمات[٢]

خلهه لابو مطشر[٣] خلفت الباشات

اســـأل قنصلهــه[٤] اشسوينــه

لذلك ظل الماطلي» دوماً رفيقاً للمتفق واهلها، رغم انه في اوقات كثيرة، لم يحسن استخدامه في الزمان والمكان المناسبيين. وشاعرنا ينحاز للسيف، ضد «الماطلي» حيث نسمعه يقول:

فخر الرجال السيف ليس الماطلي

فهو الهويــة للابي البـــــاسل

ان كنت تجهــل ما حقيقة سـحره

فأنظر لذي الفقار تعرف من علي

مصادر الحكاية:

١. يعقوب سركيس- مباحث عراقية-ق٢- ص:٣١١
٢. النبهاني- ص:٤٧٤
٣. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

(١) درنكات: اداة للايقاع تستعمل في الافراح وتمتلكها الفرق الفنية المتخصصة.
(٢) الجيمات: أي الاعداد الكبيرة من المقاتلين.
(٣) ابو مطشر: المقصود به عجمي باشا السعدون
(٤) قنصلهه: المقصود به السير برسي كوكس.

باهيزه

لم تتحقق بشكل فعلي حالة الجهاد التي اعلنها علماء المسلمين ودولتهم بوجه الغزو البريطاني بداية الحرب العالمية الاولى، الا على الساحة العراقية، في حين ظلت جميع جبهات المسلمين الاخرى، تراوح في انشطة لا تتعدى التنديد بالمحتل والدعاء بالنصر للمدافعين. وهذا التحقق، سحب معه، جملة من التضحيات بالرجال والامكانات من اهل العراق، نفذوا به ما مرجوا منهم في الدفاع عن بيضة الاسلام.

ومعركة «باهيزه» احد هذه المآثر في سفر التاريخ. فيما اندفعت طوابير الغزو الانكليزي على ضفاف دجلة، حتى وصلت الى مشارف مدينة «المدائن» تمكن الجيش العثماني وبجهد ومساعدة قيادية المانية، من رد هذه القوات، حتى مدينة «الكوت» التي حوصرت فيها القوات الغازية. وقد ارسل الانكليز وبمحاذاة نهر دجلة جملة من التعزيزات لانجاد هذه القوة، الا انها جميعاً فشلت في تحقيق التماس مع القوات المحاصرة، عند ذلك جرب الانكليز ان يسلكوا طريقاً أخرى، وهو الطريق الصاعد بمحاذاة نهر «الغراف» وصولاً لمدينة

الكوت لفك الحصار عن قوات الجنرال «طاوزند» التي كانت مهددة بالاستسلام.

بعد ان جهز الانكليز قواتهم، انطلقوا من «الناصرية» شمالاً باتجاه مدينة الكوت، ولان مرور هذه القوات سيخترق اراضي عشائر «خفاجه» و«الازيرج» المتفقية الرافضة لهذا الاحتلال والمعادية لتوجهاته، فقد بات الصدام حتمياً، خاصة وان معارك الشعيبة وصداها، ما زالت طريه في الذهن، عززتها توجيهات رجال وعلماء الدين بضرورة الاستماته بوجه هذه القوات ودحرها. وحدثت الواقعة التي كانت دموية وشرسه للغاية، بحيث استخدم الطرفان السلاح الابيض في قتالهما بعد ان التحم المتقاتلين. ورغم كل الفوارق في القدرات التسليحية والكثافة النارية التي تميل لصالح الانكليز، فقد استطاعت «خفاجه» و«الازيرج» ان تجبر الانكليز على شرب العلقم، بعد ان افنوا غالبية قواتهم المتجهة لانقاذ-طاوزند- وجنوده، بحيث باتت هي بأمس الحاجة لمساعدتها على انقاذ ما يمكن انقاذه من قواتها، التي ارسلت لفك الحصار عن قوات انكليزية محاصرة. وقد عاد من هذه القوات التي صممت للانقاذ والمساعدة، افراد قلائل خطتهم يد الموت في المعركة التي سميت «باهيزه».

لقد كان نصر-باهيزه- كبيراً في معانيه الجهادية والانسانية، لذلك قال مهوال المنتفق، متفاخراً بحجم هذا الانتصار وما تحقق فيه) شرناها وعيت باهيزه[1] الامر الذي انهى وللابد، كل المحاولات الانكليزية

---

(١) باهيزه: المنطقة التي جرت فيها وقائع المعركة، وتقع على مشارف ناحية الاصلاح

لمرور قواتهم عبر حوض نهر الغراف. كما ان هذا النصر، وفر للقوات العثمانية المزيد من الوقت لتضييق الخناق حول القوات المحاصرة، والتي استسلمت في ما بعد في مشهد تاريخي لا ينسى، لعب فيه مجاهدوا العراق دوراً اساسياً في تحقيقه. وكأن شاعرنا كان حاضراً يوم المنزلة، حيث يقول فيها:

ابت بـــاهيزة وابى لـــواهـــا

بأن يلج الخطوب دم سواها

اتحـــلم ان يمر الغزاة فيهـــا

ونخـــلك ثم دجله والداهـــا

مصادر الحكاية:

١. د.علي الوردي- ص:١١٨.
٢. د.خالد السعدون- ص:٤٠٤.
٣. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

شمال مدينة الناصرية- ومعنى القول: اخذنا رأي المنطقة في مرور الانكليز فرفضت ذلك الرأي.

سقف المنتفقي

عمائر المنتفق الثلاثة «بنو مالك، الاجود، بنو سعيد» وشيوخهم من ال سعدون، مضارب خير ووئام وعون، وللجميع، لكن تلك المضارب تشتعل ناراً، حين يكون مضيف احد، اياً كان، مكاناً للخديعة والغدر والخيانة. وفي هذا الجانب، فقد عانى-رجال المنتفق، الكثير من اشكالية الضيافة في المضايف، او دواوين الدولة الرسمية، حين جرى الغدر بهم، وتحديداً من قبل الدولة العثمانية. كما ان اهل المنتفق عموماً، لديهم حساسية زائدة في التعامل بشكل مباشر مع الدولة وسلطاتها، لانه لم يمر عقد من حياة المنتفق، الا وكانت لهم واقعة مع الدولة، مما جعلهم في حذر دائم منها، وهذا الامر، انعكس، حتى على محلات سكناهم، التي باتت دوماً منازل بدوية، تتجه للصحراء، وتبتعد قدر ما تمكنت من التوطن، الذي قدرته انه قيد على حريتهم وطريقة حياتهم.

هذه الحساسية، لم تكن وليدة زمن متاخر في حياة المنتفق، بل كانت سوابقها حاضرة في ذهن الجميع، منذ ان اعتقل الامير-

سعدون الكبير- في سراي الحكومة العثمانية اثناء وجوده في الحسكة «الديوانية» عام ١٧٣٨م، لغرض مقابلة الوالي وكهيته، لكن بدلاً من ان تنتهي المقابلة على خير، اخذ الامير المذكور موقوفاً لبغداد، في حين كرم شيوخ العشائر والقبائل الاخرون. كذلك حادثة الغدر بـ- سعدون المنصور- عام ١٩١١م بمؤامرة توافق على تدبيرها-طالب النقيب- ووالي البصرة في حينه، مما ادى الى اعتقاله، ومن ثم موته (قتله) لاحقاً. مثل هذه الحوادث ولدت انطباعاً عند اهل المنتفق، بأن الدولة حتى وان اشعرتهم بالرضا والقبول، لكنها في الاخير ستغدر بهم.

إزاء ذلك اطلقت العامة المثل الشعبي القائل «ما يخش جوه سكف منتفجي». والمراد به صورتين في آن واحد، الاولى: متعلقة بكون اغلب عشائر المنتفق يسكنون بيوت الشعر المفتوحة والمواجهة للمتاهات غير المحدودة في الصحراء، واي سقف فأنه يحد من حريتهم ويؤثر في مزاجهم البدوي، لانهم يؤثرون الانطلاق والتفسح في الارض، والثانية: ان المنتفقي لشدة حذره من الحكام وتوقعه الغدر والايقاع به، فانه يجد في السقوف، افخاخاً للاستدراج، خاصة اذا كان سراي الحكومة.

إزاء ذلك، علينا ان نتفهم رفض الامير-حمود الثامر- بناء حاضرة دائمية لاقامته، لان ذلك سيجر الاستكانة والذل للدولة. والتقدير كان صحيحاً في ذلك الزمان، لان قيم البداوة ستتقاطع مع قيم الحضارة والمدنية، مما يولد اشكالات لا حصر لها، وما بناء الناصرية، الا دليل

على صحة ذلك التقدير في زمانه. وهذا الامر شائع عند جميع اهل المنتفق، فامرائهم لم يسكنوا بيوت ثابتة الا في اواسط العشرينيات من القرن الماضي، وظلوا دائماً بدواً رحلاً، تستضيفهم الصحراء بشكل اشبه بالدائمي.

ومن المؤكد ان مثل هذا المثل، لم يقل، الا لاسباب وحوادث استوجبته، والا، فكيف يكون مثلاً دارجاً عند عموم الناس، مما يعطي الانطباع، ان المنتفقي يدرك مخاطر التقرب الى السلطة، حتى وان كانت ممارساتها معه رقيقة ولينة ولا توحي بالشك. ولعل شاعرنا كان معبراً عن تصور اوسع، حين يقول:

وحق عينيـك ارض نحن سادتها

لوكفنـــا لوحت للشمس لم تغب

فكيف تنزل تحت السقف هامتنا

وكيف يحبس اعصار بكف صبي

مصادر الحكاية:

١. عبد الرحمن التكريتي- جمهرة الامثال البغدادية- ج٥- دار الحرية للطباعة- بغداد ١٩٨٦-ص: ٤٧-٤٨.
٢. حنا بطاطو- الكتاب الاول- ص:٩٢.
٣. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

الابوذيه

هناك بعض الدراسات الرصينة والخاصة بمتابعة ورصد ظواهر الادب الشعبي عموماً، وشعر «الابوذيه» بشكل خاص تجزم، ان ظهور هذا النوع من الشعر الذي اصبح في ما بعد، يغنى وفقاً لسلم المقامات الموسيقية المعروفة «البيات، السيكا، الحجاز، النهاوند، ....الخ» وهو من اشجى وارق اطوار الغناء العراقي. تجزم هذه الدراسات، ان هذا النوع قد ظهر في ديار المنتفق، وتحديداً في مدينة سوق الشيوخ في الربع الاخير من ايام القرن التاسع عشر، على يد «حسين عبد الله العبادي» الذي كان يعيش قصة حب ووله لاحدود لها، مع احدى فتيات الحي الذي يسكن فيه. ولان المذكور، كان في حالة من الفقر المدقع والتي لا تمكنه من تلبية طلبات اهل الفتاة، فقد اطلق لهموم حبه، ان تعبر عن نفسها بالغناء، لانه وجد فيه تعبيراً عن الالم والحرمان والمعاناة.

وقد كان صوت-العبادي- الشجي والجميل، قد وجد قبولاً من جميع من سمع قصته، ليعبر فيه عن مدى حبه لمن اوقعه حظه

في حبائلها. علماً ان هذا النوع من الشعر والغناء كان جديداً على المنطقة، التي دأبت على التعاطي مع اللون البدوي وتحديداً «العتابة» شعراً وغناءاً ولان هذا النوع من الشعر والغناء، فيه تطريب وموسيقى تتناغم مع المجتمع الزراعي الجديد الذي بدأ يتشكل في المنتفق، منذ ان بدأت الخطوات الاصلاحية تدخل المنطقة وتأخذ دورها، خاصة بعد تأسيس مدينة «الناصرية» لذلك وجد قبولاً ورغبةً وتفهماً من جميع متذوقي الادب والغناء.

وللعبادي قصة جميلة في حل قضية حبه التي استعصت عليه، نظراً لامكاناته المتواضعة، وطبائع المجتمع آنذاك، والتي كانت ترفض تزويج بناتها مع من شاع حبه لهن. ولان-العبادي- بث حبه وشوقه حتى لشواطيء الانهار وشجر البساتين ونخلها، فقد بات امر حلها يحتاج لحلال من نوع متميز. وعليه فقد سمع المذكور يوماً، ان الشيخ «مزعل باشا بن ناصر الاشقر» يقوم بجوله نهرية في نهر الفرات، وسيمر بقاربه امام المنطقة التي يعيش فيها. لذلك احضر-العبادي- دابه ورتب دائرة صغيرة من الارض، قريبة من شاطيء الفرات، وراح يدور بدابته الارض الخالية، وكأنه يدوس محصولاً من الزرع، ولكن بدون زرع. حين مر-مزعل باشا- عليه وشاهد المنظر استغرب ما يحدث، واعتقد ان الرجل قد مسه شيء من الخبل او الجنون. لذلك طلب من معيته استدعاء العبادي ليسأله عما فيه ازاء تصرفه الغريب.

العبادي، وجدها الفرصة التي لا تفوت، خاصة وان-مزعل- من محبي الشعر ومتذوقيه، هذا غير كرمه ومحبته لاهل المنتفق، فاجابه

ببيت شعر، رداً على استفساره، يعرض فيه حاله وعدم استطاعته الزواج من حبيبته التي هام بحبها، قائلاً:

هايم واسكن البيده بلاهـــام وسـعيد البات دلاله بلاهام

ياباشا هم شفت دايس بلاهام هـذا حكم فطومـــه عليـــه

ما ان سمع -مزعل باشا- بالشعر، وازاء ما حصل عليه من توضيح، بعد اطلاعه على قصة الحب المحاصرة، حتى اقسم له، ان لا يذهب من المنطقة، الا بعد ان يزوجه بمن احب، وهذا ما حصل، حين ذهب- الباشا- خاطباً للعبادي، ومعطياً من ماله الكثير حقوقاً للحبيبة واهلها، الذين تفاخروا بأن خاطب أبنتهم هو ابن الاشقر، وليس بامكانهم ان يرفضوا طلباً له.

زواج العبادي بمن احب، عقد صداقة دائمة بين الاثنين، وساهم في اغناء الابوذيه شعراً ونظماً، خاصة وان مزعل باشا، من الشعراء المجودين في نظمه، وهذا ما فعله في شعر «الابوذيه» حيث يعد من ابلغ شعراءها واكثرهم تماسكاً في معانيها. كما ان انحيازه لهذا النوع من الشعر، ساهم في انتشاره وكثرة ناظميه ومتذوقيه. والملاحظ في شعر -مزعل- استعمالاته البدوية الكثيرة التي تلطف المعنى وتقربه للقلب، بسبب تأثره بالبيئة والمحيط الذي عاشه. ومن اجود ابياته في الابوذيه، قوله:

يهـل تغسل بذرعانـــك وتيلي

نـــار البحشـــا تســـعر وتيلي

العرب عنك تبي ترحل وتيلي

بسبب مالك رحم وي الرعيه

وقد قدمت المنتفق في مجال «الابوذيه» الكثير من الشعراء، الذين اغنوا الموروث الشعبي العراقي بالكثير من المعاني والصور المعبرة عن انشطة الحياة كافة، حباً وهجراً، كرماً وشجاعةً، وفاءاً وصدوداً. ومن اشهر شعراء العراق في هذا النوع من اهل المنتفق (مزعل باشا، حسين العبادي، محسن الجابري، سعود النفيسي، فيصل المشاري، حامد البدر، ابو معيشي، حبيب العوج، جاسم الحجامي، جادر ملا حطاب السوز، حسين ياسر العجلي،...الخ».

وفي مساجلة شعرية بين صديقين من الشعراء قال حامد البدر:

حلوبك عمي يا صاحب خلفها

وعلى دنياي هل بين خلفها

ملوك استخلف الباري خلفهـا

عبيد أهل الولاية اتصير هيه

فأجابه الشاعر أبو معيشي:

بعزم اللــه حلوبــك تحن وتدر

وانتــم أهــل للثــايات والدر

بمجالسكم حجيكم ذهب والدر

لكم يا اهل الكرم واهل الحمية

في حين يقول يوسف الراشد:

يصاحب جانت الدنيه لاهلنا

النوايب عن سوابقهم لاهلنه

مهن بس علي صـارن لاهلنه

جرت كبلي بيوت الهاشميـة

وما زال الامر لليوم في هذا المجال من الشعر، حيث حافظت المنتفق على قدرتها في التواصل من خلال تقديمها للعديد من المبدعين المتميزين، شعراً ونظماً وغناءاً.

الشعر يحلو جنوبـاً كلما كتبـا

فعنده النخـل يسمو عزةً وصبـا

وفيه ما يطلب المشتاق من وله

فمن سواك يحل الامر ان خطبا

كأن ناصر لم ينجب سواك فتىً

فكنت اماً لعشـاق الهوى وابـا

مصادر الحكاية:

١. عبد الكريم محمد علي- تاريخ مدينة سوق الشيوخ- مطبعة عصام- بغداد ١٩٩٠.

٢. عماد العبادي- محطات مضيئة في شعر سوق الشيوخ-ط١- المطبعة العربية- بغداد ٢٠٠٠-ص١٤ ومابعدها.

الباشا والشعر

مزعل باشا، بن ناصر الاشقر، عاش حياته بطريقته التي لا تقطعه مع مجتمعه وما يجيش فيه من حركة ونشاط وجمال، وفي كل اوجه الحياة. وكان الرجل رغم ما انيط به من مسؤولية متصرفية العماره ايام ولاية والدة-ناصر الاشقر- على البصرة التي ابتدأت عام ١٨٧٤م، حين كانت المنتفق تحكم العراق الجنوبي بأكمله وشواطيء وسواحل الخليج العربي، متواصلاً مع الحياة بطريقة بهيجه، وكان من المغرمين بالشعر ومن المجودين فيه، خاصةً شعر «الابوذيه» حيث مازالت اشعاره توضع مع اشعار الشعراء الآخرين، كحالة للمقارنة، من حيث الجودة والمتانة، لما امتازت به شاعريته من رصانه وقوة وشفافية، مع ما يصاحب ذلك من بلاغة العبارة وتمكنها. وقد كانت له مع احد شعراء مدينة الحي، قصة طريفة، تبارى فيها الاثنان بشاعريتهما.

ففي احد الايام قال-مزعل باشا- بيتاً من الابوذيه يقول فيه:

هله يلي جميــع النــاس تــدراك

ورع جــاهل بعد سنتين تــدراك

من اموت أني يساهي العين تدرك
فصل لاهلي وعليك اتـه خطيـه

وبعد ان شاع هذا الشعر، تسلم في احد الايام، وهو جالس في ديوانه، رسالة، دون ان يعرف مرسلها. وبعد ان فض مظروف الرسالة وقرأها، وضعها على رأسه عدة مرات، فاستغرب الحاضرون تصرف الباشا، وسألوه هل هي من السلطان ام من الوالي؟ رد عليهم انها من سلطان الادب والشعر الذي صحح لي ما ذهبت اليه في بيت الابوذيه الذي قلته. وكان المرسل هو الشاعر «عليوي الغافل الحياوي» من اهالي مدينة الحي، الذي ارسل له البيت التالي:

يهابك كل شجاع وليث يـدراك
وتخضـــع للبعد سنتين يدرك
خطأ وتكول ساهي العين يدرك
الجتيـل ال بلهوه مالاش ديـه

فأكرم الباشا، موفد الشاعر، وكتب رسالة للسيد-الغافلي- يعتذر له فيها مما ذهب اليه، ويغرم نفسه (١٠٠) ليرة ذهب، على ان تكون هذه الغرامة عادة سنوية جارية طيلة حياته. وقد ربطت الاثنان صداقة متينة، خاصة وانهما من فحول الشعر والمجددين فيه. وفي وقت آخر، كتب-مزعل باشا- يوماً رسالة لصديقه-الغافلي- يعلمه بمرضه وولهه على احباب غادروه، وختمها بـ:

كطع وصله يلاهي الكطـع شفنـه
نموت ولا كضينه وياه شفنـه

بلاوي تصير على المخلوق شفنه

مثـــل بلواي بيهـــم ما تهيــه

فرد عليه صديقه، ببيت الابوذيه التالي:

يمزعل ريت رب العرش شافاك

وما لفظت بغير الطيب شافـاك

انتــه وما كضيت ويـــاه شافـاك

جـــا انه يبـــاشا اشـــلون بيـــه

مصادر الحكاية:

١. عبد العزيز نوار- لمحات...-ص:٤٣٣.
٢. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠).

رجينه الخيبريه

اجتمع اربعة اصدقاء في جلسة سمر في احد ربوع المنتفق، وهم يتذاكرون ما مر بهم وبديرتهم، وما يعيشوه من حال. وكان الاربعة من المغرمين بالشعر وبمباهج الحياة، حيث كانت تلك الايام، ايام زهو وسلطان وخير وفير، خاصة بعد ان نجح-الاشقر- في تحويل المنتفق الى ولاية، منفصلة عن مركز القرار في بغداد، ومرتبطة بالعاصمة مباشرةً، بعد ان ضمت اليها البصرة وشواطيء الخليج العربي، حتى حدود دولة قطر الحالية.

ايام الخير هذه، اقنعت الكثير من ابناء العراق ونجد للنزوح نحو اراضي المنتفق والسكن فيها، ومن بين هؤلاء، عوائل كثيرة من الطائفة اليهودية التي مازالت بقايا معابدهم موجودة في مدينة الناصرية. هذا التنوع من الناس والمرحب به من اهل المنتفق وقادتها اعطى الدليل ان ارض المنتفق، مفتوحة للجميع، بعيداً عن انتماءاتهم الدينية او القومية، ما دامت افعال الناس تتجه لخدمة المجموع. ومن ضمن من سكنوا آنذاك، عائلة يهودية، استوطنت مدينة سوق الشيوخ، وكان

لديهم فتاة في غاية الجمال، اسمها «رجينه» في حين كان اسم والدتها «سمحه». وقد اطار جمال-رجينه- ابراج عقول كثيرين، بحيث باتت حديثاً للمقارنة والتغزل وتبارى الشعراء في القول فيها، ومن ضمن من قال فيها، الاصدقاء الاربعة، حيث ابتدأهم-مزعل باشا- بالقول:

سل سمحه حياتي من سبتهه اغط بالنوم واحيا من سبتهه

متى تطلع رجينــه من سبتهه بوداع السـفر موجب عليه

فجاوبه صديقه وجليسه-عبد العال السعدون- بالقول:

سني خالص المذهب وملكــاي

عليها ابــذل مواشي وملكاي

اخذ يلج رجل سعدوني وملكاي

عبد للميربــس الدين اليـــه

الا ان صديقهم-صافي الشرشاوي- جليسهم، كان له رأي آخر، فقال، مقدماً نفسه لرجينه بطريقة اخرى:

رجينــه تشبــه اللعيــه وسلمــاي

سلهه وسيل من غيري وسلماي

اخذ يلج رجل شرشاوي وسلماي

خــــالص جعفري وعنده وصيه

الا ان رابع الجلسه- فديعم الصابئي - كانت له وجهة نظر اخرى، لاغياً كل ما قاله سابقيه، فقال:

لا تنشد على حالي وسني غرام الشوكك غيرني وسني

عيت ماتبي شيعي وسني تبي صبي رجينه الخيبريـــه

هذه المساجلة، تدلنا على الوعي العام لقائيلها، وبشكل ينم عن عقلية مطلعة وذواقة وقادرة على توصيل المعاني بلغة شعرية متميزة، وهذا بالنتيجة انعكاس للوعي العام، الذي كان متفاعلاً في التعايش مع الجميع، بعيداً عن اية استقطابات او تشنجات لا تطيقها «الديره»، كما ان هذه المساجلة وغيرها، قد اغنت الرصيد الشعري بمعانيها واهدافها، ومكنت الاجيال اللاحقة من التطوير والتجويد في هذه المعاني وغيرها، بما رفع الذائقة الادبية عند ابناء المنطقة، التي ظلت للآن، أحد أهم منابع الشعر الشعبي بكافة اطواره ومذاهبه.

وقد اراد شاعرنا، ان يكون العنصر الخامس في تلك الجلسة، فصور الحالة بالقول:

ألقت رجينه في القلوب هواها

واظل ليـــل التـــائهين رداهـــا

ألقت عصاها فالحبال قلوبنـــا

وتلقفـت سحر الهوى عيناهـا

مصادر الحكاية:

١. عماد العبادي- ص:٢٠٢

٢. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠)

٣. صحيفة الشباب/ بغداد في ٢٨/ ٣/ ١٩٩٨.

الالفاظ المتداولة

رغم كل موجات الحداثة التي تغلغلت في عموم عشائر المنتفق، وتمكنها من ازاحة الكثير مما كان يعتقد في وقت سابق، انه من المسلمات، الا ان بعض عشائر المنتفق مازالت تتداول في الفاظها المستعملة للتخاطب او التشبيه الكثير من الالفاظ البدوية. بل ان هذه الالفاظ مازالت تجد لها مكاناً في المقال من الشعر القادم من ديار المنتفق، رغم ان الفاظ التحديث والتغريب والموضة السائدة، اصبح لها القدح المعلى في عموم شكل المخاطبة الجارية بين الناس.

والالفاظ سواء في استعمالها او في حلول البديل منها، فانها جزء من نشاط الحراك الاجتماعي لاي مجتمع يمر بانتقاله حضارية من حالة لاخرى. فضلاً عن ان أي مجتمع لا يمكن ان يحصن نفسه بشكل من اشكال «الغيتو» للاتي الجديد، خاصة اذا علمنا، ان مجتمع المنتفق كان مجتمعاً حاضناً وليس مجتمعاً طارداً، بحكم مزاج الناس وطبيعتهم السمحة، مع ما متوفر من خير عميم جنب هذه الديار وعلى طول عهدها، مأزق المجاعات التي شهدها العراق

في اوقات مختلفة. فضلاً عن ذلك، ان الالفاظ المتداولة تتغير تبعاً لاستقرار المجتمع واتخاذه المساكن الدائمة مكاناً للاقامة، وهو ما شهدته المنتفق بعيد تأسيس مدينة «سوق الشيوخ» عام ١٧٦١م، دون ان تكون هذه الاقامة على طول السنة، لان اهل المنتفق، وكما هو المعتاد في حياتهم، يقضون فصل الربيع في الصحراء، حيث الصيد والانطلاق والتفسح.

ومن الظواهر الاجتماعية في حياة المنتفق، ان امرائها لم يتخذوا مساكن ثابتة الا في عقد العشرينيات من القرن الماضي، أي انهم كانوا من اواخر ابناء «الديره» ممن تآلفوا مع المساكن الثابتة، وان كانت هذه المساكن تتخذ المناطق المفتوحة نحو الصحراء والبعيدة عن زحام السكن وتأثيرات السلطة الحكومية او البيئات الاجتماعية التي تتقاطع وشكل حياتهم البدوية او التي لا تتلائم ومزاجهم البدوي الذي ظل طابعاً مميزاً لهم، مما اوجد ظاهرة اللهجة والالفاظ المختلفة بين ابناء ال سعدون وبين ابناء المنتفق. ففي الوقت الذي ظلت المرادفات والتوصيفات والتسميات البدوية، ابرز مميزات لهجة السعدون، فقد ابتعدت لهجة ابناء المنتفق عن هذا الجو، رغم كونها كانت تعيش فيه، والسبب في ذلك متأت من حاجات ومفردات المجتمع الزراعي المستقر، عنها، في المجتمع البدوي. زائداً ان الانفتاح والتعايش مع بيئات واشكال اجتماعية اخرى، قد مارسته عشائر المنتفق جميعاً مع ما يحيط بها، وتأثرت واثرت فيه، في حين ظل ال سعدون بعيدين عن الاختلاط او التأثر بالانماط الاجتماعية الجديدة.

ومع كل موجات الحداثة، فقد ظلت لليوم الكثير من المفردات البدوية التي تستعمل في المخاطبة بين ابناء المنتفق، ومنها على سبيل المثال، لا الحصر:

- دجاجة: ديايه
- عاندت: عيت
- جبار: يبار
- جاري: ياري
- نحن: حنه
- حاضر: عونك
- بعد: عكب
- ذهبت: تعنت
- ظاهرة: ختيه
- دعوة: معرض
- الجميل: حليلو
- الآن: عيل
- يعاند: يناحي
- الكريم: الصخي
- مندوب: طارش
- القصص: السوالف
- عادة: كار
- اترك: كب
- أكيد: وكاد

- اواني: مواعين
- تريث: تهدأ
- يأتون: ايون
- الوجه: اليهاما
- لابد: حتم
- اربطة: حزايم
- عيب: خمال
- كبر النفس: الزوم....الخ

ومن الطرائف في هذا الجانب، انه اثناء معركة «باهيزه» مر احد الاشخاص بمعسكر الجيش البريطاني، فالقوا القبض عليه، وجيء له بدجاجة، بناءاً على توصية دليلهم ممن اصطفوا مع الغزاة، وسألوه عن اسمها فقال «دايه» فعرفوا حينها انه من ابناء عشائر خفاجه التي هزمتهم في تلك المعركة، فأعدموه.

مصادر الحكاية:

١. حنابطاطو- ج١- ص: ٩٢.
٢. وزارة الاعلام- م١- ص:٤٣٣
٣. مركز المخطوطات- رقم الملف (٦٦٧٠)
٤. علي الشرقي- الالواح التاريخية- ق١- ص:١١٦
٥. د.وليد الجادر- الازياء الشعبية في العراق- دار الشؤون الثقافية- بغداد ١٩٨٩- ص:٤٦.

غناء الحاشوشات

المنتفق بخيرها الوفير، من منتوجات كثيرة، كالحنطة والشعير والرز والمنتوجات الاخرى، تستلزم على الجميع، المشاركة في جني المحاصيل في اوقاتها، في وقت لم تكن الوسائل الحديثة معروفة عندهم في موسم الحصاد.

وفي هذا الجانب، كانت نساء المنتفق يشاركن رجالهن جني او قطاف او حصاد ما هو مطلوب منهن، وان كن يتخصصن بقطف او»حش» القصب والبردي واعواد القوق لحاجة «الديره» لهذه المنتوجات في بناء الدور او تسقيفها، قبل شيوع بناء الدور الحديثة المكونة من الطابوق والحديد والاسمنت، ومن يقوم بهذه المهمة، اطلق عليهن اسم «الحاشوشات».

والحاشوشات، يبدأن عملهن بطريقة حماسية، الغرض منها شد الهمم لقطف اكبر كمية من المراد حصاده او قطفه، وكذلك لاختصار الوقت للعودة الى الديار. حيث يذهبن للاماكن الموجودة فيها هذه المواد، وتحديداً لمناطق الهور بزورق يسمى «المشحوف». وما ان

يصلن الى المكان الذي حددته كبيرتهن التي يطلق عليها احياناً لقب «الكنديره» او «صاحبة الشدة» حتى تبدأ استعدادات الحش من خلال وضع المشاحيف بنسق واحد لا يبعد احدهما عن الآخر بأكثر من مترين، تكون فيه «الكنديره» قد توسط مشحوفها مشاحيف الآخريات لغرض التمركز والسيطرة.

عند انطلاق العمل، ترتفع المناجل المقبوضة عليها باليد اليمنى ارتفاعه واحدة، مع ارتفاع صوت المغرده بأغاني الحاشوشات، وهي «الكنديره» في حين تكون الحركة الثانية، وضع المناجل على حزمة البردي التي التقطتها اليد اليسرى للحاشوشة، على ان تكون الحركة الثالثة ذات ايقاع مختلف من خلال توقيت مناسب ومن الجميع لاجراء عملية قطف او جرد البردي، في حين تكون الحركة الرابعة وهي الاخيرة في العملية، بالتفاته سريعة من الحاشوشات الى باطن المشحوف لوضع الحزمة المقطوفة على الجسر الرابط بين جانبي المشحوف. وهكذا تستمر العملية في تناسق رشيق تصاحبه اغاني الحاشوشات المتنوعة، والتي يغلب عليها قصص الحب والهجران او السفر، والتي لا يمكنهن اسماعها للاخرين الا في هذا النوع من النشاط الانتاجي للظروف الاجتماعية المتشددة آنذاك.

وكانت «الكنديره» وفي جو الحماس الذي تبعثه في فريقها النشط، تشتطط باثارة اشعار المواجع التي تلامس كلماتها ما مكتوم تحت الضلوع، فتنخرط بعض الحاشوشات بالبكاء، مما يصعب التحاقهن بالصف الذي بدأن معه، مما يستوجب منهن لاحقاً اداء العمل او تكملة

ما مطلوب منهن دون الاخلال بالعمل المستمر من الفريق الواحد غير المتلكأ الذي تشده اصوات غناء «الكنديره» بطريقة حماسيه.

ومن مقاطع الاغاني التي كانت شائعة في تلك الفترة، ما تقوله احدهن:

تجينــه لو نجيكن يا بنيــات قصــة وسولفنهه الجابريات
قصــة المهيوب ابو نــجوم اخــذ كلبي ورواني النجوم
خلاني عليله وكلبي ملجوم ولا بالقيـد منه بدون دويات

كان غناء وحماس الحاشوشات في اداء عملهن، احد مباهج الاطفال المرافقين لامهاتهم في هذه المهمة، مما يرسخ فيهم حب العمل وحب الموسيقى حتى وان كانت بأشكالها المتداولة في مناطقهم، مما قد يؤهل اكثر من طاقة واعدة في احد اشكال العمل الجماعي.

كانت مزاميرهم ناياً والحانا تضيف للقمح احزانــا والوانا
مروا بزرع هوانا طيف اغنيةً صارت على شفة الايام عنوانا

مصادر الحكاية:

وزارة الثقافة والاعلام- ابحاث...-ص: ٢٢٨.

صحيفة الصباح/ بغداد- العدد (٩٩٢) في ١٥/ ١٢/ ٢٠٠٦- فلكلور.

لقطات

بسم الله: الميمر، احد ابواب الشعر الشعبي العراقي، وله كثير من المحبين. واورد البيت الآتي، الذي وجدته في اوراق الاستاذ «يعقوب سركيس» والموجه لاحد فرسان المنتفق واحد المولعين بهذا النوع من الشعر «مشاري العبدالله» حيث كان متواجداً في اراضي محافظة ميسان لغرض ما. واحب أحد شيوخ المنطقة بأستضافته، فارسل كاتبه لدعوته، فلم يجد المذكور من وسيلة لقبول-مشاري-الدعوة الموجهة اليه الا بمخاطبته عن طريق الشعر، فقال له:

باسم الهدى وباسم النبي وباسم الله

وبنـــار كلبي الغـــاديه باسم اللـــه

تفضـــل انكلك يا نفـل باســـم الله

يا روض هزلـــه وبالحـــرايب عنتر

***

اخوان كطمه: في احدى معارك -سعدون المنصور- ضد عشائر «ال بدير» عام ١٨٩٩م، قتل فيها الفارس «محمد المشاري» ولم يكن اخوته معه في هذه المعركة لانشغالهم بامور في البصرة، وحين وصل الخبر لاخيه «عبد اللطيف» انشد حادياً ومتفاخراً بما فعله شقيقه:

علــم لفـــاني منـــهم يوم فرحـــت ثم بجيـــت

اخوان كطمه حكو المركاض وانـــه علـــه بعـــدي نخيـــت

***

جسني: في عام ١٨٣١م اوكلت الدولة العثمانية لاحدى البعثات الانكليزية دراسة صلاحية الملاحة النهرية في وادي الرافدين. وقد انيطت رئاسة البعثة بالضابط «جسني Chesney» الذي انهى هذه الدراسة عام ١٨٣٣م بتقرير يؤكد صلاحية استخدام البواخر في نهر الفرات، وهو ما يلائم ما كان يخطط له الانكليز في الحصول على مثابات في العراق الجنوبي، الا ان امارة المنتفق، اعلمت والي بغداد والبعثة الانكليزية، ان مرور اية بواخر انكليزية في نهر الفرات، سوف يعرضها للحرق والتدمير، سواء اغضب هذا الامر ولاة بغداد ام من يحكم في استنبول. لذلك ظل «فرمان» الموافقة الذي اصدرته الدولة لشركة الملاحة البريطانية لغرض تسيير سفن تجارية دوريه في نهر الفرات، دون تنفيذ طيلة وجود امارة المنتفق.

وقد وجدت في اوراق المرحوم (نعوم سركيس) اشارةً لهذه البعثة وما انتهت اليه، بقول احد ابناء المنتفق -مستهزئاً- بالضابط جسني

وبعثته وبالنص:

جسني وما تجسني شوفنك تمسني

***

تخت بندر: السيد حبيب حسن العقلة كان أحد الوكلاء عند أحد شيوخ المنتفق (بندر بن مغامس المانع). وأثناء جمعه الملاكية « أي ريع الأراضي العائدة للشيخ بندر » وكان معه مرافق يقال له صالح، فرأوا فتاة جميلة ارتقت نخلة لتقص سعفها، فصاح صالح « عمي.. شوف » فلما شاهدها حبيب العقلة أنشد قائلا:

الك ورك اليشابــه تخت بنــدر

الجدايل فوك سمح المتن بندر

يصالح شوف هلمنتوف ريم خشوف

ولولا الخوف وارجى حكم بندر

لعلمــه بدلعــت زياكــه عليه

فلما سمعت البنت هذا الكلام ذهبت واخبرت اخوتها بالأمر فتسابقوا نحو السيد حبيب وقالوا له « قف.. ما ذا قلت للبنت؟ »، فارتجل موال أبوذية آخر هذب فيه الوصف مراعاة للأمر وقال:

حجت والدر تنثر من شفتها

يخوتي طار عقلي من شفتها

لا هي نار ولا هي نور ولا هي من بنات الحور ولا هي صكر فوق وكور

ولا هي البسوها من شفتها غشيم وتاهت اوصافه عليه

(ويعني بذلك الفرس الأصيلة التي يلبسوها المنشفة عندما تتصبب عرقا)

فقال له اخوتها: خذها تستاهلها وإذا رجعت من الشيوخ خذها معك على سنة الله ورسوله.

فأحس حبيب العقلة بالحرج لأن أهل الفتاة أناس معروفون ويجب أن يتزوج ابنتهم زواجا يليق بهم، فأصبح في ضيق وهم. ولما علم الشيخ بندر سأله ما بك؟ فقال «مريت على ناس وشفت بنت جميلة وقلت عليها بيت شعر، وصار بيني وبينهم كلام، واعطوني اياها، وانحرجت، ولا اقدر اخذها ولا اقدر اخليها». فقال له الشيخ بندر «تعال فاملاء يدك من الملاجية حتى تمتلء مخباك وروح للبستان اللي انت فيه تراهو لك»، وهكذا أثرى حبيب العقلة وتمكن من الزواج ممن أحب.

***

بسماي: نشرت مجلة (اليقظة) الصادرة في الكويت عام ١٩٨٧، بيتاً للابوذيه، نسبته للامير (ناصر الاشقر) يقول فيه:

لون صار اللزوم انتخوا بسماي

بسبب لني سكيت العدى بسماي

تظن تفلت لونك تصل بسماي

انه عزرائيل يهل مبعد عليه

وقد سمعته من ثلاثة رواة شعر، ينسب للاشقر، لكني وجدت هذا البيت منشوراً في كتاب (محطات مضيئة في شعر سوق الشيوخ) لمؤلفه عماد العبادي، منسوباً للسيد (مغامس عيسى السعدون) مع تغيير في بعض الالفاظ. وتقديري من خلال قراءة الفاظه ومعانيه، انه قد يكون للاشقر، او انه نسب اليه، ولذلك اجد ما نسب للسيد- مغامس- غير دقيق. ويمكن ان يكون ذلك واضحاً، من خلال التدقيق في المعنى، بحكم ما كان يحتله ويمثله الاشقر من مكانة وقيمة عليا في حينه توضحها كلمات بيت الابوذيه.

***

اغليوين من القصائد المفقودة التي قيلت في حق انتصار اغليوين، قصيدة «علي الثامر» التي سجلت هذا الانتصار. نقتطع منها بعض الابيات:

الورك يلعي فوك عالي اكصورهـا

حمـــام يطـــرين الغنى من فجورهـــا

اه وعضيدي الراح مـــا عاد يرجع

باللحد ناوي في مطـــاوي كبورهـــا

ابو برغش زين الياذبـــات بن ثامر

واليـو هملوا عسمان الايدي سيورها

يـــاريت ابو بـــراك بالنوحـــاضر

ابصولـــة جتنا كفى اللـــه شرورهـــا

منهم ربيعة وبن جشـــعم وفارس

ونيم ومن لـــه حسنة يايـدورهـــا

ومعهم عقيـل والقبايل جميعهـا

واللي بكلبه حسفه جـا . . يدورهـــا

واشاروا علينه بالقطيعة وذبحنـا

والأطواب تكفي في ملاهي زمورهـا

جونا وشاروا ابكطعنـا وحـــالو

وحـــارو جيف حـــال ندورهـــا

ركضنا عليهم ركضـــة هاشمية

راحت تناهي في العوالي صدورهـا

غدا ذاك مذبوح والآخر مخـــلا

وهـــذاك حق للحدا مع نسورهـــا

ولبناهم وطابت بهم نفس لابتي

ليا عاد (أبو برغش) حماها وسورها

ولمن خاب ذاك اليوم منا ومنهم

رايـــات سود تنتشر في نشورهـــا

***

البخت حين تفاقمت الاحداث في تولي امارة المنتفق بين الشيخين (صالح بن عيسى المحمد) و(منصور راشد الثامر) عامي ١٨٥٥-

١٨٥٦، فقد رفض الشيخ-صالح- اوامر الدولة بالعزل واستعد للمنازلة. واثناء الاستعدادات لذلك، فقد اولم عشاءاً كبيراً لجيشه «الحربيه». وحين اراد المعنيون عن الاكل، نقله حيث الجموع، انكفأ الصحن الكبير المملوء رزاً ولحماً على الارض، فطلب الشيخ صالح ان يملاء من جديد، فحصل ذلك، لكنه سقط مرة اخرى وهو مملوء على الارض من يد حامليه، فطلب للمرة الثالثة ان يملاء وتحقق ما اراده، واثناء نقله، انزلق من حامليه على الارض للمرة الثالثة، وسط دهشة وعجب جميع الحاضرين.

حينها شكر الشيخ-صالح- جميع مقاتليه على حميتهم وطلب منهم الانصراف، لانه لن يدخل في أي قتال ضد منافسه، لانه ايقن ان سقوط الصحن الكبير ولثلاث مرات متتاليه، يوحي له ان الزمن ليس زمنه. وذكر سائليه «ان البخت يكون مع من تقبل عليه الدنيا وهذا ما حصل لي سابقاً يوم جرحت جروحاً كثيرة في احدى المعارك، استوجب ان يكون دوائي فاكهة «الرقي» ومع ذلك وجدوها رغم ان الوقت كان شتاءاً، اما الآن وما شاهدتموه، يعني لي ان الدنيا مدبرة، ولذلك فاني لا اريد ان اعاند الزمن، اشفاقاً على ارواحكم».

***

حيلة مشعاب

روى هذه الحكاية العقيد دكسون المقيم السياسي البريطاني في المنتفق أثناء الاحتلال البريطاني في كتابه عرب الصحراء خلاصتها

«في الفترة التي كان فيها ناصر باشا الأشقر شيخا لعموم قبائل المنتفق وواليا على البصرة، جاء أحد رجاله ويدعى (مشعاب) وقدم له القهوة، فقال له الباشا وقلبه يفيض بالامتنان لما يراه من اخلاص نادر لدى هذا الرجل « أطلب ما تشتهي وسأحققه لك « فرد عليه « اني اطلب منك خدمة واحدة فقط وهي أن تدعوني كل يوم عندما تراني في المجلس وتهمس لي بجميع ما يخطر لك من شتائم»، فوافق الأشقر وهو مستغرب من هذا الطلب العجيب، وبالفعل صار الباشا ينادي مشعاب من دون الحاضرين ويلقي على اذنه ما يحضر له من كلام ومشعاب يهز رأسه باهتمام كما لو كان يتلقى أوامر هذا، واستمر الحال هكذا يوميا حتى اعتقد الناس ان مشعابا بات موضع اسرار الباشا ومكمن ثقته فصاروا يهابونه ويقدمون اليه الهدايا والرشاوي للتوسط لهم لدى الاشقر

ولم يمر وقت طويل حتى اصبح مشعاب غنيا، واشترى لنفسه بضعة جمال، وقطيعا من الماشية، بل استثمر أمواله في بستان اشتراه، وزوج من القوارب النهرية التي تنقل الركاب من والى البصرة، وصار الجميع يعتقدون ان هذا الغنى بفضل عطايا الباشا له كونه رجله المفضل. وبعد ستة اشهر جاء مشعاب للأشقر وطلب منه وهو يقدم له القهوة أن يكف عن ما اتفق عليه معه، فوافق ناصر باشا بعد ان علم سر مشعاب الطريف وحيلته الغريبة في ابتزاز الأموال من السذج الحالمين بالتقرب من الباشا.

***

الجني والصندوق:

ذكر الحاج عبد الله فاض المسلماني وهو رجل انكليزي اسلم وعاش مع اهل البادية بعد ان ابدل اسمه السابق (وليمسان) للاسم الجديد، في كتابه (الهارب الى الله): انه كان بمعية الشيخ مزعل باشا السعدون في البصرة من اجل جمع الميري من ريع النخيل للحكومة العثمانية، وقد صادف ان دعاهما (طالب النقيب) للغداء فلما حضرا الوليمة وجدوا عند السيد طالب جهاز غرامافون اهداه اياه احد ربابنة السفن الانكليزية، ويعمل بطريقة اللف اليدوي، وكان معه اسطوانات. وقد تعجب الموجودين من هذا الجهاز غير المألوف في ذلك الوقت

وبعد ذلك ذهب الشيخ مزعل بمعية المسلماني لزيارة شقيقه الشيخ فالح باشا في منطقة نبعة في بادية المنتفق، وعندما جلسا أخبر الشيخ مزعل الحضور بما شاهده من جهاز عند السيد طالب، وكان ذلك غريبا على البدو، ولم يصدقوا الكلام، وعندها اقسم الشيخ مزعل بأن يأتي بالجهاز ويحضرة امام الشيخ فالح، فلما عاد الى البصرة اقترض الجهاز من السيد طالب فأعطاهياه بعد أن اوصاهم به خيرا.

وكان الشيخ مشغولا في البصرة ولم يتمكن من الذهاب الى بادية المنتفق فاوكل المهمة للمسلماني الذي أخذ الجهاز ومر على بلدة الزبير، وهناك اخذ اسطوانات فارغة فملأها بالآيات القرآنية والشعر البدوي، لأن أهل المنتفق لا يستسيغون سماع الموسيقى.

وبدأ المسلماني التسجيل بالسلام ثم ذكر اسمه وبعدها بدأ بالقراءة. بعد ذلك سافر متوجها الى نبعة حيث مضارب الشيخ فالح، وعند وصوله انزل الجهاز معه وقصد لمجلس الشيخ المليء بالحضور وبدأ بتشغيل الاسطوانات، وعندما بدأ بالكلام حيث قال « أنا الشيخ عبد الله فاضل المسلماني السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ». انفض معظم الحضور مرعوبين من المجلس، ولم يبق عند الجهاز سوى الشيخ فالح والمسلماني، وبعد ذلك عاد الحضور على استحياء وهم يقولون للمسلماني « كيف استطعت أن تحبس الجني بهذا الصندوق؟ ».

ولم ينفع شرح المسلماني لهم حول كيفية عمل هذا الجهاز واصبح يشاع عنه في البادية، انه من اصحاب الكرامات التي تمكنه من حبس الجني في الصندوق.

***

كشمر الفضلي:

كان الفارس كشمر بن زقم بن سلطان الصلال الفضلي، معروفا بالشجاعة حتى انه قتل القائد التركي محمد مراد في حربه مع سعدون المنصور وقال في ذلك حاديا:

حنا فكينـــا ناكتـــه　　　　ودوا لشـــواكه بشـــير

ذبحنا محمـد مراد وشعاد لو زعل الوزيـر

وذات يوم غضب سعدون المنصور على فارسه كشمر الذي رحل دون اخباره واقام عند عشائر الثوير من الرفيع. لكنه بعد فترة اشتاق لديرة المنتفق وذهب مخاطرا رغم التحذيرات بأن سعدون قد يقتله ان رآه، ولما وصل كشمر جلس خلف صيوان سعدون وصار يحدو:

كالـوا يهينك لا تروح والكلب عيـا ما يطيع

اذكر فعول الماضيات وارحم بعبدك لا تبيع

ثم حدا ثانية وهو يقترب أكثر من سعدون:

ارحم وسامح يمحفوظ والعفو يا ستر البنات

يا مـا رديتــه كفـوكم يوم السبايـا مكفيات

***

خل الطك يوم كثرت النزاعات الداخلية بين اطراف المنتفق في العقد الثاني من القرن الماضي، فقد كان حضور الشعر لازماً لها للتعبئة والتوثيق. ومن اجمل ما لفت انتباهي ما قاله-عجمي باشا السعدون- واصفاً تلك الاحوال، بالقول:

غداي الماطلي لوثار طريت ثمل لو دخن البارود طريت

انه سن البحر للميل طـريت خـل الطك للصديل البيضة

***

عيون البنات حين نجح الانكليز في هزيمة القوات العثمانية

اثناء معارك الحرب العالمية الاولى، فقد كان همهم تفتيت جبهة المقاومين، الذين لم تنكسر ارادتهم، وظلوا مصرين على ضرورة الاستمرار بالمقاومة للآخر، وكانت انظار الانكليز تتجه نحو- عجمي باشا- حيث سعت اجهزتهم المختلفة لارضاءه بأي شكل والتي تناولنا بعضها في حكاية «نبل وشهامة» مما دفعها ان توسط بعض امراء العرب لفصل -عجمي- عن حركة المقاومة، الا انه ابى وبشموخ الحيد عن الطريق التي اختارها، وكتب لاحد الذين توسطوا معه في هذا الجانب، قائلاً:

والله فلا اخلي ديرتي　　　لصليب وعيون البنات

كل يوم اثجب عيهـــا　　　ابوي وصــاتي وصات

***

يمنانه: بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى بنتائجها المعروفة، سعى الانكليز للقبض على قادة الجهاد المتواجدين في العراق، وكان في مقدمتهم «بدر الرميض» الذي توارى عن الانظار، لكن احد الادلاء اخبر عن مكان اختفائه تمهيداً للقبض عليه، لكن تلك المحاولة فشلت، فأنشد قائلاً:

حنه اليودنه ما يمل يمنـــانه　　　بالضيج تسطر بالعدى يمنانه

وهمان من كاد الكفر يمنانه　　　حنــه الليوث بدارنـــه نتعفر

الخاتمة

تظل قدرة القيم الايجابية التي يقدمها الفرد او المكون الاجتماعي او السياسي، لعموم الناس، اكثر امكانية على المطاولة والتجذر في حياة الناس، حتى عند اولئك الذين لم يتعايشوا مع الشكل المتحقق زمانياً، وهذا بلا شك احد ابرز المواقف الحياتية للانسان. ففي كل مجتمع، هناك تراكم هائل من الافعال والقيم، التي يعتمدها الانسان كقياس مع أي فعل مغاير لها، بل ان اشخاص هذه الافعال الايجابية، يكون اسمهم حاضراً في كل ما تستوجبه الحاجة للمقارنة او القياس او لمتغيرات الزمن.

والمنتفق، اثرت وتأثرت بجميع ما احاط بها من قيم انسانية وعلى مستوياتها كافة، وكانت قدرتها على اغناء الموروث الايجابي في اصعدة المجتمع كافة متميزاً، حتى وهي تعيش حالة من الجزر، التي فرضتها مقادير الزمن عليها، وهذا ما يحسب لها، في ان تكون مصدر الهام الكثيرين وفي انشطة مختلفة وبما يجعلها قادرة على دخول امتحان اختبار الزمن، والخروج منه بجدارة، ان لم تكن قد اضافت ونوعت وصقلت اوضاعها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، التي هي في الاصل نضح للمجتمع الذي عاشت وتعايشت معه، وبما يجعلها جداراً عالياً من القيم الايجابية.

والمنتفق، دون غيرها من الامارات العراقية والاقليمية، تمكنت بقدرتها وبانسانها، ان تطاول عاديات الزمن ودولة لاكثر من ثلاثة قرون ونصف، قدمت فيها افعالاً، مكنتها ان تكون حاضرة في كل شيء يحيط بالمنطقة، للاربعة مئة سنة الاخيرة، وهذا ليس مرده لجهدها العسكري فحسب، بل لافعالها المتعددة الانسانية والاجتماعية التي دعت الكثيرين في ان يتطلعوا لها دوماً، بالجديد والمتميز في حقائق الحياة التي عاشها ناس المنتفق، والقريبين منهم، وبما يجعل فعلها حصة للناس كلهم وليس للمتنفقين لوحدهم.

وحكايات عن المنتفق، لا يدعي لنفسه النجاح في الاحاطة بكل فعل المنتفق السياسي والاجتماعي والثقافي والانساني خصوصاً بعد التزامه بضرورة التوثيق والصد عن الكثير من المروي الذي يشكل رصيداً هائلاً في مجمل حياة المنتفق وانشطتها الحياتية، فهذا خارج امكاناته وطاقاته، بقدر ما يتطلع ان تكون محاولته خطوة واعدة في هذا الاتجاه. لانه من الظلم ان نهمل او نتناسى كل ذلك الفيض الذي قدمته المنتفق في حياتها، وهو بالاساس فعل انساني، تحت هذه الحجة او تلك. ولذلك فانا نؤكد وبقناعة ان ما حوته اوراق هذا الكتاب، من حكايات- لا يتعدى جرف المنتفق، اما بحرها والابحار فيه، فتلك قدرة اخرى واستثنائية، لا ندعي امتلاكها، لكننا نتطلع ولو بالامل، ان يطل علينا هذا الربان القادر ان يأخذنا لهذا البحر المليء بالدرر والجواهر الانسانية، وبما يخدم الانسان- أي انسان- في مشروعه الحياتي.

أمراء المنتفق[1]

- محمد بن الشريف حسن، والملقب بالوسيط ١٥٤٦ - ١٥٦٠.
- شبيب بن الشريف حسن والملقب (شبيب الأول) ١٥٦٠ - ١٥٨٦.
- مانع بن الشريف محمد الوسيط ١٥٨٦ - ١٦٠٥.
- حسن بن مانع بن محمد الوسيط. ١٦٠٥ - ١٦٣٠.
- مانع بن الشريف شبيب الأول (مانع الأول وهو غير مانع بن محمد الوسيط) ١٦٣٠ - ١٦٤٨.
- شبيب بن محمد الأول (شبيب الثاني) ١٦٤٨ - ١٦٥٠
- مغامس بن الشريف مانع الأول ١٦٥٠ - ١٦٦١.
- راشد بن مغامس بن مانع الأول. ١٦٦١ - ١٦٦٧.
- عثمان بن مهنا بن راشد. ١٦٦٧ - ١٦٨٢.
- مانع بن شبيب الثاني (مانع السخاء) المعروف بمانع الثاني ١٦٨٢ - ١٧٠٥

(١) انظر في ذلك كتاب إمارة المنتفق، دار وائل للنشر، عمان - الأردن

- مغامس بن الشريف مانع (مغامس الثاني) ١٧٠٥ – ١٧١٨.
- محمد بن الشريف مانع بن شبيب الثاني. ١٧١٨ – ١٧٢٩
- منيخر بن ناصر بن صقر بن مانع الثاني ١٧٢٩ – ١٧٣٨
- سعدون بن محمد بن الشريف مانع، والملقب سعدون الكبير ١٧٣٨ – ١٧٤٢
- منيخر بن ناصربن صقر (للمرة الثانية) ١٧٤٢ – ١٧٤٨
- بندر بن عبد العزيز بن مغامس ١٧٤٨ – ١٧٥٧
- عبد الله بن محمد بن الشريف مانع ١٧٥٧ – ١٧٦٩
- ثامر بن سعدون الكبير بن الشريف محمد ١٧٦٩ – ١٧٧٩
- ثويني بن عبد الله بن الشريف محمد ١٧٧٩ – ١٧٨٧
- حمود بن ثامر بن سعدون الكبير (حمود الأعمى) ١٧٨٧ – ١٧٨٨
- ثويني بن عبد الله للمرة الثانية) ١٧٨٨ – ١٧٨٩
- حمود بن ثامر بن سعدون الكبير (للمرة الثانية) ١٧٨٩ – ١٧٩٦
- ثويني بن عبد الله (للمرة الثالثة) ١٧٩٦ – ١٧٩٧
- حمود بن ثامر بن سعدون الكبير (للمرة الثالثة) ١٧٩٧ – ١٨٢٦
- عجيل بن محمد بن ثامر بن سعدون الكبير، والملقب (أخو سعدى) ١٨٢٦ – ١٨٣٢.
- ماجد بن حمود بن ثامر بن سعدون الكبير ١٨٣٢ – ١٨٣٣.
- فيصل بن حمود بن ثامر بن سعدون الكبير ١٨٣٣ – ١٨٣٣

ستة أشهر

- عيسى بن محمد بن ثامر بن سعدون الكبير ١٨٣٣ – ١٨٤٢
- بندر بنمحمد بن ثامر بن سعدون الكبير ١٨٤٢ – ١٨٤٧
- فهد بن محمد بن ثامر بن سعدون الكبير ١٨٤٧ – ١٨٤٩
- فارس بن عجيل بن محمد بن ثامر بن سعدون الكبير ١٨٤٩ – ١٨٥٢
- منصور بن راشد بن ثامر بن سعدون الكبير ١٨٥٢ – ١٨٥٥
- صالح بن عيسى بن محمد بن ثامر بن سعدون الكبير ١٨٥٥ – ١٨٥٦
- منصور بن راشد بن محمد الثامر بن سعدون الكبير (للمرة الثانية) ١٨٦٠ – ١٨٦١
- فارس بن عجيل بن محمد الثامر بن سعدون الكبير (للمرة الثانية) ١٨٦٠ – ١٨٦١
- بندر بن ناصر بن ثامر بن سعدون الكبير ١٨٦١ – ١٨٦٣
- فهد بن علي بن ثامر بن سعدون الكبير ١٨٦٣ – ١٨٦٦
- ناصربن راشد بن ثامر بن سعدون الكبير والملقب الأشقر ١٨٦٦ – ١٨٧٤، ١٨٧٤ – ١٨٧٦ وال على البصرة
- فالح بن ناصر بن راشد بن ثامر بن سعدون الكبير ١٨٧٤ – ١٨٧٧
- فهد بن علي بن ثامر بن سعدون الكبير (للمرة الثانية) ١٨٧٧ – ١٨٧٩
- فالح بن ناصر بن راشد بن سعدون الكبير (للمرة الثانية)

١٨٧٩ - ١٨٨١

- حيث سقطت الإمارة بعد هزيمتها في معركة « الريس «في آب ١٨٨١
- سعدون بن منصور بن راشد الثامر بن سعدون الكبير ١٨٩٢ - ١٩١١
- عجمي بن سعدون بن منصور بن راشد بن سعدون الكبير ١٩١١ - ١٩١٨

المصادر

اولاً: باللغة العربية

الكتب

١. احمد نور الانصاري-النصرة في اخبار البصرة-تحقيق د. يوسف عز الدين-مطبعة الشعب-بغداد ١٩٧٦.
٢. المؤلف مجهول-لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب-تحقيق احمد مصطفى ابو حاكمه-بيروت ١٩٦٧.
٣. احمد علي الصوفي-المماليك في العراق-مطبعة الاتحاد-الموصل ١٩٥٢
٤. الليدي ان بلنت-رحلة الى نجد-ترجمة احمد ايش-دار المدى للثقافة والنشر-دمشق ٢٠٠٥.
٥. الرائد ن. براي-مغامرات لجمن في العراق والجزيرة العربية-ترجمة وتعليق سليم طه-دار واسط للدراسات-بغداد١٩٩٠.
٦. ارند تي. ويلسون-بلاد ما بين النهرين بين ولاءين-ج١-

ترجمة وتعليق فؤاد جميل-دار الشؤون الثقافية-بغداد ١٩٩٢.

٧. المس بيل-فصول من تاريخ العراق القريب-ترجمة جعفر خياط-بيروت١٩٧١.

٨. برترام توماس- مذكرات برترام توماس في العراق ١٩١٨-١٩٢٠-ترجمة عبد الهادي فنجان-منشورات دار الثقافة-بغداد ١٩٨٦.

٩. تكليف رحم الصكبان-ال بدير-مطبعة بغداد-بغداد ١٩٩٠.

١٠. جاكسون-مشاهدات بريطاني في العراق-ترجمة سليم طه التكريتي-مطبعة الاسواق التجارية-بغداد (من دون تاريخ).

١١. جعفر الخياط-صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة-ج١-ط١-مطبعة دار الكتب-بيروت ١٩٧١.

١٢. حمود الساعدي-دارسات عن الخزاعل-مطبعة الاداب-النجف١٩٧٤.

١٣. -------- دراسات عن عشائر العراق-مكتبة النهضة-بغداد ١٩٧٨.

١٤. حسين بن غنام-روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعد غزوات ذوي الاسلام-القاهرة ١٩٦١.

١٥. حسين خلف الشيخ خزعل-تاريخ الكويت السياسي-ج١-بيورت ١٩٦٢.

١٦. حنا بطاطو-العراق، الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية-الكتاب الاول-ط١-مؤسسة الابحاث العربية-بيروت١٩٩٠.

١٧. خالد حمود السعدون-الاوضاع القبلية في ولاية البصرة ١٩٠٨-١٩١٨-شركة الربيعان-الكويت ١٩٨٧.

١٨. رسول الكركوكلي-دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء-ترجمة موسى كاظم نورس-دار الكتاب العربي-بيروت (من دون تاريخ).

١٩. رفعت رؤوف البزركان-امثال شعبية لها حكايات-جمع وتنسيق وشرح-مطبعة الرشاد-بغداد ١٩٨٣.

٢٠. سليمان فيضي-في غمرة النضال-بغداد ١٩٥٢.

٢١. ريج-رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠-ترجمة بها الدين نوري-بغداد ١٩٥١.

٢٢. سليمان فائق-تاريخ المنتفق-ترجمة محمد خلوصي الناصري-مطبعة المعارف-بغداد١٩٦١.

٢٣. ------- -تاريخ المماليك(الكولومند)-ترجمة محمد نجيب ارمنازي-مطبعة المعارف-بغداد ١٩٦١.

٢٤. شكري محمود نديم-حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨-ط٦-دار التضامن-بغداد ١٩٦٧.

٢٥. صلال الفاضل-مذكرات صلال الفاضل «الموح» تقديم

وتعليق كامل سلمان الجبوري- مطبعة العاني-بغداد ١٩٨٦.

٢٦. صالح محمد العابد-موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨-١٨١٠-بغداد ١٩٧٩.

٢٧. طلال عثمان المزعل السعيد-الموسوعة النبطية الكاملة-ج١-ذات السلاسل-الكويت ١٩٨٧.

٢٨. عبد العزيز القصاب-من ذكرياتي-منشورات عويدات-ط١-بيروت ١٩٦٢.

٢٩. د. عبد العزيز سليمان نوار-داود باشا-دار الكتاب العربي-القاهرة ١٩٦٨.

٣٠. -------------- -تاريخ العراق الحديث-دار الكتاب العربي-القاهرة ١٩٦٨.

٣١. عبد الله فياض-مشكلة الاراضي في لواء المنتفك-مطبعة سلمان الاعظمي-بغداد ١٩٥٦.

٣٢. عبد الله بن الغملاس-ولاة البصرة ومتسلموها-دار منشورات البصري-بغداد ١٩٦٢.

٣٣. عبد الجليل الطاهر-العشائر العراقية-ج١-مطبعة دار لبنان-بيروت ١٩٧٢.

٣٤. عبد الكريم محمد علي-تاريخ مدينة سوق الشيوخ-مطبعة عصام-بغداد ١٩٩٠.

٣٥. عبد الرحيم عبد الرحمن-الدولة السعودية الاولى ١٧٤٥-

١٨١٨-معهد البحوث والدراسات العربية-القاهرة ١٩٦٩.
٣٦. عبد الرحمن البزاز-العراق من الاحتلال حتى الاستقلال-ط٣-بغداد١٩٦٧.
٣٧. عبد الرحمن السويدي-تاريخ حوادث بغداد والبصرة ١٧٧٢-١٧٧٨-تحقيق د. عماد عبد السلام-دار الشؤون الثقافية-بغداد ١٩٨٧.
٣٨. ------------------حديقة الزوراء في سيرة الزوراء-تحقيق د. صفاء خلوصي-ج١-مطبعة الزعيم-بغداد١٩٦٢.
٣٩. عبد الرحمن التكريتي-جمهرة الامثال البغدادية-ج٥-دار الحرية للطباعة-بغداد١٩٨٦.
٤٠. عباس العزاوي-تاريخ العراق بين احتلالين-الاجزاء ٥ و٦ و٧ و٨-شركة التجارة والطباعة المحدودة-بغداد ١٩٥٤-١٩٥٥-١٩٥٦.
٤١. ------------عشائر العراق-ج١ وج٤-مطبعة بغداد-بغداد ١٩٣٧.
٤٢. عثمان بن سند الوائلي-مطالع السعود-تحقيق د. عماد عبد السلام وسهيلة عبد المجيد-دار الحكمة للطباعة-بغداد١٩٩١.
٤٣. عثمان بن بشر-عنوان المجد في تاريخ نجد-ج٢-ط٤-

مطابع دار الهلال-الرياض١٩٨٣ .

٤٤ . عقيل عبد الحسين المالكي -ميسان وعشائرها قديماً وحديثاً- مطبعة الجاحظ-بغداد ١٩٩٢ .

٤٥ . علاء كاظم نورس-العراق في العهد العمثاني-دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠-١٨٠٠-دار الحرية للطباعة- بغداد ١٩٧٩ .

٤٦ . ----------حكم المماليك في العراق ١٧٥٠-١٨٣١- دار الحرية للطباعة-بغداد ١٩٧٥ .

٤٧ . عبد الامير محمد امين-القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر-بغداد ١٩٦٦ .

٤٨ . علي الشرقي-ذكرى السعدون- مطبعة الشابندر-بغداد ١٩٢٩ .

٤٩ . ------------الالواح التاريخية-ق١-جمع وتحقيق موسى الكرباسي-مطبعة العمال المركزية- بغداد١٩٨٨ .

٥٠ . - العرب والعراق-ط١-شركة الطبع والنشر الاهلية-بغداد ١٩٦٣ .

٥١ . د. علي الوردي-لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث- الاجزاء ١ و٢ و٣-بغداد ١٩٦٩، ١٩٧١ .

٥٢ . علي جودت الايوبي-ذكريات-بيروت ١٩٦٢ .

٥٣. د. عماد عبد السلام رؤوف -الاسر الحاكمة ورجال الادارة والقضاء في القرون المتأخرة-مديرية دار الكتب للطباعة والنشر- بغداد١٩٩٢.
٥٤. عماد العبادي-محطات مضيئة في شعر سوق الشيوخ-ط١-المطبعة العربية-بغداد ٢٠٠٠.
٥٥. عبد الرحمن الرافعي-عصر محمد علي-القاهرة ١٩٤٧.
٥٦. فاسيلييف-تاريخ العربية السعودية-درا التقدم-موسكو١٩٨٦.
٥٧. فلاديمير لوتسكي-تاريخ الاقطار العربية الحديث-ترجمة د. عفيفة البستاني-دار التقدم-موسكو ١٩٧١.
٥٨. فريق مزهر الفرعون-الحقائق الناصعة-بغداد ١٩٥١.
٥٩. لوريمر-دليل الخليج-القسم التاريخي-ج٤-ترجمة مكتب امير دولة قطر-مؤسسة العلوم للطباعة والنشر-الدوحة قطر (من دون تاريخ).
٦٠. لونكريك-اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث-ترجمة جعفر الخياط-ط٦-مطبعة اركان-بغداد-١٩٨٥.
٦١. ------------العراق الحديث١٩٠٠-١٩٥٠-ج١-ترجمة سليم طه التكريتي-الفجر للنشر والتوزيع-بغداد١٩٨٨.
٦٢. محمد فريد-تاريخ الدولة العلية العثمانية-تحقيق د. احسان

حقي- دار النفائس-ط٥-بيروت ١٩٨٦.

٦٣. محمد خليفة النبهاني-التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية-ط١-دار احياء العلوم-بيروت ١٩٨٦.

٦٤. محمد رشيد السعدي-قرة العين في تاريخ الجزيرة والعراق والنهرين-مطبعة الرشيد-بومبي ١٣٢٥هـ.

٦٥. مرتضى افندي نظمي زاده-كلشن خلفا-ترجمة موسى كاظم نورس-النجف ١٩٧١.

٦٦. ميرزا حسن خان-تاريخ ولاية البصرة-ترجمة د. محمد وصفي ابو مغلي-جامعة البصرة-مركز دراسات الخليج العربي-البصرة ١٩٨٠.

٦٧. مكي شبيكه-العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الاولى-ج١-بيروت-١٩٧٠.

٦٨. نيبور-مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة ١٧٦٥-ترجمة سعاد هادي العمري-مطبعة دار المعرفة-بغداد١٩٥٢.

٦٩. وزارة الثقافة والاعلام-ابحاث في التراث الشعبي-دار الحرية للطباعة-بغداد١٩٨٦.

٧٠. ---------------------لغة العرب-المجلدان الاول والثاني-دار الحرية للطباعة-بغداد١٩٧١.

٧١. د. وليد الجادر-الازياء الشعبية في العراق-دار الشؤون

الثقافية-بغداد١٩٨٩.

٧٢. ياسين خير الله العمري-غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام-مطبعة دار البصري-بغداد ١٩٦٨.

٧٣. يعقوب سركيس-مباحث عراقية-القسم الثالث-دار الحرية للطباعة-بغداد ١٩٨١.

ثانياً: مخطوطات غير محققة:

١. د. كاظم السعيدي-عشائر المنتفك والاسرة السعدونية-بغداد ١٩٤١.

٢. الشماس ميخائيل بن المقدسي يوسف بن ديمتري ابحوري-نبذة من تاريخ بغداد والبصرة والمنتفق-مركز المخطوطات-رقم الملف (٣٣٥٨٥).

ثالثاً: الصحف والمجلات والرسائل

١. صحيفة الصباح-بغداد-العدد (٩٩٢) في ١٥ كانون الاول ٢٠٠٦.

٢. مجلة الف باء-بغداد-العدد (١٤٣٣) في ١٣ اذار ١٩٩٦.

٣. رسالة للمؤلف من الباحثين الاساتذة (جاسم الياسري وثامر

العامري) وهم من المهتمين بالشعر والادب الشعبي-بغداد ايلول ١٩٩٥.

٤. صورة من الرسالة الموجهة من «بيرسي كوكس» للمجاهد «عجمي باشا السعدون» عام ١٩١٥.

٥. صورة مصورة ديوان الشاعر (محمد بن عبد الله العوني).

رابعاً: مركزالمخطوطات

١. رقم الملف (٦٦٧٠)- ويتضمن اوراق وملاحظات الاساتذة (نعوم سركيس) و(يعقوب سركيس)، وهي بحجم سبع دفاتر ذات المئة ورقة.

٢. رقم الملف (٣٣٧٠٤)-وقائع العراق من خلال تاريخ جودت.

٣. رقم الملف (١٧٦٥٢)-امثال البادية واشعارها.

٤. رقم الملف (٣٨٦٧)-اوضاع العشائر القاطنة على نهر دجلة.

٥. رقم الملف (٦٦٦٧)-يوميات «زفنبودا) وهو احد العاملين في النقل النهري بين البصرة وبغداد.

خامساً: المصادر الاجنبية

الكتب

1. Archie Roosevelt, FOR LUST OF KNOWING, Weidenfield and Nicolson Ltd, London 1988
2. Dickson-The Arab of the Desrt-London1959.
3. Glubb J. B-war in the Desert-London 1960.
4. Glubb J. B ARABIAN ADVENTURES , LONDON , CASSELL ltd. 1978
5. Major N.N.E. Bray, A PALADIN OF ARABIA. (The Biography of L. Colonel G.E. Lachman), The Unicorn Press, 1936, London
6. Parsons. A-Traveles in Asia and Africa-London 1808.

سادساً: وثائق اجنبية

1. National Archives and Records service (N. A. R. S)-washington Record:

2. Group 84
3. No: 47128
4. No: M-467
5. No: 47118-

ثبت المحتويات



حكايات عن المنتفق

يطلب الكتاب من

مكتبة الذاكرة

موزعون - وكلاء - ناشرون

الأعظمية (بجانب السفارة الهندية)

هاتف: 4257628 / 4259987

موقع إلكتروني: www.althakerabookshop.com

بريد إلكتروني: info@althakerabookshop.com

الأردن والوطن العربي

دار وائل للنشر

شارع الجمعية العلمية الملكية

هاتف: 5335837 6 962+ فاكس: 5331661 6 962+

ص.ب: 1746 الجبيهة - عمان - الأردن

Email: wael@darwael.com

www.darwael.com